المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
إهداء

إلى كل قلب يبحث عن اليقين

إلى كل غارق في بحار الشبهات، وإلى كل حائر تاه في متاهات الحياة، وإلى كل من سئم الغفلة وأراد أن يحول صفحة جديدة مع ربه.

إلى كل من يريد أن يقرأ القرآن بعين البصيرة لا بعين العادة، وأن يتدبر آياته تدبر من يريد أن تغير قلبه وتهدي عقله.

هذا الكتاب لك.

إلى من علموني حرفاً واحداً في كتاب الله، وإلى من فتحوا لي أبواب الفهم والتدبر، وإلى كل أستاذٍ علمني أن القرآن ليس مجرد تلاوة، بل هو حياة.

جزاكم الله عنا خير الجزاء.

إلى الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

إلى من حمل أمانة المراجعة والتدقيق لهذا الكتاب، لغوياً وفنياً وموضوعياً .إلى من بذل الوقت و الجهد ليخرج هذا العمل في أحسن صورة، متحلياً بالصبر والدقة والإخلاص.

كلمات الشكر تقصر عن رد جميلك، فجزاك الله عنا وعن كل قارئ ينتفع بهذا الكتاب خير ما يجزي به المحسنين، وجعل هذا العمل في ميزان حسناتك، ونفع بك الإسلام والمسلمين.

دعاء الإهداء

اللّهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم، واجعله نوراً في قلوب قارئيه، وسبباً في هدايتهم وتقربهم إليك .اللّهم اغفر لنا تقصيرنا، وتقبل منا هذا العمل المتواضع، إنك سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
المؤلف احمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة يس"
محتوى الكتاب وجوهره

هذا كتاب تفسيري تربوي متخصص في سورة "يس") قلب القرآن(، يتجاوز التفسير التقليدي إلى بناء "رحلة إيمانية" متكاملة .جوهر الكتاب هو تحويل الآيات القرآنية إلى مفاهيم عملية تنير العقل والقلب، وتربط النص القرآني بالواقع المعاصر.

المحتوى يشمل:

· تفسير آيات السورة بالتفصيل) من الآية 1 إلى(83
· تحليل بلاغي وبياني للآيات
· رسائل نفسية وتربوية وعقلية مستخلصة
· مفاهيم عملية للحياة اليومية
· أسئلة للمحاسبة الذاتية
· ربط الآيات ببناء الحضارة والتنمية
أغراض المؤلف وأهدافه

.1تحويل المعرفة إلى حياة - الانتقال من الفهم النظري إلى التطبيق العملي
.2مخاطبة العقل والوجدان معاً - بناء صورة متكاملة في الذهن
.3ترسيخ عقيدة التوحيد والبعث - بأدلة عقلية ومنطقية
.4بناء شخصية المؤمن الواعي - المنتج، المبادر، المتسامح
.5تأسيس منهج لقراءة التاريخ والكون - لفهم سنن الله في الحضارات

يقول المؤلف: "أريدك أن تخرج من هذه الرحلة التدبرية وقد تغير شيء ما في داخلك"

أسلوب الكاتب ومنهجه

المنهج: يجمع بين:

· التفسير التحليلي) البلاغي واللغوي(
· علم النفس) تحليل سيكولوجية الإيمان والإنكار(
· التربية الذاتية) محاسبة النفس وأسئلة تأملية(
· البناء الحضاري) ربط الآيات بالتنمية والعمران(

الأسلوب:

· خطابي مباشر: يخاطب القارئ بـ "أيها القارئ الكريم، أيها الحبيب"
· حواري تفاعلي: يشرك القارئ في عملية التحليل والاستنتاج
· استخدام الأمثلة التقريبية) التمثيل الحسي للمعاني المجردة(
· تقسيم كل مقطع إلى: تفسير ← لمسات بيانية ← رسائل نفسية/تربوية/عقلية ← نموذج تطبيقي

ما يمتاز به هذا الكتاب عن بقية التفاسير

الجانب ما يميز الكتاب
الهدف:- ليس مجرد شرح، بل "رحلة إيمانية" تغير السلوك
الجمهور:- يخاطب العقل والقلب معاً، وليس المتخصصين فقط
التطبيق :-يقدم خطوات عملية وتدريبات يومية
الرسائل :-يصنفها إلى: نفسية، تربوية، عقلية، دعوية، حضارية
المحاسبة :-يختم كل موضوع بأسئلة صادقة للمحاسبة الذاتية
المنهجية :-يجمع بين التفسير التقليدي) ابن كثير، ابن عباس (والتحليل المعاصر

الهيكل التنظيمي للكتاب

ينقسم الكتاب إلى أقسام) مقاطع (مرتبة حسب آيات السورة:

1.افتتاحية السورة - الحروف المقطعة "يس"، القسم بالقرآن الحكيم، إثبات الرسالة
2.مشاهد الغافلين - الأغلال والإقماح، السدود، التسوية بين الإنذار وعدمه
3.أصحاب القرية - قصة الرسائل الثلاثة، الرجل المؤمن، التضحية والجنة
4.آيات البعث والقدرة - إحياء الأرض الميتة، خلق الأزواج، الشمس والقمر
5.نعم الله المسخرة - الفلك المشحون، الأنعام، تسخيرها للإنسان
6.موقف المشركين - اتخاذ آلهة من دون الله، الجدل حول البعث
7.ختام السورة - تنزيه الله عن الشعر، قدرته المطلقة، "كن فيكون"

كل مقطع يتضمن: تفسير الآيات ← لمسات بلاغية ← رسائل متعددة ← وقفة للمحاسبة ← مفاهيم عملية

الجمهور المستهدف بهذا الكتاب

· عامة المسلمين الراغبين في تدبر القرآن بتعمق
· الشباب الباحثين عن إجابات عقلية ومنطقية لقضايا الإيمان
· الدعاة والمربون الباحثين عن أساليب مؤثرة في مخاطبة الناس
· طلاب العلم الراغبين في منهجية تجمع بين الأصالة والمعاصرة
· كل من يعاني من: الغفلة، القسوة القلبية، الحيرة الفكرية، أو الضعف في مواجهة الشبهات

لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟

1.يفهمك القرآن كأنه يخاطبك أنت شخصياً - بأسلوب عصري مباشر
2.يجيب عن أسئلتك الوجودية الكبرى - لماذا خلقت؟ إلى أين المصير؟ كيف أواجه الشبهات؟
3.يعالج أمراض قلبك - الغفلة، القسوة، الكبر، التعلق بالدنيا، اليأس
4.يؤسس فيك يقيناً راسخاً - بالله، بالبعث، بالحساب، من خلال أدلة عقلية وحسية
5.يحول قراءتك للقرآن من عادة إلى حياة - من معلومات إلى سلوك وتغيير
6.يحميك من فخاخ العصر - الشهوات، الشبهات، الإعلام، التقليد الأعمى

"هذه الآيات رسمت لك خارطة طريقين: طريق الهداية، وطريق الضلال .فاختر لنفسك."
مخرجات هذا الكتاب

بعد قراءة هذا الكتاب، ستكون قادراً على:

المجال المخرجات
الإيماني :-يقين راسخ بالبعث والحساب، توحيد خالص لله، ثقة بوعد الله
النفسي :-طمأنينة قلبية، انكسار للكبر، رجاء في رحمة الله، خوف من عذابه
السلوكي:- مبادرة إيجابية، تجرد وإخلاص، تسامح وعفو، عمل منتج
العقلي :-منهجية في قراءة التاريخ، القدرة على الرد على الشبهات، تفكر في آيات الكون
الدعوي:- أساليب مؤثرة في الدعوة، استخدام القصص والأمثال، تحليل نفسية المدعوين
الحضاري:- رؤية لبناء مجتمع متوازن، إدارة الموارد، تقدير العمل اليدوي
خاتمة: رسالة شكر وعرفان

يتقدم المؤلف بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل منير عبده عثمان الصلوى، الذي بذل جهداً كبيراً في إخراج هذا الكتاب إلى النور، من خلال المراجعة والتدقيق الدقيق لمحتواه:

· لغوياً – سلامة الأسلوب ودقة العبارات
· فنياً – تنسيق المادة وتنظيمها بشكل يسهل القراءة والاستفادة
· موضوعياً – التأكد من صحة المعلومات ودقة النقول والأحكام التفسيرية

جزاه الله خير الجزاء، وجعل هذا العمل في ميزان حسناته، ونفع به الأمة الإسلامية.

"وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب"

بسم الله الرحمن الرحيم
التعريف بسورة يس) قلب القرآن(
البيانات العامة:

· عدد الآيات: 83 آية
· عدد الكلمات: 733 كلمة
· عدد الحروف: 2988 حرفاً
· مكان النزول: مكية بإجماع العلماء
· الترتيب في المصحف: السورة رقم36
· ترتيب النزول: السورة رقم41
· الجزء: توجد في الجزء الثالث والعشرين(23)
· السورة التي قبلها: سورة فاطر
· السورة التي بعدها: سورة الصافات

أسماء السورة وسبب التسمية:

· التوقيفي: يس: سميت بهذا الاسم لأنها افتتحت بهذين الحرفين من الحروف الهجائية.
· الاجتهادي: قلب القرآن: وهي أشهر تسمياتها لقباً حيث قال ابن عاشور :) فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى قلب القرآن؛ لأن من تقاسيمها تتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها.(
· ألقاب أخرى: تسمى أيضاً: الدافعة، والقاضية، والمِعَمّة) لشمولها بالخير والبركة (وأيضاً العظيمة، وسورة حبيب النجار، والعزيزة.
أهداف السورة ومقاصدها:

· تقرير الأصول الثلاثة الكبرى: إثبات الوحدانية، وإثبات الرسالة والوحي، وإثبات البعث والجزاء.
· تثبيت قلب الرسول ﷺ والمؤمنين: في مواجهة تكذيب الكفار واستهزائهم، وتأكيد أن الإنذار والنصح هو واجب الدعوة لا النتيجة.
· إقامة الحجة ورد الشبهات: بأدلة عقلية وحسية وإقناعية، وصولا ً إلى إجبار الكافر على الاعتراف بحجية القرآن.
· التربية الإيمانية المتكاملة: تنمية الإحساس بمراقبة الله، وتزكية النفس، وتوجيه الإنسان لاستثمار نعم الله.

فضائل السورة وخصائصها:

· اعتدال بطولها واختصارها: اشتملت على إجمال وإطناب حكيم؛ فكانت من السور المثاني وقلب القرآن.
· شموليتها: جمعت أصول الدين وفروعه، فجمعت بين العقيدة والأخلاق والسلوك معاً.
· القسم والجلال الإلهي: افتتحت بقسم الله الجليل، وختمت بإظهار قدرته وملكوته العظيم.
· الوضوح في الدعوة: صريحة وواضحة ومباشرة في عرض الحجج والبراهين.

التناسب بين افتتاحية السورة وما اختتمت به السورة قبلها) سورة فاطر(:

انتقلت من ختام سورة فاطر بآية تذكر) وجاءكم النذير(، إلى افتتاح سورة يس ببيان أن محمداً ﷺ هو ذلك النذير الذي أرسله الله بالهدى ليكون منذراً لقومه من أهل مكة، فكان الانتقال مناسباً وجلياً في استكمال الحديث عن النذير ووصفه.

التناسب بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

بدأت السورة بالقسم بالقرآن الحكيم على أن محمداً ﷺ لمن المرسلين، أما الخاتمة فصيانة وتنزيهاً لله عن اتهامات الكفار التي قالوها في بداية السورة ، ثم ختمت بإظهار مَلَكوتِ كل شيء وقدرته المطلقة على كل شيء , حيث بينت أن منزل القرآن ليس بشاعر ولا بمفتري، بل هو وحي من رب العالمين، ثم ختمت بالآية ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ , رابطاً البداية بالتقديس و النهاية بالرجوع.

أهم المواضيع والقضايا التي تتحدث عنها السورة:

· أولا ً: إثبات الوحي والرسالة: فتحت السورة بالقسم بالقرآن على صدق محمدٍ ﷺ في رسالته.
· ثانياً: قصة أصحاب القرية) الرسل الثلاثة(: مثل تحذيري بليغ للكافرين بأن العاقبة ستكون الهلاك إن استمروا في تكذيبهم.
· ثالثاً: رحلة حبيب النجار ودعوته: نموذج فذ من الإخلاص والتضحية من أجل الحق، شجّع المؤمنين.
· رابعاً: آيات الله في الكون) الأرض، الأفلاك، الفلك(: دلائل مادية وحسية لترسيخ الإيمان بالبعث في النفس.
· خامساً: مشاهد القيامة وأهوالها: التصوير البليغ للحساب ومصير المؤمنين والكافرين.
· سادساً: الرد على شبهات الكافرين: كمنكري البعث، والمستهزئين بالرسالة.

مقاصد سورة يس:

· ترسيخ العقيدة في القلوب: تقرير الأصول الثلاثة) الوحدانية، والرسالة، والبعث (بقوة ومنطق.
· إنذار الغافلين وتبشير المؤمنين: معالجة الجانب التربوي من خلال الترغيب والترهيب في ثنايا الآ يات.
· الرد على كل شبهة: مهما تقدمت بها العصور فهي مجرد إعادة لإحياء الموتى، وهو ما ردت عليه السورة بأدلة قاطعة.
· بناء الحضارة: حثّ الإنسان على التفكر في الكون، وشكر الله على نعمه، وإثارة روح الإبداع فيه من خلال بيان مظاهر التسخير التي أودعها الله.
· إثبات الخلق والإعادة) البعث(: هو جوهر السورة وهدفها الأهم والمحور الأساسي.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع من سورة (يس)
اولا
أيها القارئ الكريم .ها أنت ذا تقف اليوم على أعتاب آية عظيمة، وتستعد لفتح قلبك وعقلك لتلقي إشراقات من كلام الله تعالى .إنها بداية سورة "يس"، قلب القرآن النابض .دعنا لا نقرأ هذه الكلمات فحسب، بل لندخلها إلى أعماق نفوسنا، وكأنها تخاطبنا نحن تحديداً، فنرى فيها الحياة، ونستشعر فيها حكمة الحكيم الخبير.

سأحاول معك في هذه الرحلة أن نغوص في أعماق هذه الآيات الكريمات، لنستخرج دررها ونفهم مقاصدها .وسنفعل ذلك بالعقل والقلب معاً، محاولين أن نجعل هذا التفسير مرآة نرى فيها أنفسنا وحياتنا.

مقدمة: لماذا نقف عند هذه الآيات؟

تخيل معي أنك تجلس مع مصحفك، وتفتح سورة "يس" .أول ما يلامس سمعك وبصرك هو هذه الأ حرف النورانية: "يسٓ" .ثم يقسم الله تعالى بالقرآن الحكيم على أمر جلل، ألا وهو إثبات رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذه البداية ليست مجرد كلمات، إنها "إعلان إلهي" و"عقد تأسيسي" للعقيدة الإسلامية كلها .لماذا؟ لأن هذه السورة العظيمة نزلت في وقت كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أمس الحاجة إلى تثبيت القلوب وتأكيد اليقين، فهي تتعرض لأصول الإيمان الثلا ثة: الوحدانية) الإيمان بالله(، والرسالة) الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم(، والحشر) الإيمان باليوم الآخر.(

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

أريدك أن تخرج من هذه الرحلة التدبرية وقد تغير شيء ما في داخلك .أهدافنا ليست مجرد معلومات تتراكم في الذهن، بل هي تحولات في القلب والسلوك:

.1بناء تصور كامل: أن ترسم في ذهنك صورة واضحة ومتكاملة عن معاني "يس"، والقسم بالقرآن الحكيم، ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم.
.2تحويل المعرفة إلى حياة: أن تنتقل من مجرد الفهم النظري إلى التطبيق العملي، فترى كيف يمكن للقرآن أن يكون حكيماً في إدارة شؤونك اليومية.
.3مخاطبة الوجدان والعقل: أن تستخدم أسلوباً يخاطب قلبك وعقلك معاً، لتعيش معاني الآيات بوجدان متأثر وعقل متدبر.
.4تحقيق التفاعل والمشاركة: أن تشعر أنك لست مجرد متلقي سلبي، بل مشارك فعّال في عملية التفسير والتحليل.
الأمر الأول:
دلالة افتتاح السورة بقوله) يسٓ وَالقُرۡآنِ الحَكِيمِ(

لنقف معاً عند هذه الأحرف النورانية:) يسٓ .(إنها ليست مجرد أحرف هجاء، بل هي مفتاح إلهي، وسر من أسرار الله في كتابه .العلماء وقفوا أمامها طويلا ً، وذكروا فيها أقوالا ً عديدة، كلها تزيد من ج لالها وغموضها المهيب:

.** يا إنسان: ** جاء عن ابن عباس وغيره من كبار المفسرين أن معناها "يا إنسان"، وهو خطاب من الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بوصفه "سيد البشر" .فكأن الله يناديه بأشرف صفاته الإنسانية التي كملت فيه صلى الله عليه وسلم.
.** اسم من أسماء النبي: ** رأى بعضهم أن "يس" هو اسم من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم .وهذا القول يزيد من تشريف النبي وتكريمه.
.** اسم من أسماء الله: ** ذهب آخرون إلى أنها اسم من أسماء الله الحسنى .وهذا يعظم شأن القسم ويجعله في أعلى درجات التأكيد.
.** حروف للتحدي والإعجاز: ** وهو الرأي الراجح عند كثير من المحققين، أن "يس" وغيره من فواتح السور) مثل: ألم، الر (هي حروف مقطعة، جعلها الله تحدياً للعرب أهل الفصاحة والبلاغة، بأن هذا القرآن مؤلف من جنس هذه الحروف التي يتكلمون بها، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثله .وفيه سر إلهي لا يعلمه إلا الله.

**علاقة تسمية السورة بـ "قلب القرآن"

والآن، لماذا سميت سورة "يس" بـ "قلب القرآن"؟ تأمل معي هذا التشبيه البديع: القلب هو مضخة الحياة، إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله .وكما أن القلب أمير البدن ومصدر حياته، فسورة يس هي "قلب القرآن" لأنها اشتملت على لُبِّ العقيدة وخالصها .وكما قال ابن عاشور: "فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى) قلب القرآن(؛ لأن من تقاسيمها تتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها" .أي أن أصول الإيمان الثلاثة) التوحيد، الرسالة، البعث (التي تقررها السورة هي بمثابة الدم الذي يجري في عروق الدين كله .إنها توقظ القلب الغافل، وتحييه بمعاني الإ يمان والتوحيد، ولذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بقراءتها على الموتى , فهي تذكرة بالبعث و الحياة الآخرة.

**اللمسات البيانية والبلاغية

.** الإبهام والتشويق: ** البدء بالحروف المقطعة يخلق جواً من الغموض الجليل، يدفع السامع إلى التساؤل والترقب لما سيأتي بعده .إنه أسلوب بلاغي فريد يشد الانتباه ويستثير الفكر .وكأنه صيحة تنبيه توقظ النائم وتنبه الغافل.
.** الرمز إلى الإعجاز: ** الإشارة إلى أن القرآن من جنس هذه الحروف العربية، ومع ذلك فهو معجز في نظمه وبلاغته، هو تحد خفي يقرع الآذان ويحرك العقول للبحث والتدبر.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

عندما تقرأ) يس (استشعر هذه الرسائل:

.** رسالة نفسية: ** اطمئن، فأنت تتلو كلاماً مباركاً، افتتحه الله بحروف تحمل سره، فأنت أمام نص إلهي عظيم .تلاوة هذه السورة تجلب الطمأنينة والراحة النفسية، وتذهب الهم والحزن.
.** رسالة تربوية: ** تذكر أن تعظيمك للقرآن ينبغي أن يبدأ من أول حرف فيه .هذه الأحرف تعلمنا أن نستمع بقلوبنا قبل آذاننا، وأن نتدبر ولا نمر مرور الكرام.
.** رسالة عقلية: ** دع عقلك يتأمل في عظمة هذا الكتاب؛ كتاب مؤلف من حروف تنطق بها، ومع ذلك تحدى الله به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله .إنها دعوة للعقل للتفكر في مصدر هذا القرآن.

الأمر الثاني:
أثر الافتتاح على نفس القارئ والدروس المستفادة للداعية

أثر التشويق والانتباه

تخيل نفسك في مجلس، والجميع يتكلمون، وفجأة يسكت المتحدث قليلا ً، ثم يرفع صوته بكلمة غير مألوفة: "يـس" .ألا تنتبه فوراً؟ ألا تسأل نفسك: ماذا يعني هذا؟ هذا بالضبط ما يفعله الله بعباده . هذا الافتتاح هو بمثابة "نداء استثنائي" يخترق كل الضوضاء المحيطة بالقلب ليصل إلى أعماقه .إنه يجذب الانتباه الكامل، ويهيئ السامع لاستقبال كلام عظيم، لأنه صادر عن مقام عظيم .هذا الأسلوب يولد في نفس القارئ ترقباً وتشويقاً لمعرفة جواب القسم، فيظل متيقظاً لسماع: "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ".

دروس مستفادة للداعية والمربي

هذا الأسلوب القرآني المعجز يحمل في طياته دروساً عظيمة لكل داعية وكل مربٍّ:

** .1جذب الانتباه بأسلوب غير تقليدي: ** على الداعية أن يبتكر أساليب جديدة وجذابة لشد انتباه الجمهور، بعيداً عن الأساليب الرتيبة التي قد تسبب الملل والنفور .يجب أن يكون الخطاب مشوقاً ومثيراً للتساؤل.
** .2مراعاة أحوال المخاطبين: ** النبي صلى الله عليه وسلم خاطب قوماً يتقنون اللغة ويحبون البلا غة، فجاءتهم هذه الحروف كتحد وإبهار في نفس الوقت .على الداعية أن يعرف مستوى المخاطبين الفكري والثقافي، ويخاطبهم بما يناسب عقولهم ويثير وجدانهم.
** .3البناء المنطقي للخطاب: ** الخطاب القرآني هنا بدأ بمقدمة مشوقة) الحروف المقطعة(، ثم بقسم عظيم) والقرآن الحكيم(، ثم بجواب القسم) إنك لمن المرسلين .(هذا التسلسل المنطقي يبني القناعة في نفس السامع خطوة بخطوة .يجب أن يكون خطابنا مبنياً على تسلسل فكري مقنع، لا قفزات متناثرة.
** .4الخطاب الذي يدفع للانجذاب لا النفور: ** الخطاب المتعالي، أو الجاف، أو الذي لا يراعي مشاعر

السامعين هو خطاب منفر .أما الخطاب القرآني، فرغم قوته وهيبته، فهو يخاطب الفطرة والعقل و القلب بلطف وحكمة، مما يجعل السامع ينجذب إليه طواعية ويقبله بقناعة.

الأمر الثالث:
اقتران القسم بالقرآن بصفة "الحكيم" ودلالته

لماذا وصف القرآن ب- "الحكيم"؟

يُقسم الله تعالى بالقرآن، ويصفه بأنه "الحكيم" .لماذا وصفه بهذا الوصف بالذات؟ صفة "الحكيم" في اللغة العربية مأخوذة من "الحُكم" و"الإحكام"، وتعني "المُحْكم" الذي لا خلل فيه ولا تناقض .وهي تعني أيضاً "ذو الحكمة"، أي أنه مشتمل على الحكمة البالغة في كل آية من آياته، وفي كل تشريع شرعه، وفي كل قصة قصها .قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: .(1فوصف القرآن بالحكيم هو ثناء عليه، وتعظيم لشأنه.

دلالة القسم على عظمة القرآن ومكانته

القسم من الله تعالى يدل على أمرين عظيمين:

** .1تعظيم المُقسَم به) القرآن(: ** الله تعالى لا يقسم إلا بشيء عظيم .فقسمه بالقرآن يدل على عظمة هذا الكتاب ومكانته السامية عنده سبحانه .وكأنه يقول لنا: "انظروا إلى عظمة هذا الكتاب الذي جعلته محلا ً لقسمي" .إنه يستوجب منا التوقير والاحترام، فلا نجعله مهجوراً، ولا نقدم عليه قولا ً ولا عملا ً.
** .2تأكيد المُقسَم عليه) الرسالة(: ** عندما يقسم الله العظيم بالقرآن الحكيم على أن محمداً صلى الله عليه وسلم من المرسلين، فهذا هو أبلغ تأكيد وأقوى برهان على صدق نبوته .فمن كان يؤمن ب الله ويؤمن بكتابه، فلا يمكن أن يشك في رسالة النبي بعد هذا القسم الجليل.

اللمسات البيانية والبلاغية

.** تناسب الصفة مع المقام: ** اختيار صفة "الحكيم" دون غيرها من صفات القرآن له مغزى بلاغي دقيق .فإثبات الرسالة هو أمر مبني على "الحكمة" الإلهية .والله "الحكيم" أنزل الكتاب "الحكيم" على نبي "حكيم" ليكون قدوة للعالمين .فالتناغم بين صفة المُقسِم) الله الحكيم (والمُقسَم به) القرآن الحكيم (في هذا المقام يعطي إحساساً بالتناسق والكمال.
.** القسم لتوكيد الخبر: ** أسلوب القسم يفيد توكيد الخبر وتقريره في النفوس .فكأن الله يريد أن يزيل كل شك وريب من قلب السامع حول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

الرسائل النفسية والقلبية والعقلية

.** رسالة قلبية: ** ليمتلئ قلبك يقيناً وثقة مطلقة بأن هذا القرآن هو كلام الله الحكيم، وأن كل ما فيه هو حق وصدق .هذا اليقين هو الأساس الذي يبنى عليه الإيمان الراسخ.
.** رسالة عقلية: ** ليدرك عقلك أن العناية الإلهية قد أحاطت بهذا الكتاب، فهو محفوظ من التحريف، محكم في آياته، فلا تناقض فيه ولا باطل .وهذا يجعلك ترجع إليه بكل ثقة في أمور دينك ودنياك.
.** رسالة نفسية: ** استشعر عظمة القرآن ومكانته، فهذا الاستشعار يولد في النفس هيبة وتوقيراً، ويجعل تلاوته عبادة محببة، وليس مجرد واجب .وعندما تعيش مع القرآن بهذا الشعور، تجد فيه الشفاء والطمأنينة والسكينة.

الأمر الرابع:
إرساء قاعدة الحكمة في اتباع القرآن

ماذا تعني هذه القاعدة؟

تعني أن الطريق الوحيد للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة هو أن نجعل من القرآن الكريم "إمامنا" وقائدنا، وأن نستمد من حكمته كل تصرفاتنا وأقوالنا .وكأن السورة تقول لنا: "لقد أقسمت لكم بالقرآن الحكيم، فانظروا كيف تحولون هذه الحكمة النظرية إلى واقع عملي في حياتكم" .إنها دعوة صريحة لتحويل الإيمان من مجرد قناعة ذهنية إلى سلوك يومي.

ما هي الحكمة المودعة في القرآن؟

الحكمة المودعة في القرآن لا تقتصر على الأحكام الشرعية، بل تشمل كل جوانب الحياة:

.** في العقيدة: ** الحكمة في توحيد الله، فهو وحده المستحق للعبادة، مما يحرر النفس من العبودية لغير الله) الخوف من الناس، التعلق بالمال، الخضوع للأهواء.(
.** في العبادات: ** الحكمة في الصلاة) الوقاية من الفحشاء والمنكر(، وفي الزكاة) تطهير النفس وتزكيتها(، وفي الصيام) تحقيق التقوى(، وفي الحج) وحدة المسلمين.(
.** في الأخلاق: ** الحكمة في الحث على الصدق والأمانة والعفو والتواضع والرحمة، لأنها أساس بناء المجتمعات السليمة والمترابطة.
.** في المعاملات: ** الحكمة في تحريم الربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل، وفي إباحة البيع و الشراء بالتراضي، حماية للحقوق واستقراراً للاقتصاد.
.** في العلاقات الأسرية: ** الحكمة في تنظيم العلاقة بين الزوجين، وفي الحث على بر الوالدين وتربية الأبناء.

**كيف نطبق حكمة القرآن في حياتنا اليومية؟

هنا يتحول الكلام النظري إلى خطة عملية:

** .1قراءة القرآن بتدبر وفهم: ** لا تجعل تلاوتك للقرآن مجرد حركة لسان، بل اجعلها حركة قلب وعقل .اقرأ ولو آية واحدة، وتوقف عندها، واسأل نفسك: ماذا يريد الله مني في هذه الآية؟ كيف أطبقها في يومي هذا؟.
** .2جعل القرآن مرجعية أولى: ** عندما تواجه مشكلة في عملك، أو خلافاً عائلياً، أو حيرة في قرار مصيري، ارجع أولا ً إلى كلام الله .ابحث عن آية تتعلق بموضوعك، أو استشر عالماً يفسر لك حكم الله في الأمر .لا تجعل "السوشيال ميديا" وآراء الناس هي مصدر توجيهك الأول.
** .3استشعار مراقبة الله: ** من حكم القرآن أنه يذكرنا دوماً برقابة الله .عندما تعلم أن الله يراك، تستحي أن تعصيه، وتستحضر ذلك في كل تعاملاتك: في وزنك للبضاعة، في كلمتك لجارك، في تعاملك مع زوجتك وأولادك.
** .4التداوي بالقرآن من أمراض القلوب: ** إذا شعرت بالحسد، اقرأ المعوذات .إذا شعرت بالقلق، اقرأ آيات الطمأنينة .إذا شعرت بالقسوة، اقرأ عن رحمة الله .القرآن هو الشفاء الحقيقي لأمراض القلوب، وهو الهدى الذي ينير لك الطريق إذا أظلمت بك السبل.

-الأمر الخامس:
معنى قوله تعالى:) إِنكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ(

دلالة جواب القسم ومعناه

بعد أن أقسم الله تعالى بالقرآن الحكيم، يأتي الجواب القاطع: ﴿إِنكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ .هذا الجواب هو بيت القصيد ومحور السورة .إنه إعلان إلهي صريح وواضح لا لبس فيه، موجّه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يثبت فيه رب العزة رسالته واصطفاءه من بين البشر ليكون خاتم الأنبياء .والمعنى: "أقسم وأحلف -يا محمد- بالقرآن المحكم ذي الحكمة، إنك لمن الذين أرسلناهم إلى خلقنا لهدايتهم".

اللمسات البيانية والبلاغية

.** التوكيد ب- "إن" واللام: ** استخدام "إنّ" وحدها يفيد التوكيد .ولكن عندما نقول "إِنكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ"، فإننا نضيف "لام التوكيد") لَـمِنَ(، وهذا يعطي قوة مضاعفة في التوكيد .فكأن الله يريد أن يصل هذا المعنى إلى القلوب بقوة لا تقبل الشك أو الجدال.
.** أسلوب القصر: ** تقديم "لَمِنَ المُرْسَلِينَ" في هذا السياق يفيد القصر، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس كاذباً ولا شاعراً ولا مجنوناً، بل هو "حصراً وبلا منازع" من جملة المرسلين من عند الله . وهذا يقطع الطريق على أي ادعاءات باطلة.

الرسائل النفسية والقلبية والعقلية

.** للمؤمن: ** هذه الآية بمثابة رسالة تثبيت وطمأنة عظيمة .إنها تملأ قلب المؤمن يقيناً وثباتاً بأن الطريق الذي يسير عليه هو طريق الحق، وأن نبيه الذي يتبعه هو نبي مرسل من عند الله حقاً .فإذا

اشتدت الفتن، وتكالب الأعداء، تذكر هذا القسم الإلهي فاطمأن قلبه وهدأ باله .هي مواساة للنبي وأمته من بعده.
.** لغير المؤمن أو المشكك: ** هي رسالة إنذار وإعذار .فإذا كان رب العالمين يقسم بهذا القسم العظيم على صدق رسالة محمد، فما هو عذر من يكذب بعد ذلك؟ إنها تقيم الحجة على الناس جميعاً، وتجعلهم يتحملون مسؤولية اختيارهم.
.** رسالة عقلية: ** يوجه الله عقولنا إلى الربط المنطقي بين عظمة القرآن) المُقسم به (وصدق الرسالة) المُقسم عليه .(فإذا كنا نؤمن بأن هذا القرآن معجز وحكيم ومحفوظ، فهذا دليل عقلي قاطع على أن من جاء به لا يمكن أن يكون كاذباً، بل هو رسول صادق من عند الله.

أهم المواضيع والمفاهيم المستخلصة

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟
يريد الله منا أن نخرج من دائرة التلاوة السطحية إلى دائرة العمل والتطبيق:

.1تعظيم القرآن: أن ننظر إليه على أنه كلام الله الحكيم، لا مجرد كتاب مقروء.
.2تصديق الرسول: أن نجزم ونؤمن بقلوبنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله حقاً، وأن نتبعه في كل ما جاء به.
.3تحويل الآيات إلى واقع: أن نتدبر القرآن لنفهمه، ثم نعمل به، فيحدث في قلوبنا حكمة ويقيناً، وتظهر آثاره على سلوكنا .فلا تكون تلاوته مجرد أداء حروف، بل تلاوة تدبر يحدث حكمة ويقينا في القلب تحدث آثارها في الحياة.
.4بناء الحياة على منهج الله: أن يكون القرآن هو المرجعية الأولى والدستور الذي يحكم كل تصرفاتنا في بيوتنا وأعمالنا وأسواقنا، لا العادات والتقاليد المخالفة له.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة(
والآن، اسمح لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة، لتكون صريحاً مع نفسك:

· سؤال الحكمة: إذا كان القرآن حكيماً، فهل قراراتي في الحياة تتسم بالحكمة؟ أم أني أتسرع وأندم؟ هل أضع الأمور في مواضعها الصحيحة؟
· سؤال الأثر: ما هو أثر آيات القرآن على قلبي؟ هل يلين قلبي عند سماع آيات الوعيد، ويطمئن عند سماع آيات الوعد؟ هل أخشع في صلاتي، وأتأثر في تلاوتي؟
· سؤال الاستماع: عندما أسمع "يس"، هل أسمعها كحروف تقرأ فقط، أم أستشعر جرس الإنذار الرباني الذي ينقذ قلبي من الغفلة ويجدد إيماني في ظل الحياة اليومية؟
· سؤال المرجعية: هل جعلت القرآن الكريم مصدراً أساسياً لتلقي معلوماتي وتشكيل مفاهيمي؟ أم أن وسائل التواصل الاجتماعي وآراء الناس أكثر تأثيراً على قراري؟
· سؤال التطبيق: أين تظهر حكمة القرآن في تصرفاتي؟ هل أطبق حكمته في إدارة مالي وتربية أبنائي والتعامل مع زملائي؟ أم أبحث عن حلول ونصائح من مصادر لا أخلاقية؟
· سؤال الثقة: لماذا وصف بالحكيم؟ هل أثق أن كل تشريعات القرآن، حتى التي تخالف هواي، هي الأ فضل لي والمبنية على حكمة بالغة؟
· سؤال التعظيم: هل أستشعر عظمة القسم بالقرآن، فأحترم حدود الله وأتأدب بآدابه في تعاملاتي كلها؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية
لنستخلص معاً المفاهيم الجوهرية التي تزخر بها هذه الآيات:

· القرآن منهج حياة: هو ليس مجرد كتاب للتعبد بتلاوته فقط، بل هو "الحكيم" الذي يوجهنا لوضع كل شيء في موضعه الصحيح في شؤون حياتنا اليومية، من العبادة إلى المعاملة.
· ترسيخ الإيمان بالرسالة: مفهوم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يرسخ فينا الإيمان بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الإيمان هو الذي يبعث الثبات والطمأنينة عند مواجهة التحديات والفتن.
· تعظيم القرآن في حياتنا: كلما زاد اهتمامنا بالقرآن تلاوة وتدبراً وعملا ً، زادت البركة في تفاصيل حياتنا وتيسرت أمورنا .فالقرآن هو المرجعية الأولى التي لا ينبغي أن نقدم عليها شيئاً.
· السعادة في الاتصال بالله: السعادة الحقيقية لا توجد في المال أو الجاه، بل في الاتصال بالله .و القرآن هو وسيلة هذا الاتصال، فمن خلاله نعرف مراد الله منا، فإذا تمسكنا به وجدنا السعادة في الدنيا والآخرة .وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه:.(124

الموضوع الرابع: التطبيق العملي في حياتنا
لنحول هذه المفاهيم إلى خطة عمل حقيقية:

1.القرآن دستور عملي: اتخذ القرآن مرجعاً عملياً ودستوراً لحياتك .كل حقيقة فيه هي أساس السعادة والصحة في الدنيا والآخرة، وليست مجرد نصوص نظرية.
2.ثقافة الاستقامة والنجاح: آمن بأن التوفيق الحقيقي في الحياة مبني على أساس الاستقامة على أمر الله وليس على الذكاء والمهارات المادية فقط .وأن المؤمن المستقيم لا يتساوى أبداً مع المسيء، لا في الدنيا ولا في الآخرة.
3.تحويل النص إلى واقع معيشي: لنستجب لدعوة هذه الآيات لتحويل القرآن من نصوص مقروءة إلى واقع معيشي وحكيم منظم .وذلك من خلال:
· التعظيم: تعظيم القرآن الكريم في القلب.
· الالتزام: الالتزام بأحكامه في جميع جوانب الحياة.
· الاعتزاز: الاعتزاز بالدين والتمسك بآياته.
· التدبر: قراءته بتدبر وفهم وتعظيم للوحي، من خلال تخصيص أوقات لقراءته.
· الرجوع إليه: عند مواجهة المشاكل أو أي أزمة، نرجع إلى القرآن لنجد الحل.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة

· قيمة الحكمة والتدبر والعمل: وصف القرآن بالحكيم يوجهنا لإعمال العقل في فهم الأوامر والنواهي، وتطبيقها في الحياة بواقعية.
· قيمة التوقير والاحترام: قسم الله بالقرآن يستوجب علينا تعظيمه، وتفضيل أحكامه على الهوى، وقراءته بالتدبر الذي يليق بمكانته في نفوسنا.
· قيمة المرجعية: القرآن هو المرجعية الأولى والأخيرة في التوجيه والتشريع.
· قيمة الثقة بالرسول: بناء ثقة راسخة برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، تجعله قدوة لنا في كل صغيرة وكبيرة.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة
أخيراً، هذه الآيات ليست مجرد توجيهات فردية، بل هي أسس لبناء حضارة إنسانية شامخة:

· إحياء الضمير الفردي: عندما يعظم الفرد القرآن في قلبه، ويجعله حكيماً في تصرفاته، ويوقن برسالة نبيه، فإنه يتحول إلى لبنة صالحة وقوية في المجتمع.
· بناء المجتمع المتماسك: انتشار هذه القيم بين الأفراد يؤدي إلى بناء مجتمع متماسك، قائم على العدل والحكمة والثقة، حيث يكون القرآن هو الحكم في النزاعات، ورسول الله هو القدوة في الأخلا ق.
· التنمية الحقيقية: التنمية الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن تزدهر في مجتمع تنتشر فيه الأنانية و الغش والظلم .أما عندما تسود حكمة القرآن في البيع والشراء والمعاملات، فإن البركة تحل، وتعم التنمية الحقيقية الشاملة.
· قيادة الحضارة: حضارة المسلمين لم تقم إلا على أساس هذا المنهج الرباني .وعودة الأمة إلى ريادتها الحضارية مرهونة بعودتها الصادقة إلى كتاب ربها، وجعله "حكيماً" في كل شؤون حياتها، لا مجرد شعار يرفع.
ثانيا.

أيها القارئ الكريم، ها نحن نعود لنستكمل معاً تلك الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة "يس"، قلب القرآن النابض. بعد أن توقفنا عند القسم العظيم بالقرآن الحكيم، وإعلان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بكل يقين وثبات، نأتي الآن لنقف بخشوع عند الآيتين الرابعة والخامسة، اللتين تكشفان لنا عن حقيقة هذه الرسالة ومنهاجها ومصدرها الإلهي. يقول الله تعالى بعد "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ":

·﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يس:(4
·﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ يس:(5

إن هاتين الآيتين ليستا مجرد تكمله للآيات السابقات، بل هما بمثابة "وثيقة تعريف" كاملة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبرسالته. إنهما ترسمان لنا خارطة الطريق الوحيدة للنجاة، وتجيبان على كل سؤال قد يتبادر إلى الذهن: على أي شيء أرسل هذا النبي؟ وما مصدر هذا القرآن الذي أقسم الله به؟ ومن هو الذي أنزله؟ دعنا نغوص في أعماقهما لنستخرج الدرر الكامنة فيهما.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

1. فهم اليقين الجازم: أن تدرك أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فقط مرسلا ً، بل هو مرسل على "منهج حياة" واضح لا اعوجاج فيه.
2. الرد على الشبهات: أن ترى كيف أن هذه الآيات ترد بشكل قاطع على افتراءات المشركين الذين وصفوا النبي بالضلال أو الجنون.
3. استشعار المصدر الإلهي: أن تشعر في أعماق قلبك أن هذا القرآن هو "تنزيل" من إله متصف بصفات الجلال والجمال معاً، "العزيز" القوي القادر، و"الرحيم" بعباده.
4. التطبيق العملي: أن تتعلم كيف يمكنك أنت، في حياتك اليومية، أن تسير على ذلك "الصراط المستقيم" وأن تجعل من "تنزيل العزيز الرحيم" بوصلة حياتك للخروج من الغفلة.

تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

بعد أن قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، جاءت هذه الآية لتكمل الصورة وتوضحها. إنها بمثابة "خبر ثانٍ" لـ "إنّ"، أو هي "حال" من ضمير المخاطب في "إنك". والمعنى: أن الله يشهد لك -يا محمد- بأنك لست مجرد رسول فحسب، بل أنت رسول "ثابت" و"مستقر" على طريق واضح، مستقيم، لا عوج فيه ولا انحراف.

ما هو "الصراط المستقيم"؟

الصراط في اللغة هو الطريق الواسع الواضح. ووصفه بـ "المستقيم" يؤكد أنه طريق خالٍ من الالتواءات والانحرافات والغموض. إنه طريق الاعتقاد الحق، والعمل الصالح، والخلق القويم. إنه المنهج الذي لا يضل سالكه، ولا يشقى من تمسك به.

- شهادة الله لنبيه: هذه الآية هي شهادة من الله العليم الحكيم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه على الحق المبين في كل أقواله وأفعاله وسيرته .فهو صلى الله عليه وسلم لم ينطق عن الهوى، وما فعله إلا بوحي من ربه .إنها تزكية إلهية عظيمة لا تدع مجالا ً لأي شك.
- الرد على المشركين: لقد كان المشركون يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بأبشع التهم، فقالوا عنه: "شاعر"، و"مجنون"، و"ضال" .فجاء الرد الإلهي حاسماً وقاطعاً: كلا، بل هو ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ . فشتان بين من هو في ضلال مبين، وبين من يشهد له رب العالمين بأنه على الطريق المستقيم! هذا الأسلوب القرآني يقلب الطاولة على المشركين، ويجعل اتهامهم دليلا ً على باطلهم، لأن من وصفه الله بالاستقامة لا يمكن أن يكون ضالا ً.

لمسات بيانية وبلاغية

- التوكيد المعنوي: بعد التوكيد اللفظي القوي في ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بـ "إن" واللام، يأتي وصف "صراط مستقيم" ليكون توكيداً معنوياً .فهو يصف حقيقة الرسالة ومضمونها.
- التنكير للتعظيم: كلمة "صراط" جاءت نكرة، وهذا في اللغة العربية يفيد التعظيم والتفخيم .أي أنه على طريق عظيم الشأن، رفيع المنزلة، لا كالطرق الملتوية التي يسلكها المبطلون.
- استعارة تمثيلية رائعة: شبّه الله تعالى دين الإسلام ومنهج النبوة بطريق واضح مستقيم يوصل إلى الغاية المنشودة) رضوان الله والجنة .(وهذا التشبيه يقرّب المعنى إلى الأذهان، ويجعل الإنسان يتصور نفسه وهو يسير في طريق آمن، معبّد، مضاء، لا يخشى فيه الضياع.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

- رسالة نفسية للمؤمن: عندما تقرأ هذه الآية، ليمتلئ قلبك سكينة وطمأنينة عجيبة .أنت تعلم أنك تتبع نبياً يشهد له الله بأنه على الصراط المستقيم، فأنت إذن على طريق الحق والنجاة .هذا الشعور يزيل القلق والحيرة، ويمنحك ثباتاً لا يتزعزع في زمن الفتن وكثرة السبل المتشعبة.
- رسالة عقلية: إنها دعوة للعقل ليقارن بين طريق النبي المستقيم الواضح، وطرق الضلال المتشعبة المتناقضة التي يدعو إليها أهل الباطل .العقل السليم يختار الطريق الواضح الآمن، ويترك الطرق

المظلمة الملتوية التي لا يعلم المرء أين تنتهي به.
· رسالة تربوية: هي درس عظيم لكل مربٍّ وداعية، بأن يكون قدوة في سلوكه قبل أن يكون ناصحاً بكلامه .فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل فقط "أنا على صراط مستقيم"، بل شهد له الله بذلك . إنها دعوة لنا لنحرص على أن تكون أفعالنا ترجمة صادقة لأقوالنا، حتى نكون على شيء من الهدي النبوي.

*"مثال تقريبي على مفهوم "الصراط المستقيم"

تخيل أنك تريد السفر من مدينة إلى أخرى، وهناك طريقان:

· الطريق الأول: طريق سريع، واسع، مضاء ليلا ً، عليه علامات إرشادية واضحة، تحرسه دوريات الأ من، وكل من يسلكه يصل إلى وجهته بسلام وأمان .هذا هو "الصراط المستقيم"، طريق الإسلام الذي رسمه الله وبيّنه رسوله.
· الطريق الثاني: طرق صحراوية وعرة، مليئة بالتحويلات الخطيرة، مظلمة، ليس فيها إشارات، يكثر فيها قطاع الطرق واللصوص، وغالباً ما ينتهي السير فيها بالضياع أو الهلاك .هذه هي طرق الضلال و الشهوات والشبهات، التي يزينها الشيطان وأولياؤه.

فأي الطريقين يختار العاقل لنفسه؟ إن اختيار الصراط المستقيم هو مقتضى العقل والفطرة السليمة. وعندما تتبع النبي صلى الله عليه وسلم، فأنت تتبع "المرشد الأعلم" الذي يعرف هذا الطريق تمام المعرفة، ويسير فيه بأمان.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿تنزيلَ العَزيزِ الرّحيم﴾

هذه الآية هي المصدر والضمانة لكل ما سبق. إنها تجيب على السؤال الجوهري: من أين جاء هذا القرآن الحكيم؟ ومن أرسل هذا النبي على الصراط المستقيم؟ إنه ﴿تنزيلَ العَزيزِ الرّحيم﴾.

*" دلالة كلمة "تنزيل"

كلمة "تنزيل" تدل على النزول التدريجي والمتتابع من السماء إلى الأرض. إنها ليست كلمة "إنزال" التي تدل على النزول دفعة واحدة. فاختيار لفظ "تنزيل" هنا له مغزى عظيم:

· التنجيم لصالح البشر: يشير إلى أن القرآن نزل مفرقاً بحسب الحوادث والوقائع، لحكمة بالغة، منها تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتيسير حفظه وفهمه على الصحابة، والرد على المستجدات أولا ً بأول.
· استمرار الوحي: يعطي إيحاءً بأن هذا الكتاب هو اتصال مستمر من السماء بالأرض، وهو كلام حي يتفاعل مع الواقع، وليس مجرد كلام جامد.
· الرد على زعم المشركين: المشركون قالوا: ﴿إنْ هَذَا إلّا قَوْلُ البَشَر﴾ .فرد الله عليهم بقوله: بل هو "تنزيل" من إله عزيز رحيم .إنها شهادة قاطعة بمصدره السماوي، وتكذيب صريح لافتراءاتهم.

**لماذا اقترن الوصف بـ "العزيز الرحيم"؟

هذا الاقتران بين هذين الاسمين الجليلين في هذا الموضع له وقع خاص على القلب والعقل. فهو يجمع بين صفتي الجلال (العزة) والجمال (الرحمة):

· العزيز: هو الغالب القوي الذي لا يُغلب، العزيز الذي يخضع لعزته كل شيء .اقترانه هنا يبعث في نفس المؤمن الهيبة والقوة والثقة .فهو يشعر أن هذا القرآن ليس كلاماً عادياً، بل هو تنزيل من قوي عزيز، يحمي من اتبعه، وينتقم ممن أعرض عنه .إنه "خطاب قوة" يزلزل الباطل وأهله.
· الرحيم: هو واسع الرحمة، الذي وسعت رحمته كل شيء .اقترانه هنا يبعث في نفس المؤمن الرجاء والأمل والحب .فهو يشعر أن من أنزل هذا القرآن لم يرسله للشقاء، بل رحمة منه ولطفاً بعباده، ليهديهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .إنه "خطاب رحمة" يجذب القلوب ويؤلفها.

فالجمع بين "العزيز" و"الرحيم" يخلق حالة من التوازن النفسي العجيب: خوف ورجاء، هيبة ومحبة. إنه يخاطب المؤمن قائلا ً: "اتبع هذا الكتاب بقوة وعزة، فهو تنزيل العزيز الذي لا يضام من استمسك به، وارجُ رحمة ربك واعلم أنه ما أنزله إلا ليخرجك من الظلمات إلى النور رحمة بك".

**لمسات بيانية وبلاغية

· النصب على المدح: كلمة ﴿تنزِيلَ﴾ منصوبة، والتقدير: "أعني تنزيل العزيز الرحيم" .أو هي حال من "القرآن الحكيم" في الآية السابقة .وهذا الأسلوب يفيد التخصيص والمدح والتعظيم، وكأنه يقول: "هذا القرآن ليس أي كلام، بل هو -خصيصاً- تنزيل العزيز الرحيم".
· التناسق البديع: لاحظ معي التناسق العجيب بين صفات المُنزِل) العزيز الرحيم(، والكتاب المُنزَل)الحكيم(، والرسول المُنزَل عليه) على صراط مستقيم .(فكل شيء في هذا السياق متناسق ومنسجم، مما يضفي على النص القرآني جمالاً وإعجازاً يفوق الوصف.

**الرسائل النفسية والقلبية والعقلية

· رسالة قلبية: أحب الله الذي أنزل إليك هذا الكتاب رحمة منه بك .واستشعر عزته وقوته في نصرة دينه وأوليائه .هذا المزيج من الحب والخوف هو عين العبودية الصادقة.
· رسالة عقلية: أيقن أن هذا القرآن ليس من صنع البشر، لأن البشر عاجزون عن الجمع بين القوة المطلقة والرحمة المطلقة في تشريعاتهم .فالقوانين الوضعية إما أن تميل إلى القسوة والبطش) بدون رحمة(، أو إلى التساهل المفرط) بدون قوة .(أما القرآن، فشرائعه جامعة بين الحكمة والقوة والرحمة . وهذا دليل عقلي على أنه تنزيل من حكيم حميد.
· رسالة نفسية: ثق ثقة مطلقة بأن الله لن يضيعك ما دمت متمسكاً بكتابه .فهو العزيز الذي يحميك، وهو الرحيم الذي يرعاك .هذه الثقة تمنحك شجاعة عظيمة لمواجهة تحديات الحياة وعداوات المبطلين.

*"مثال تقريبي على مفهوم "تنزيل العزيز الرحيم"

تخيل أنك طفل تائه في غابة مظلمة وموحشة. وفجأة، يأتيك نداء عبر جهاز اتصال لاسلكي واضح وقوي. يأتيك الصوت من والدك. يقول لك:

· بصفته "الأب العزيز": "لا تخف يا بني، أنا هنا، أنا أقوى من كل مخاوفك، ومن سيهاجمك فسأحميك منه" .هذا يمنحك القوة والشجاعة.
· بصفته "الأب الرحيم": "سأرشدك خطوة بخطوة حتى تخرج إلى بر الأمان .انتبه لتعليماتي جيداً، فأنا أعرف الطريق، وأخشى عليك من الضياع" .هذا يمنحك الطمأنينة والحب والثقة في التعليمات.

هذا هو حالنا مع "تنزيل العزيز الرحيم". القرآن هو جهاز الاتصال الذي يصلنا بالله. هو يخاطبنا بقوة العزيز التي تذهب الرهبة من قلوبنا تجاه أي قوة باطلة، وبرحمة الرحيم التي تملأ قلوبنا أملاً وثقة في أن هذا الطريق سيوصلنا إلى الجنة.

-**كيف ترد هذه الآيات على شبهات الكفار والمشركين؟

** .1شبهة أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم: ** ردت عليها الآية بقوة بقولها ﴿تنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ .فهو ليس قول بشر، بل تنزيل إلهي.
** .2شبهة أن النبي ضال أو مجنون: ** ردت عليها بقولها ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .فمن كان على صراط مستقيم بتزكية من الله لا يمكن أن يكون ضالاً.
** .3شبهة أن دعوة النبي تفرق الناس وتشق الصف: ** ردت عليها بشكل غير مباشر، فالطريق المستقيم هو الطريق الجامع الذي يجمع الناس على الحق، أما الطرق الملتوية فهي التي تفرقهم وتشتتهم في أودية الضلال.

**الطريق الوحيد للخروج من الغفلة

الغفلة هي مرض العصر. إنها نسيان الله والدار الآخرة والانغماس في ملذات الدنيا وشهواتها. كيف نخرج من هذه الغفلة؟ هذه الآيات ترسم لنا الخطة بوضوح:

.1الإيمان الجازم برسالة النبي: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ .الخطوة الأولى هي التصديق الكامل بأن محمداً هو رسول الله، وأن طاعته واجبة.
.2اتباع منهجه المستقيم: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .الخطوة الثانية هي أن نجعل سيرته وسنته نبراساً نهتدي به في كل صغيرة وكبيرة .أن نسأل أنفسنا دائماً: ماذا كان سيفعل النبي في هذا الموقف؟
.3التمسك بالقرآن الكريم: ﴿تنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ .الخطوة الثالثة هي أن نجعل القرآن رفيق دربنا،

نتلوه ونتدبره ونعمل به .إنه رسالة الله إلينا، فيها النور والهداية والشفاء.

**مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

· مفهوم "الصراط المستقيم" كمنهج حياة: إنه ليس مجرد طريق للآخرة، بل هو منهج متكامل للحياة الدنيا .السير عليه يعني الصدق في الكلام، الأمانة في العمل، العدل في المعاملة، الإحسان إلى الخلق، والعبودية الخالصة لله.
· مفهوم "العزة والرحمة" في التعامل: على الداعية والمربي أن يجمع بين هاتين الصفتين .أن يكون عزيزاً بدينه، قوياً في الحق، لا يهادن في أصوله، وفي الوقت نفسه رحيماً بالناس، رفيقاً بهم، صابراً على جهلهم وأذاهم.
· مفهوم "التنزيل" كأساس لليقين: الإيمان بأن القرآن "تنزيل" من الله هو حائط الصد ضد كل الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول مصدر القرآن .هذا اليقين هو الذي يحفظ إيمان المسلم في زمن الشكوك.

**رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، أيها السامع المنصت، ها قد وصلنا إلى ختام رحلتنا مع هاتين الآيتين الكريمتين. أريدك أن تخرج من هذا المجلس وقد تيقنت بأمرين:

أولا ً: أن الطريق واضح. لقد أقسم الله لك بالقرآن الحكيم أن محمداً رسوله، وأخبرك أنه على صراط مستقيم. فلماذا التردد؟ لماذا الحيرة؟ الطريق أمامك نيّر، والدليل هو النبي الأمين، والخارطة هي القرآن المبين.

ثانياً: أن المصدر آمن. هذا الطريق لم يرسمه بشر، ولم يخطط له مخلوق. إنه "تنزيل" من أرحم الراحمين وأعز الأقوياء. إنه تنزيل من ربك الذي يعلم ما يصلحك وما يفسدك، وما يسعدك وما يشقيك. فثق به، وتوكل عليه، وسر في هذا الطريق بعزة المؤمن ورحمة الأخ.

اجعل هذه الآيات حية في قلبك. عندما تصلي وتقرأ الفاتحة، وتقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، تذكر أن هذا الصراط هو الذي كان عليه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي شهد له به ربك. وعندما تفتح المصحف، تذكر أنك تقرأ "تنزيل العزيز الرحيم"، فتقرؤه بخشوع وتدبر، وتجعله إمامك ودليلك..
المبحث الثاني
تكملة الموضوعات والمفاهيم العملية والتربوية للآيتين4) -(5

بعد أن شرحنا بالتفصيل معنى قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ودلالاتهما البيانية والبلاغية، نأتي الآن إلى الأقسام التطبيقية التي تربط هذه المعاني الجليلة بحياتنا اليومية، وتحولها من مجرد مفاهيم نظرية إلى واقع حي نعيشه.

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين الكريمتين أن نرسخ في قلوبنا وعقولنا الحقائق التالية، وأن نترجمها إلى سلوك عملي:

.1إرادة الاعتراف والتصديق: يريد منا أن نؤمن إيماناً جازماً لا يتزعزع بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو على الحق المبين، وأن طريقه هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله .إنه يريدنا أن نردد بقلوبنا قبل ألسنتنا: "نشهد أن محمداً رسول الله"، وأن نعي أن هذه الشهادة تعني اتباع سنته وهديه.
.2إرادة اتباع المنهج لا مجرد الشخص: يريد منا أن نفهم أن حب النبي صلى الله عليه وسلم ليس مجرد عاطفة، بل هو التزام بمنهجه "الصراط المستقيم" .إنه يريدنا أن نجعل من سيرته خارطة طريق نسير عليها في كل تفاصيل حياتنا، في عباداتنا ومعاملاتنا وأخلاقنا.
.3إرادة استشعار عزة المصدر ورحمته: يريد منا أن نستشعر أن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو "تنزيل" من إله عزيز رحيم .فهو يريدنا أن نتعامل معه بهيبة من يستشعر عزة منزله، وبمحبة من يرجو رحمة من أنزله .فلا نقرأه بغفلة، ولا نعرض عنه استكباراً.
.4إرادة الثبات واليقين: يريد منا أن نكون على يقين من أن التمسك بالقرآن والسنة هو الطريق الوحيد للخروج من غفلة الدنيا وظلماتها .فمن سار على هذا الصراط المستقيم نجا، ومن حاد عنه هلك.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال الاتباع: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم "على صراط مستقيم"، فهل أنا فعلا ً أسير على هذا الصراط في حياتي؟ هل أقوال أصدقائي وأهلي ووسائل التواصل الاجتماعي هي التي تحدد مساري، أم هدي النبي صلى الله عليه وسلم؟
· مثال: عندما أغضب، هل طريقي هو الصراخ والسب، أم أتذكر حديث النبي: "ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"؟ هذا هو الصراط المستقيم.
· سؤال المصدرية: هل أشعر في قرارة نفسي أن القرآن هو "تنزيل العزيز الرحيم"؟ وهل يظهر هذا الشعور في تعظيمي له؟ هل أضعه في أعلى مكان في بيتي وأتعامل معه باحترام، أم أضعه في مكان لا يليق به؟ وهل أتلوه بخشوع أم أتلوه بسرعة دون تدبر؟
· سؤال الثقة بالحكمة الإلهية: هل أثق ثقة مطلقة أن كل ما في هذا "التنزيل" هو خير لي، حتى لو لم أفهم الحكمة منه الآن؟ عندما ينهاني عن الربا مثلا ً، هل أقول سمعاً وطاعة، أم أبحث عن فتاوى لتبرير ما تهواه نفسي؟
· سؤال العزة والرحمة في شخصيتي: أنا فرد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .هل أتحلى بعزة المسلم الذي يأبى الضيم ولا يركع إلا لله؟ وهل أتحلى برحمة المسلم الذي يعطف على الصغير ويوقر الكبير ويرحم الخلق؟ هل أنا نموذج عملي لـ "تنزيل العزيز الرحيم" في سلوكي؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الصراط المستقيم" كمنهج متكامل:
· في الفكر: الصراط المستقيم هو أن يكون فكري منضبطاً بضوابط الوحي .لا أؤمن بفكرة أو فلسفة تخالف ما جاء به القرآن والسنة .عقلي منضبط بالوحي.
· في السلوك: الصراط المستقيم هو أن يكون سلوكي في البيت والعمل والسوق وفق السنة النبوية . الصدق، الأمانة، الحياء، الكرم، هذه هي معالم الطريق.
· في المشاعر: الصراط المستقيم هو أن أحب لله وأبغض لله .أن يكون حبي وبغضي تبعاً لما يحبه الله ويبغضه.
· مفهوم "التنزيل" كمصدر لليقين والعزة:
· الإيمان بأن القرآن "تنزيل" من الله يمنح المؤمن يقيناً راسخاً لا تزلزله الشبهات .فأنت تعرف مصدر معلومتك، إنه خالق الكون.
· هذا المفهوم يمنح المؤمن عزة نفسية عظيمة .فهو لا يشعر بالنقص أمام الحضارات الأخرى أو الفلسفات البشرية، لأنه يمتلك كلام خالق البشر.
· مثال تقريبي: تخيل أنك في غرفة مظلمة، وأعطاك أحدهم مصباحاً يدوياً .ثم أخبرك آخر أن هذا المصباح صناعة محلية قد تنطفئ .ثم جاء ثالث وأخبرك أن هذا المصباح هو "تنزيل" من المهندس الذي بنى الشبكة الكهربائية للمدينة كلها، وهو المصدر الوحيد الموثوق .أيهما ستمسك به بقوة؟ إنه "تنزيل العزيز الرحيم".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:

.1اتخاذ السنة النبوية دليلا ً يومياً:
· لا تبدأ يومك دون أن تقرأ ولو حديثاً واحداً، وتسأل نفسك: كيف سأطبق هذا الحديث اليوم؟
· عند مواجهة أي مشكلة، ابحث عن هدي النبي فيها .ماذا كان يفعل عندما يحزن؟ ماذا كان يقول عندما يفرح؟ كيف كان يعامل أهله وجيرانه؟
.2ثقافة الاستمداد من "العزيز الرحيم":
· عند قراءة القرآن، استشعر أنك تسمع كلام العزيز القوي الذي لا يغلب، والرحيم الذي يريد بك الخير .هذا الاستشعار يحول التلاوة إلى لقاء حي مع الله.
· في دعائك، ناده بأسمائه: "يا عزيز، أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك .يا رحيم، ارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء".
.3جعل الصراط المستقيم مقياساً لكل قرار:

· قبل أن تقدم على أي خطوة في حياتك) زواج، وظيفة، شراكة تجارية، سفر(، اسأل نفسك: هل هذا العمل يضعني على الصراط المستقيم أم يبعدني عنه؟ هل هو مما يرضي "العزيز الرحيم" أم يغضبه؟

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين

· قيمة الوضوح والاستقامة: الحياة في ظل "الصراط المستقيم" تعني وضوح الرؤية والهدف .ليس هناك تخبط ولا حيرة، فالطريق واحد واضح.
· قيمة الثقة والأمان: الإيمان بأن ما نتبعه هو "تنزيل العزيز الرحيم" يملأ القلب ثقة وأماناً .فنحن لا نتبع بشراً مثلنا يخطئ ويصيب، بل نتبع كلام رب لا يضل ولا ينسى.
· قيمة التوازن بين العزة والرحمة: في تعاملنا مع الناس، يجب أن نكون عزيزين بمبادئنا، لا نتنازل عنها، ولكن رحماء بضعفهم وخطئهم .ننصح بالحسنى، ونعفو ونصفح.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيتين في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء الفرد الواثق المنتج: الفرد الذي يسير على "صراط مستقيم" هو فرد واضح الهدف، متوازن الشخصية، يعرف ماذا يريد من حياته .هذا الفرد هو اللبنة الأساسية لأي مجتمع قوي ومنتج.
· بناء المجتمع المتماسك: عندما تكون مرجعية المجتمع هي "تنزيل العزيز الرحيم"، فإن القوانين و التشريعات والأخلاق تكون مستمدة من مصدر إلهي حكيم، مما يضمن العدل والرحمة، ويؤدي إلى تماسك المجتمع وترابطه.
· الريادة الحضارية: الأمة التي تجعل من كتاب ربها وسنة نبيها دستوراً لحياتها، هي أمة تمتلك رصيداً إيمانياً وأخلاقياً لا ينضب .هذه الأمة هي التي تستحق أن تقود البشرية، لأنها تملك "النور" الذي يخرج الناس من الظلمات.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الكريم، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، أرجو أن تكون قد خرجت من هذه الرحلة الإيمانية وقد استقر في قلبك يقين جديد، ونشأت في نفسك عزيمة صادقة.

تذكر دائماً أنك لست تائهاً في هذه الحياة، فها هو ربك يخبرك أن نبيك الذي أمرت باتباعه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ .إنها شهادة من الله، فهل بعد شهادة الله من دليل؟

وتذكر أن الكتاب الذي بين يديك ليس مجرد كلمات، بل هو ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ .إنه رسالة حب وعزة ورحمة من خالقك إليك .كلما قرأته، فاستشعر أن العزيز الرحيم يخاطبك أنت.

فلا تجعل للغفلة طريقاً إلى قلبك .تمسك بهذا الصراط، واعتصم بهذا التنزيل، تكن من الفائزين المفلحين في الدنيا والآخرة .واجعل هاتين الآيتين شعارك في الحياة: أنا على صراط مستقيم، أتبعه بهديه صلى الله عليه وسلم، وأستمد قوتي من تنزيل العزيز الرحيم.
ثالثا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نعود لنستكمل معاً تلك الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا عند القسم العظيم بالقرآن الحكيم، وإعلان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان منهجه المستقيم ومصدره الإلهي، نأتي الآن لنقف بخشوع عند الآيات من السادسة إلى التاسعة، التي تكشف لنا عن مشهد آخر، مشهد الطرف الآخر من المعادلة: حال أولئك الذين أُرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم لينذرهم، وكيف تلقوا هذه الرسالة.

يقول الله تعالى بعد أن بين عظمة الرسالة والرسول:

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾) يس:(6
﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾) يس:(7
﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾) يس:(8
﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾) يس:(9

إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد وصف لحال الكافرين، بل هي رسم دقيق ومخيف لمراحل الغفلة و الضلال التي يمكن أن ينزلق إليها أي إنسان حين يعرض عن دعوة الحق .إنها تبدأ بالغفلة، ثم تتحول

إلى قضاء إلهي، ثم تنتهي بحصار كامل للعقل والقلب والحواس .دعنا نغوص في أعماقها لنرى كيف يرسم الله لنا طريق الضلال لنجتنبه، ونستخرج الدروس والعبر التي تنفعنا في حياتنا.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1فهم حقيقة الغفلة: أن تدرك أن الغفلة ليست مجرد نسيان عابر، بل هي مرض قلبي يمنع صاحبه من رؤية الحق، وقد تكون بداية طريق مظلم.
.2إدراك عدالة الله: أن ترى كيف أن القضاء الإلهي بالعذاب) حق القول (لا يأتي ظلماً، بل يأتي بعد ا لإعراض والغفلة والاستكبار عن الحق.
.3تحليل صور الضلال: أن تفهم بدقة الصور البلاغية المعجزة التي رسمها القرآن للأغلال والسدود، وكيف أنها تصف انغلاق منافذ الهداية عن الإنسان المعرض.
.4التطبيق العملي: أن تتعلم كيف يمكنك أن تحمي نفسك من هذه المراتب المهلكة، وكيف تجعل من كلام الله سلاحاً يبدد غفلتك، وينير بصيرتك.

**تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾) الآية(6

بعد أن بين الله عظمة كتابه وصدق رسوله، يذكر الحكمة من إنزال هذا الكتاب وإرسال هذا الرسول . إنها مهمة الإنذار.

ما هو الإنذار؟ ولمن هو موجه؟

الإنذار، كما يقول الشيخ الشعراوي، هو "التخويف من معطب مهلك، ويشترط أنْ يكون الإنذار قبل وقوع الشيء ليؤدي الإنذار مهمته في أنْ يردع الإنسان عنه" .إنه صيحة تحذير، وجرس تنبيه يقرع ليمنع الغافل من السقوط في الهاوية.

والمُنذَر بهم هنا هم "قوم" النبي صلى الله عليه وسلم وهم العرب .يقول ابن كثير: "يعني بهم العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله" .لقد كانوا يعيشون في فترة زمنية لم يأتهم فيها رسول، فسادتهم الغفلة والجهالة .وهنا يبرز معنيان مهمان في تفسير الآية:

.1معنى النفي: أي لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم من قبلك، فانقطعت عنهم رسالات السماء، فصاروا في غفلة تامة .وهذا الرأي هو الذي رجحه الطبري وابن كثير.
.2معنى الإثبات: أي لتنذرهم بما أنذر الله به آباءهم الأولين من عذاب الاستئصال .وكأن المعنى: خوفهم بما سبق أن خوف الله به الأمم السابقة من العقوبات.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعليل باللام: اللام في "لتنذر" هي لام التعليل، فهي تبين علة إرسال الرسول وإنزال الكتاب، وهي الإنذار .وهذا يربط الآية بما قبلها ارتباطاً وثيقاً، فـ "تنزيل العزيز الرحيم" كان من أجل هذه المهمة العظيمة.
· التعبير بالغفلة: قوله "فهم غافلون" فيه دقة بالغة .الغفلة ليست إنكاراً أو جحوداً بالضرورة، بل هي حالة ذهنية من عدم الوعي والإدراك .وهذا يفسر لماذا لم يؤمنوا، فهم لم يرفضوا الحق عن علم، بل هم عنه غافلون في البداية .يقول ابن عاشور: "أي فتسبب على عدم إنذار آبائهم أنهم متصفون بالغفلة وصفاً ثابتاً، أي فهم غافلون عما تأتي به الرسل والشرائع فهم في جهالة وغواية".

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة رحمة: إن إرسال النبي وإنزال الكتاب هو في الأصل رحمة من "العزيز الرحيم" .فقبل أن يحاسب الله قوماً، يرسل إليهم منذراً يوقظهم من غفلتهم .هذا يملأ قلب المؤمن طمأنينة بعدالة الله ورحمته.
· رسالة تربوية: إنها دعوة لنا لنكون "منذرين" لأنفسنا ولغيرنا .أن ننتبه لمواضع الغفلة في حياتنا، وأن نذكر أهلنا وأحبابنا بالله، ونوقظهم من سبات الانغماس في الدنيا.

· رسالة عقلية: على العاقل أن يسأل نفسه: هل أنا في غفلة عن رسالة ربي؟ هل تمر بي الأيام و الليالي دون أن أزداد قرباً من الله؟ الغفلة هي نقطة البداية لكل انحراف.

**مثال تقريبي على "الغفلة":

تخيل أنك في قاعة امتحان، والمراقب يعلن مراراً وتكراراً: "لم يتبق على نهاية الوقت إلا عشر دقائق، راجعوا إجاباتكم جيداً" .هناك طالب منهمك في الحلم أو في أمر جانبي، لا يسمع النداء، ولا يشعر بمرور الوقت .هذا الطالب هو مثال "الغافل" .سينتهي الوقت، وسيسلم ورقة ناقصة، وسيتحسر حين لا ينفع التحسر .وكذلك حالنا في الحياة الدنيا، والأنبياء والرسل هم المنذرون الذين يذكروننا بأن الوقت يمضي، وأن الحساب قادم.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية(7

هذه الآية هي نتيجة حتمية للإصرار على الغفلة وعدم الاستجابة للإنذار .إنها تعلن بكل وضوح: أن العذاب الإلهي قد وجب وثبت على أكثر هؤلاء القوم.

ما معنى "حق القول"؟

"حق القول" يعني وجب وثبت وتحقق .والمراد بالقول هنا هو كلمة العذاب التي سبق بها العلم الإلهي الأزلي .يقول الطبري: "لقد وجب العذاب على أكثرهم بأن] الله قد [حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون" .فهؤلاء - لعلم الله المسبق بهم- قد استحبوا العمى على الهدى، واختاروا الغفلة على اليقظة، فكان جزاؤهم العادل أن يحق عليهم العذاب.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التوكيد ب- "لقد": اللام و"قد" للتوكيد القوي، مما يدل على أن هذا القضاء الإلهي لا رجعة فيه، ولا مبدل لكلمات الله.
· استخدام "أكثرهم": لاحظ أن الآية لم تقل "كلهم"، بل "أكثرهم" .هذا فيه إشارة إلى أن بعضهم سيؤمن، وفيه رحمة إلهية حتى في أشد مواضع الإنذار .فباب التوبة والهداية لم يغلق بالكلية، بل الأ كثرية هم من حقت عليهم الكلمة.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تحذيرية: هذه الآية بمثابة جرس إنذار أخير وأقوى .إنها تقول لكل إنسان: احذر أن تكون ممن "حق عليهم القول" .لا تستهن بالمعاصي والغفلة، فربما تتراكم حتى تصل إلى نقطة اللاعودة، فيقضي الله عليك بالشقاء.
· رسالة طمأنينة: في المقابل، هي رسالة طمأنينة للمؤمن بأن الله لا يظلم أحداً .فهؤلاء لم يحق عليهم القول عبثاً، بل بسبب إصرارهم على الكفر والغفلة.
· رسالة عقلية: تدعونا هذه الآية لمراجعة حساباتنا باستمرار .أين موقعي من هذه الآية؟ هل أنا ممن يستجيبون للإنذار أم ممن يصرون على الغفلة؟ هل قلبي حي يستجيب لآيات الله، أم قلب غافل معرض؟

**مثال تقريبي على "حق القول":

تخيل طالباً يتكرر إنذاره من قبل إدارة المدرسة بسبب سوء سلوكه .كل مرة يعد بالإصلاح ثم يخلف . في النهاية، تقول الإدارة: "لقد صدر القرار النهائي بفصله" .هذا هو معنى "حق القول" .لم يعد هناك إنذار، بل قرار نهائي مبني على مواقف سابقة .والفرق بين مثالنا والآية، أن قرار الفصل في المدرسة مبني على اجتهاد بشري، أما "حق القول" الإلهي فهو علم أزلي محيط بكل شيء، عادل لا يظلم مثقال ذرة.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ الآية(8

بعد أن بين الله أنهم غافلون، وأن العذاب قد حق عليهم، ينتقل إلى تصوير حالهم تصويراً حسياً معجزاً، يخاطب العين والعقل معاً .هذا التصوير يشرح لماذا هم لا يؤمنون .إنهم ليسوا مجرد تائهين، بل هم مقيدون ومحبوسون عن الحق.

**تفسير الصورة البلاغية: الأغلال والإقماح

هذه الآية تمثيل رائع لحال الكفار .يقول ابن كثير: "إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمحاً".

فلنتأمل الصورة: "الغل" هو القيد الذي يجمع اليدين إلى العنق .فإذا كان الغل عظيماً، فإنه يصل إلى الذقن، مما يجبر صاحبه على رفع رأسه إلى أعلى بشكل دائم .هذا هو "الإقماح" .إنه مشهد لإنسان مقيد، مرفوع الرأس، لا يستطيع أن ينظر إلى الأسفل، ولا أن يلتفت يمنة أو يسرة .إنه عاجز تماماً عن الحركة والنظر.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الاستعارة التمثيلية: القرآن هنا يستخدم أداة بلاغية في غاية القوة، وهي "الاستعارة التمثيلية" .فهو يشبه حال الكفار في عنادهم واستكبارهم وإعراضهم عن الحق، بحال إنسان مغلول اليدين إلى عنقه، مرفوع الرأس قسراً.
· الأغلال: ترمز إلى قيود الشهوات، والتقاليد البالية، والكبر، والعناد، التي تمنعهم من مد أيديهم إلى الخير والإيمان.
· رفع الرأس: يرمز إلى الاستكبار عن الحق، وعدم الخضوع والخشوع لله .إنهم كما قال مجاهد: "رافعو رءوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم، فهم مغلولون عن كل خير".
· تصوير دقيق للحالة النفسية: هذه الصورة الحسية تنقل بدقة حالة الكافر النفسية .إنه إنسان "محاصر" بأفكاره وعاداته، لا يستطيع الخروج منها .إنه "مستكبر" لا يطأطئ رأسه للحق.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة نفسية مرعبة: هذا التصوير يبعث في النفس رهبة وخوفاً من أن تصل إلى هذه الحالة .أن يصبح الإنسان أسيراً لشهواته ومعتقداته الباطلة، لا يستطيع الفكاك منها .إنها دعوة قوية للتجرد من الهوى والكبر.
· رسالة تربوية: تعلمنا هذه الآية أن الاستجابة للحق تحتاج إلى تواضع وكسر للنفس .فرأس المؤمن منخفض خشوعاً لله، ويداه مبسوطتان بالخير والعمل الصالح .أما الكافر فرأسه مرفوع تكبراً، ويداه مقيدتان عن فعل الخير.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية لنتأمل: هل هناك "أغلال" في حياتي تمنعني من الهداية؟ هل هناك عادة سيئة، أو فكرة خاطئة، أو تكبر في قلبي يحول بيني وبين قبول الحق من أي مصدر كان؟

**مثال تقريبي على "الأغلال والإقماح":

تخيل إنساناً يعيش في عصرنا، مدمن على هاتفه الذكي ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل مرضي . إنه يقضي الساعات الطوال منحنياً على الشاشة، لا يرفع رأسه إلا قليلا ً .هذا الانحناء الظاهري، يقابله في الحقيقة "إقماح" معنوي .فهو رافع رأسه استكباراً عن سماع النصيحة، ويداه مقيدتان بـ الجهاز لا تمتدان لخير .إنه أسير لعادته، لا يستطيع الفكاك منها، شأنه شأن المغلول المقمح.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية(9

بعد أن قيدت الأغلال حركتهم، تأتي هذه الآية لتصور حصارهم من كل جانب، وإطباق الظلام على أبصارهم وقلوبهم .إنها الدرجة القصوى من الضلال والحرمان.

**معنى السدّين والتغشية

هذه الآية الكريمة ترتقي بمشهد الحرمان إلى مستوى أعمق .فبعد أن كانوا مقيدين لا يستطيعون الحركة، صاروا محاطين بحواجز عظيمة من الأمام والخلف، ثم أُغشيت أبصارهم .المفسرون اختلفوا في المقصود بهذين السدين:

· سد عن الحق: قال مجاهد وقتادة: هو سد عن الحق، فهم يتخبطون في الضلالات، فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد.
· سد الدنيا والآخرة: قال الضحاك: السد من بين أيديهم هو الدنيا بغرورها، والسد من خلفهم هو

التكذيب بالآخرة، فهم قد عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا.

والمعنى الجامع: أنهم قد سدت عليهم جميع طرق الهداية، فلا هم يبصرون ما بين أيديهم من آيات الله في الآفاق، ولا هم يتعظون بما خلفهم من أخبار الأمم السابقة وعذاب الله الذي نزل بهم .ثم جاءت الخاتمة المهلكة: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .أي جعلنا على أبصارهم غشاوة، فلم يعد هناك أي أمل في إبصارهم للحق.

**لمسات بيانية وبلاغية

· دقة استخدام "من": استخدام حرف "من" في قوله ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ له دلالة بلاغية عجيبة .يقول الدكتور فاضل السامرائي: ")من (تفيد ابتداء الغاية يعني جعل السد ليس بينهم وبين السد أي فاصل ... يعني ليس هناك فاصل بين السد وبين أيديهم" .أي أن السد ملاصق لهم تماماً، لا مجال بينهم وبينه للحركة أو الرؤية، مما يصور شدة الحصار والإطباق.
· التدرج في التصوير: الآيات الثلاث6) - (9تصور تدرجاً عجيباً في الإعراض عن الحق .يبدأ بـ)الغفلة(، ثم يتحول إلى) وجوب العذاب(، ثم يصور حالهم بـ) الأغلال (التي تقيد الحركة، ثم بـ)السدود (التي تحيط بهم من كل جانب، وأخيراً بـ) التغشية (التي تعمي الأبصار .إنه تدرج من الغفلة إلى الإحاطة الكاملة بالضلال.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة نفسية مرعبة: تخيل أنك في نفق مظلم، وقد سدّ عليك من الأمام ومن الخلف، ثم أطفئت ا لأنوار، فأنت لا ترى شيئاً على الإطلاق .هذا هو حال الكافر المعاند .إنها صورة مروعة للضياع واليأس التام، تجعل المؤمن يستعيذ بالله من هذه الحال.
· رسالة تربوية: تعلمنا هذه الآية أن الذنوب والمعاصي والإعراض عن الهدى، تتراكم حتى تصبح سداً بين العبد وربه، وغشاوة على بصيرته .فعلينا أن نطهّر قلوبنا بالتوبة والاستغفار كي لا تتراكم هذه الحجب.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى التحرر من السدود الفكرية والغشاوات النفسية التي تمنعنا من رؤية الحق .كم من إنسان لديه "سد" من التقاليد البالية، أو "سد" من الأفكار المسبقة، يمنعه من رؤية جمال الإسلام وعظمته؟

**مثال تقريبي على "السدود والتغشية":

تخيل أنك تركب سيارة، وفجأة يتكون ضباب كثيف جداً يحجب الرؤية تماماً، وفي نفس الوقت، تتعطل جميع الأضواء الأمامية والخلفية، وتجد نفسك محاصراً بسيارات أخرى من كل جانب .أنت لا تستطيع رؤية الطريق أمامك، ولا ما خلفك، ولا تستطيع التحرك .هذا هو حال المكذب المعاند .كل سبل الهداية مسدودة في وجهه بسبب إعراضه واختياره.
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس الوارده في الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن ندرك الحقائق التالية، وأن نترجمها إلى مواقف عملية في حياتنا:

.1إدراك عاقبة الغفلة: يريد منا أن نعي أن الغفلة عن الله وعن ذكره هي بداية طريق مظلم قد ينتهي إلى الضلال الأبدي .إنها ليست مجرد حالة عابرة، بل هي مرض خطير يجب علاجه.
.2فهم عدالة القضاء الإلهي: يريد منا أن نؤمن أن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .فـ "حق القول" على الكافرين لم يأت من فراغ، بل كان نتيجة حتمية لاختياراتهم وإصرارهم على الغفلة والعناد.
.3استشعار خطر قيود المعاصي والشهوات: يريد منا أن نستشعر أن المعاصي ليست مجرد أفعال، بل هي أغلال حقيقية تقيد القلب والعقل والجوارح عن فعل الخير والوصول إلى الهداية.
.4التحذير من انغلاق منافذ الإدراك: يريد منا أن نحذر من أن نصل إلى حالة ينغلق فيها علينا كل شيء، فلا نعود نرى الحق ولا نسمعه ولا نعيه، بسبب كثرة الإعراض والذنوب.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال الغفلة: هل أنا "غافل" عن الغاية التي خلقني الله من أجلها؟ هل مرت عليّ أيام لم أقرأ فيها ولو آية من كتاب الله؟ هل أشعر أن الدنيا قد أخذتني بزخرفها فألهتني عن الآخرة؟
· سؤال الإصرار: هل هناك معصية أصر عليها، أو ذنب لا أتوب منه؟ هل أخشى أن يتراكم هذا الإ صرار حتى "يحق عليّ القول"؟ هل أعتبر كل يوم يمر دون توبة هو خطوة نحو الهاوية؟
· سؤال الأغلال: ما هي "الأغلال" التي تقيدني عن طاعة الله؟ هل هي شهوة خفية؟ أم كبر في القلب يمنعني من قبول النصيحة؟ أم حب للراحة والكسل يثبطني عن العبادة والذكر؟
· سؤال السدود والغشاوة: هل أجد صعوبة في تدبر القرآن وفهمه؟ هل أصبحت أعمال الخير ثقيلة على نفسي؟ هل أجد لذة في سماع المحرمات ومشاهدتها؟ إن وجدت ذلك، فاعلم أن هناك سدوداً وغشاوة بدأت تتراكم على قلبك.

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الإنذار" كمنهج حياة للمؤمن:
· إنذار النفس: أن يراقب المؤمن نفسه، ويحاسبها قبل أن تحاسب، ويخوفها من عذاب الله وسوء الخاتمة.
· إنذار الغير: أن يكون المؤمن منذراً لأهله وأولاده ومجتمعه برفق وحكمة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
· مفهوم "الأغلال والسدود" كحالة نفسية يمكن تجاوزها:
· الأغلال ليست قدراً محتوماً على كل إنسان .فمن تاب وأقبل على الله، فك الله أسره، وأزال عنه غله، وفتح له أبواب رحمته.
· مثال: من كان مدمناً على معصية معينة، كالغيبة أو الكذب، فليجاهد نفسه على تركها .كلما تركها مرة، ضعف الغل، حتى ينفك بالكلية.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى وقاية لنا من شرور أنفسنا:

.1علاج الغفلة بالذكر:
· اجعل لنفسك ورداً يومياً من القرآن، ولو صفحة واحدة، ولكن بتدبر وخشوع.
· حافظ على أذكار الصباح والمساء، فهي حصن منيع من الغفلة والنسيان.
· أكثر من قول "لا إله إلا الله"، فهي تجلو القلب من صدأ الغفلة.
.2فك الأغلال بالتوبة والاستغفار:
· لا تذهب إلى فراشك ليلا ً إلا وقد جددت توبتك إلى الله، واستغفرت لذنوبك.
· كلما شعرت بثقل معصية على قلبك، بادر فوراً بالاستغفار، ولا تؤجل التوبة.
· جاهد نفسك على ترك عادة سيئة واحدة كل أسبوع، وسترى كيف ينفك عنك غل بعد غل.
.3إزالة السدود والغشاوة بالعلم النافع والعمل الصالح:
· اجلس مع نفسك واسألها: ما هي الشبهة أو الفكرة التي تحول بيني وبين الالتزام الكامل بدين الله؟ ثم ابحث عن إجابة لها عند العلماء الثقات.
· أكثف من أعمال الخير، فـ "إن الحسنات يذهبن السيئات" .كل حسنة تفعلها هي بمثابة نور يبدد ظلمة الغشاوة على قلبك.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة اليقظة الدائمة: التحذير من الغفلة هو دعوة إلى اليقظة الدائمة في القلب والعقل .حياة المؤمن كلها وعي ومراقبة لله.
· قيمة العدل الإلهي: الإيمان بأن "حق القول" هو نتيجة عادلة لأعمال العباد يرسخ في النفس مبدأ المسؤولية الفردية.
· قيمة الحرية الحقيقية: إدراك أن الطاعة لله والتحرر من المعاصي هي الحرية الحقيقية، أما المعاصي فهي أغلال واستعباد للشيطان والهوى.
· قيمة الأمل في رحمة الله: فرغم قسوة الصور التي ترسمها الآيات، إلا أنها لا تغلق باب الأمل .ف التوبة تجب ما قبلها، والله يبدل سيئات التائبين حسنات.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء الفرد الواعي: الفرد الذي يحذر من الغفلة ويحاسب نفسه باستمرار هو فرد إيجابي منتج، لا يعيش على هامش الحياة.
· بناء المجتمع المتماسك: المجتمع الذي يقوم أفراده على إنذار بعضهم البعض، وعلى التوبة والأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر، هو مجتمع متماسك قوي، تسوده الأخلاق والقيم.
· النهضة الحضارية: الحضارة لا تبنى على الغفلة والشهوات .إنما تبنى على سواعد أفراد أيقاظ، متحررين من أغلال الهوى، منطلقين في آفاق العلم والعمل، بعقول منفتحة على الحق، وقلوب متصلة بـالله.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، إن هذه الآيات رسمت لك خارطة طريقين لا ثالث لهما:

· طريق الهداية: الذي يبدأ بيقظة من الغفلة، واستجابة للإنذار، وتوبة نصوح.
· طريق الضلال: الذي يبدأ بغفلة، ثم إصرار، ثم تتحول المعاصي إلى أغلال، ثم يحيط بالإنسان سدود من كل جانب، حتى يصبح أعمى لا يبصر.

والخيار لك وحدك .فأنت لم تخلق لتكون غافلا ً مقيدا أعمى .أنت خلقت لتكون واعيا، حرا، مبصرا . فاستعن بـالله، وجدد توبتك الآن، وابدأ صفحة جديدة مع ربك .انظر إلى حياتك، وفتش عن أغلالك وسدودك، واهدمها بالإيمان والعمل الصالح
خامسا.
أيها القارئ الكريم، ها نحن نعود لنستكمل معاً تلك الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا عند القسم العظيم بالقرآن الحكيم، وإعلان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم على صراط مستقيم، ثم انتقلنا إلى مشهد الغافلين الذين حق عليهم القول وأحيطت بهم ا لأغلال والسدود، نأتي الآن لنقف بخشوع عند آيتين كريمتين ترسمان لنا بجلاء تام "حدود مهمة الإ نذار" و"صفات من ينتفع به".

يقول الله تعالى في ختام هذا المقطع القرآني العظيم:

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يس:(10)
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يس:(11)

إن هاتين الآيتين ليستا مجرد وصف لواقع الكافرين والمؤمنين، بل هما "توجيه إلهي" و"تطمين قلبي" للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل داعية ومصلح من بعده .إنهما يضعان النقاط على الحروف، ويوضحان أن القلوب ليست سواء، وأن الهداية ليست بيد البشر، بل بيد الله وحده .دعنا نغوص في أعماقهما لنستخرج الدرر الكامنة فيهما، ولنرى كيف نطبق هذه المعاني في حياتنا الدعوية والنفسية و العملية.

*مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1فهم حكمة الابتلاء بالمعاندين: أن تدرك أن وجود من لا يؤمنون ليس فشلا ً للداعية، بل هو سنة كونية، وعلم سابق من الله.
.2تحديد الجمهور المستهدف بالدعوة: أن تعرف أن الإنذار الحقيقي المؤثر ينصب على صنف معين من الناس، هم الذين في قلوبهم استعداد للهداية.
.3استشعار قيمة الخشية بالغيب: أن تشعر في أعماق قلبك بمعنى أن تخاف الله وتخشاه وهو غائب عن عينيك، لا يراك أحد سواه.
.4التطبيق العملي: أن تتعلم كيف تتعامل مع أصناف الناس، وكيف تتحول من مجرد ناقل للخبر إلى مبشر ومطمئن.

تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية(10

بعد أن وصف الله حال الكافرين المعاندين بأنهم في غفلة، وأن العذاب قد حق عليهم، وأنهم محاطون بالأغلال والسدود، جاءت هذه الآية لتكون النتيجة المنطقية الحتمية لهذه الحال المزرية: لقد أصبح الإنذار وعدمه عندهم سيان.

⚖ معنى "سواء عليهم"

"سواء" تعني متساوٍ ومتكافئ .والمعنى: يستوي عند هؤلاء القوم إنذارك لهم -يا محمد- وعدمه، فهم لا يؤمنون أبداً .لقد أغلقوا على أنفسهم كل منافذ الهداية، فلم يعد للإنذار فيهم أي تأثير .وهذا المعنى ليس غريباً على القرآن، فقد ورد نظيره في مواضع أخرى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة:.(6

لمسات بيانية وبلاغية

· الواو عاطفة وليست للاستئناف: الواو في بداية الآية تفيد العطف على ما سبق .وكأنها تقول: "وبسبب تلك الغفلة والأغلال والسدود والتغشية، صار الإنذار وعدمه سواءً عندهم" .وهذا يبين أن هذه الحالة ليست قدراً محضاً، بل هي نتيجة حتمية لاختياراتهم السابقة.
· همزة التسوية: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ هي "همزة التسوية" التي تدل على أن الأمرين) الإنذار وعدمه (متساويان في حقهم .وهي تعطي قوة في نفي الفائدة عن الإنذار.
· تأكيد النفي: قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هو جملة خبرية مؤكدة لنفي الإيمان عنهم، ليس في الحاضر فحسب ، بل في المستقبل أيضاً .وهذا من دلائل إعجاز القرآن، حيث أخبر عن قوم ماتوا على كفرهم فكان ا لأمر كما أخبر.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تطمين للنبي والدعاة: هذه الآية هي بمثابة "بلسم شافٍ" لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، ولكل داعية يحترق قلبه على هداية الناس .إنها تقول له: لا تحزن على من أعرضوا، فإن الأمر ليس بيدك .لقد بلغت، والله هو الهادي .هذا المعنى يريح النفس من عناء النتائج، ويجعل الداعية يركز على واجبه دون أن يتحمل مسؤولية الهداية.
· رسالة تربوية في التخطيط والجهد: تعلمنا هذه الآية أن نركز جهودنا على الفئة القابلة للهداية، وألا نضيع أوقاتنا وطاقاتنا في جدال عقيم مع معاندين لا يريدون الحق .فمن علامات الحكمة وضع الجهد في موضعه المناسب.
· رسالة عقلية: تدعونا هذه الآية للتفكر في سنة من سنن الله في خلقه، وهي أن هناك قلوباً تختار الطغيان والضلال بإرادتها، فإذا بلغت مرحلة معينة، يصبح إيمانها مستحيلا ً .وهذا ليس ظلماً، بل هو نتيجة لاختيارها الحر.

مثال تقريبي على "سواء عليهم":

تخيل أنك في فصل دراسي، وتشرح الدرس بكل حماس وإخلاص .وهناك طالب في آخر الفصل يضع سماعات ضخمة في أذنيه، ويسد أذنيه بيديه، ويدير ظهره للسبورة، وهو غاضب مصمم على ألا يسمع شيئاً .مهما رفعت صوتك، ومهما كان شرحك رائعاً، فسيان عنده أشرحت أم لم تشرح، فهو لن يفهم شيئاً لأنه أغلق على نفسه كل منافذ السمع والفهم .هذا هو حال من وصفهم الله بـ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ الآية 11)

في مقابل الصورة القاتمة للصنف الأول، تأتي هذه الآية لترسم بكل نور وضياء صفات الصنف الثاني، وهم الذين ينتفعون بالإنذار، وتنفتح قلوبهم للهداية.

تحليل دلالات القصر في "إنما"

"إنما" تفيد القصر والحصر .فكأن الله يقول لنبيه: "ليس إنذارك بمؤثر إلا في هذا الصنف من الناس، لا

فيمن أغلقوا قلوبهم وأعينهم" .وهذا القصر يوجه جهود الداعية وجهة صحيحة، ويبصره بأن ميدان دعوته الحقيقي هو النفوس الحية المستعدة.

ما هي صفات من ينتفع بالإنذار؟

الآية الكريمة ذكرت صفتين جوهريتين:

.1اتباع الذكر: "الذكر" هنا هو القرآن الكريم .و"اتباعه" يعني الإيمان به، وتصديق أخباره، والعمل بأحكامه، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه .إنه ليس مجرد سماع، بل هو استجابة عملية شاملة . قال قتادة: "اتبع القرآن وما فيه".
.2خشية الرحمن بالغيب: هذه هي الصفة القلبية العميقة ."الخشية" هي خوف مقرون بمعرفة وتعظيم، وهي أخص من الخوف المطلق .وكونها "بالغيب" يعني أنهم يخافون الله ويخشونه وهو غائب عن أبصارهم، في خلواتهم حيث لا يراهم أحد إلا الله .قال الطبري: "يخاف الله ويخشى عذابه يوم القيامة، من غير أن يعاين ذلك".

لماذا وصف الله نفسه بـ "الرحمن" في مقام الخشية؟

هذا من أروع اللمسات البيانية .اختيار اسم "الرحمن" -الذي تدل رحيم على سعة الرحمة- في موطن الحديث عن الخشية يخلق توازناً نفسياً عجيباً .إنه يخبرنا أن المؤمن الحقيقي هو من يجمع في قلبه بين خوف الجلال ورجاء الجمال.

· يخشى "الرحمن": أي أن خشيته لله ليست خشية يأس وقنوط، بل هي خشية مقرونة برجاء رحمة الله الواسعة .فهو يخاف عدله، لكنه يطمع في فضله ورحمته.

لمسات بيانية وبلاغية

· التقابل بين حال الفريقين: لاحظ التقابل البديع بين الآيتين:
· الفريق الأول: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿مُقْمَحُونَ﴾، ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ .كلها ألفاظ سلبية ونفي.
· الفريق الثاني: ﴿اتَّبَعَ﴾، ﴿وَخَشِيَ﴾، ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ .كلها ألفاظ إيجابية وإثبات.
هذا التقابل يبرز الفرق الشاسع بين الصنفين، ويجعل الصورة أكثر وضوحاً في الذهن.
· الانتقال من "الإنذار" إلى "البشارة": بدأت الآية بـ "تنذر"، وختمت بـ "فبشره" .هذا الانتقال من التخويف إلى التأمين، ومن الإنذار إلى البشارة، هو أسلوب قرآني عظيم يخاطب النفس البشرية بكل أبعادها .فالمؤمن الذي يستجيب للإنذار يستحق أن يبشر.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة نفسية للمؤمن: عندما تقرأ هذه الآية، ليمتلئ قلبك رجاءً وأملا ً وسعادة .أنت يا من تتبع القرآن وتخشى الله في سرك وعلانيتك، لك بشارة عظيمة من رب العالمين: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ .المغفرة لذنوبك، والأجر الكريم الذي لا ينقطع في الجنة .ما أعظمها من بشارة!.
· رسالة تربوية في بناء الشخصية: تعلمنا هذه الآية أن بناء الشخصية الإيمانية يقوم على ركنين أساسيين: العمل الظاهر) اتباع الذكر(، والإحساس الباطن) خشية الرحمن بالغيب .(فلا يكفي أحدهما عن الآخر .فمن اتبع الظاهر بلا خشية قلبية كان مرائياً، ومن ادعى الخشية بلا اتباع كان كاذباً.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في قيمة "العمل لله في الخفاء" .فخشية الرحمن بالغيب هي أصدق أنواع الإيمان، لأنها لا تشوبها شائبة رياء أو طلب سمعة .إنها تدل على يقين راسخ بالله و اليوم الآخر.

مثال تقريبي على "اتباع الذكر وخشية الرحمن بالغيب":

تخيل شخصين يعملان في وظيفة واحدة:

· الأول: يؤدي عمله على أكمل وجه فقط عندما يكون مديره يراقبه، فإذا غاب المدير أهمل وتكاسل . هذا ليس ممن يخشى الرحمن بالغيب.
· الثاني: يؤدي عمله بإتقان وأمانة سواء كان مديره موجوداً أم غائباً، لأنه يعتقد أن هناك من يراقبه دائماً، وهو الله رب العالمين .هذا هو مثال من "يخشى الرحمن بالغيب".

أما "اتباع الذكر" فهو أن يكون سلوكه موافقاً لتعاليم دينه، فيصدق في حديثه، ويؤدي أمانته، ولا يغش ولا يخون، عملا ً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

اهم المفاهيم والدروس والقيم في الايه

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين الكريمتين أن ندرك الحقائق التالية، وأن نترجمها إلى مواقف عملية في حياتنا:

.1إرادة الطمأنينة للداعية: يريد منا أن نطمئن بأن مهمتنا هي البلاغ والإنذار، وأما الهداية فهي بيده وحده .وهذا يعفينا من الإحباط واليأس عندما لا نرى ثمرة جهدنا فوراً.
.2إرادة التوجيه السليم للجهد: يريد منا أن نكون حكماء في دعوتنا، فنركز على النفوس المتعطشة للحق، ولا نضيع الوقت في جدال عقيم مع من أغلقوا على أنفسهم أبواب الهدى.
.3إرادة ترسيخ معايير الانتفاع بالدعوة: يريد منا أن نعلم أن الانتفاع بالإنذار مشروط بصفات محددة: اتباع القرآن وخشية الله بالغيب .وهذا يوجهنا لبناء هذه الصفات في أنفسنا أولا ً.
.4إرادة بث الأمل والرجاء: يريد منا أن نعيش في ظل البشارة الإلهية، فمن اتصف بهاتين الصفتين، فليبشر بمغفرة من الله وأجر كريم .إنها رسالة تحفيزية عظيمة.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال الانتفاع بالإنذار: عندما أسمع آيات الوعيد والتخويف من عذاب الله، هل أجد في قلبي رقة وخشية، أم أن قلبي كالحجر لا يتأثر؟ هل أنا ممن "يتبع الذكر" فيستجيب لأوامر الله، أم ممن يسمعون ثم يعرضون؟
· سؤال خشية الغيب: هل أنا ممن يخشى الله في السر والعلن؟ هل أترك المعصية عندما أكون وحدي لا لشيء إلا لأن الله يراني؟ أم أن خوفي من الناس أكبر من خوفي من الله؟ هذا هو مقياس صدق الإيمان.
· سؤال بذل الجهد في الدعوة: عندما أدعو أهلي أو أصدقائي إلى الخير ولا يستجيبون، هل أشعر با لإحباط واليأس، أم أتذكر أن الهداية بيد الله، وأن عليّ فقط البلاغ؟ هل أركز جهودي على من فيهم خير واستعداد؟
· سؤال استحقاق البشارة: عندما أقرأ قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، هل يمتلئ قلبي رجاء وأملا ً في رحمة الله؟ هل أستشعر أني -بفضل الله- ممن يستحقون هذه البشارة؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "كفاية البلاغ" في العمل الدعوي:
· في مجال الأسرة: عندما تنصح ابنك أو ابنتك مراراً وتكراراً ولا يستجيبون، لا تيأس، بل استمر في النصح بالحسنى، وادع لهم بالهداية، واعلم أنك أديت ما عليك.
· في مجال العمل: عندما ترى زميلا ً يغش أو يهمل، انصحه مرة واثنتين، فإن استجاب فبها، وإن أعرض، فاعلم أنك أديت الأمانة.
· مفهوم "اتباع الذكر" كمنهج حياة:
· أن تجعل القرآن هو دستورك في كل شيء .قبل أن تقدم على أي قرار، اسأل نفسك: ماذا يقول القرآن في هذا الأمر؟
· أن تترجم إيمانك بالقرآن إلى سلوك عملي: صدق، أمانة، عدل، إحسان.
· مفهوم "خشية الرحمن بالغيب" كرادع داخلي:
· أن تبني داخل نفسك "رقيباً ذاتياً" يمنعك من الوقوع في المعاصي عندما تكون بعيداً عن أعين الناس.
· مثال عملي: أن تجد محفظة مليئة بالمال في طريق خال، فلا تأخذها لنفسك، لأنك تخشى الله الذي يراك.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:

.1في علاقتنا بالدعوة والآخرين:
· التحرر من عقدة النتائج: لا تقيس نجاحك الدعوي بعدد الذين استجابوا لك، بل بمدى صدقك وإخلاصك في إبلاغ الرسالة.
· فرز الأولويات: ركز طاقتك على "التربة الخصبة" .ابحث عن القلوب اللينة المتعطشة للخير، واستثمر وقتك في تعليمهم وتربيتهم.
.2في بناء شخصيتنا الإيمانية:
· تربية النفس على خشية الغيب: ابدأ بأعمال بسيطة في السر .تصدق بصدقة لا يعلم بها إلا الله . صل ركعتين في جوف الليل والناس نيام .اقرأ القرآن بخشوع في غرفتك المغلقة .هذه الأعمال تنمي فيك ملكة "خشية الرحمن بالغيب".
· جعل القرآن مرجعاً عملياً: خذ قراراً بأنك لن تقدم على أي أمر جديد في حياتك) زواج، وظيفة، سفر (قبل أن تعرف حكم الله فيه .ارجع إلى أهل العلم واسألهم: ماذا يقول القرآن في هذا؟
.3في الجانب النفسي:
· عش بالبشارة: اجعل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ نصب عينيك .كلما شعرت بضيق أو هم، تذكر هذه البشارة العظيمة، فإنها تملأ القلب سعادة ورجاء.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين

· قيمة التوكل على الله: تفويض الأمر إلى الله في هداية الناس، والعلم بأن الهداية فضل منه وحده.
· قيمة التخصص في العمل الخيري: توجيه الجهد نحو الفئات الأكثر استجابة وقابلية للإصلاح.
· قيمة التوازن بين العمل الظاهر والخوف الباطن: الجمع بين اتباع الشريعة في الظاهر، وخشية الله في السر.
· قيمة الأمل والرجاء: استشعار عظمة رحمة الله، وأنها تسبق غضبه.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيتين في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء الداعية المتوازن: الداعية الذي يفهم هذه الآية لا يصاب بالإحباط، ويستمر في عطائه بثبات وحكمة، مما يضمن استمرارية تيار الإصلاح في المجتمع.
· بناء المجتمع على الإخلاص: تخيل مجتمعاً كل أفراده يخشون "الرحمن بالغيب" .سيكون مجتمعاً يسوده الأمن والأمانة، فلا تخشى فيه من غش ولا خيانة ولا ظلم، لأن الرادع الأساسي عند كل فرد هو الله وليس رجل الشرطة .هذا هو أساس النهضة الحضارية الحقيقية.
· تحقيق الأمن النفسي: انتشار مفهوم "خشية الغيب" يحقق أمنًا نفسيًا عظيمًا للأفراد، فلا يشعرون أنهم بحاجة دائمة إلى مراقبة البشر، لأنهم يعلمون أن الله يراقب الجميع.

رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أوضح الله لك الطريقين، ووضع لك الميزان الدقيق.

الطريق الأول: طريق القلوب الميتة، التي لا تنتفع بإنذار، ولا تبالي بوعيد .أصحابها قد أحاطت بهم خطاياهم، فصار الإنذار وعدمه عندهم سواء .فاستعذ بالله أن تكون منهم.

والطريق الثاني: طريق القلوب الحية، التي تنتفع بالإنذار، وتستجيب لله .وعلامتهم التي بينها الله لك هي: اتباع الذكر وخشية الرحمن بالغيب .فابحث في قلبك عن هذه العلامات، واعمل على تنميتها وتقويتها.

وأنت أيها الداعية المخلص، وأيها الأب الناصح، وأيها الأخ المربي: لا تحزن إن لم ير الناس نور دعوتك .إن مهمتك أن تبلغ، وليس عليك أن تهدي .اصرف همتك لمن فيهم خير، واتراك المعاندين لعنادهم، واعلم أن الله معك، وسيجازيك على نيتك وعملك، وليس على عدد من استجاب لك.

وتذكر دائماً، في كل مرة تقرأ فيها هذه الآية، أن الله يبشرك: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ .فاستبشر

بهذه البشرى، واعمل لها، وانتظر من الله كل خير.

سابعا

أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد الغفلة والإنذار، وعلى حال من يستوي عندهم الإنذار وعدمه، ثم على صفات من ينتفع بالإنذار وله البشرى، نأتي الآن لنقف بخشوع وخضوع عند آية عظيمة، هي حجر الزاوية في عقيدة البعث والجزاء، وواحدة من أروع صور القدرة الإلهية والعلم المحيط.

يقول الله تعالى، وهو أصدق القائلين:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس:(12

إن هذه الآية الكريمة ليست مجرد إخبار عن قدرة الله على البعث، بل هي "نداء يقظة" و"سجل مفتوح" يهز الوجدان هزاً .إنها تخاطب كل إنسان يغفل عن الحساب، وتذكره بأن حياته ليست مجرد لحظات تمر، بل هي "رصيد" يتراكم من الأعمال والآثار، يسجله الله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة .دعنا نغوص في أعماق هذه الآية العظيمة، ونرى كيف تنير لنا دروب الحياة، وكيف تدفعنا لمراجعة حساباتنا قبل فوات الأوان.

*مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1ترسيخ عقيدة البعث: أن تزداد يقيناً وإيماناً بأن الله الذي أحيانا من العدم قادر على إحيائنا بعد الموت، فلا تعجب من قدرته.
.2استشعار دقة الحساب الإلهي: أن تشعر في أعماق قلبك بأن كل صغيرة وكبيرة من أعمالك مسجلة ومحصاة، وأن الحساب آتٍ لا محالة.
.3إدراك مسؤولية الآثار: أن تدرك أن تأثيرك في الحياة لا يتوقف بموتك، بل تمتد آثار أعمالك الصالحة أو السيئة لتسجل في صحيفتك، مما يجعلك حريصاً على ترك أثر حسن.
.4التطبيق العملي: أن تتعلم كيف تستثمر هذه المعاني في حياتك اليومية، لترتقي بأعمالك، وتحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتترك أثراً طيباً من بعدك.

تفسير الآية وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾

تبدأ الآية بهذا الإعلان الإلهي العظيم، الذي يقرر حقيقة البعث والنشور، رداً على المشركين الذين كانوا يستبعدون أن يعيد الله خلقهم بعد أن يصبحوا تراباً وعظاماً.

*دلالة الإحياء والرد على المنكرين

"نحيي الموتى" يعني نبعثهم يوم القيامة أحياءً من قبورهم كما بدأناهم أول مرة .إنها حقيقة قدرية لا مفر منها، يؤكدها الله بأبلغ أساليب التوكيد.

*لمسات بيانية وبلاغية

· التوكيد بـ "إن" وضمير الفصل: قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فيه توكيدات متعددة: "إنّ" للتوكيد، و "نحن" ضمير فصل يفيد الحصر والتخصيص، ويؤكد أن الإحياء خاص بالله وحده لا يشاركه فيه أحد .إنه أسلوب قاطع يزلزل شكوك المنكرين.
· صيغة الفعل المضارع "نحيي": استخدام الفعل المضارع "نحيي" بدلا ً من الماضي "أحيينا" فيه سر بلاغي عجيب .فالمضارع يدل على التجدد والاستمرار وسهولة الفعل .وكأن الله يقول: الإحياء والإماتة فعل مستمر لنا، نفعله كل لحظة، نحيي هذا ونميت هذا، فلا تستغربوا أن نحييكم بعد موتكم، فهذا أمر هين علينا.
· الربط بين الإحياء الأول والإحياء الثاني: هذه الآية تربط بين الخلق الأول والبعث، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم: .(27 فمن قدر على الخلق من عدم، هو أقدر على الإعادة.

*الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة يقين: تملأ هذه الجملة قلب المؤمن يقيناً راسخاً بأن الموت ليس نهاية المطاف، بل هو مرحلة انتقالية، وأن البعث حق .هذا اليقين هو الذي يعطي للحياة معنى، ويجعل المؤمن يعمل للآ خرة.
· رسالة رهبة ورجاء: إنها ترهب الكافرين والمكذبين، وتبعث الرجاء في قلوب المؤمنين بلقاء الله و الجزاء الحسن.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في قدرة الله المطلقة .أليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يحيي العظام وهي رميم؟ بلى، إنه على كل شيء قدير.

*مثال تقريبي على "إحياء الموتى":

تأمل معي في فصل الشتاء، ترى الأشجار يابسة، عارية من الأوراق، لا أثر للحياة فيها، تشبه الموتى . ثم يأتي الربيع، فيهب الله الرياح، وينزل الغيث، فإذا بالأرض تهتز وتربو، وتخرج من تلك الأغصان اليابسة حياة جديدة، أوراق خضراء، وأزهار يانعة، وثمار يانعة .من الذي أخرج الحي من الميت؟ إنه الله .هذا المشهد الذي نراه كل عام هو دليل مادي على قدرة الله على إحياء الموتى، وهو مثال تقريبي يقرّب المعنى إلى الأذهان .فإذا كان الله يحيي الأرض بعد موتها، أفلا يحيي الإنسان بعد موته ؟

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾

هنا ينتقل الخطاب من تقرير قدرة الله على البعث، إلى بيان أن البعث سيكون مصحوباً بحساب دقيق .وهذا هو الجزء الذي يهز الوجدان حقاً.

**ما معنى "ما قدموا" و"آثارهم"؟

· ما قدموا: أي ما أسلفوه من أعمال في حياتهم الدنيا، خيراً كانت أو شراً .فهي أعمال قدموها لأ نفسهم ليوم القيامة .قال قتادة: "ما قدموا من عمل صالح أو سيء".
· آثارهم: وهي الكلمة التي توسع دائرة المسؤولية بشكل مذهل .والآثار هي ما تركه الإنسان بعد موته مما له تعلق بأعماله .وقد وردت أقوال للمفسرين في بيانها، كلها تجتمع على سعة هذا المفهوم:
.1 السنن الحسنة والسيئة: قال مجاهد: "وآثارهم: خطاهم بأرجلهم في الطاعة أو المعصية" .وهي السنن التي يسنها الإنسان في حياته، فيعمل بها من بعده، فله مثل أجر من عمل بها أو وزرها .كما في الحديث: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء...".
.2 آثار المشي إلى المساجد والطاعات: قال ابن عباس: "وآثارهم: خطاهم إلى المساجد" .وفي الحديث الصحيح أن بني سلمة أرادوا أن ينتقلوا قرب المسجد، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم".
.3 كل ما خلفه الإنسان من أثر: يشمل ذلك العلم الذي علمه، والكتاب الذي ألفه، والبناء الذي بناه)كالمساجد والمدارس والمستشفيات(، والولد الصالح الذي يدعو له، والصدقة الجارية، وحتى الشجرة التي غرسها فأكل منها إنسان أو حيوان.

إن مفهوم "الآثار" هنا يفتح أمام المؤمن آفاقاً واسعة للعمل، ويجعل حياته ممتدة بعد مماته.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بالماضي "قدموا": استعمال الفعل الماضي في "ما قدموا" يشعر بتحقق الأمر وكأنه قد وقع وانتهى .فهو تنبيه إلى أن الأعمال التي يفعلها الإنسان الآن ستصبح في لحظة ماضياً، وتتحول إلى "شيء مقدم" سيلقاه يوم القيامة.
· جمع "الآثار": كلمة "آثار" جمع "أثر"، وتدل على الكثرة والشمول .فهي تشمل كل ما يصدر عن الإ نسان من تأثير، مهما صغر أو كبر.
· التنبيه إلى استمرار العمل بعد الموت: عطف "آثارهم" على "ما قدموا" هو في غاية البلاغة، لأنه ينبه إلى أن عمل الإنسان لا ينقطع بموته، بل تبقى آثاره تجري عليه .قال ابن القيم رحمه الله: "من أعجب الأشياء أن تعرف ربك ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم لا تستجيب له، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعمل لغيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته..." .وهذا يدخل في آثار عمله.

*الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة نفسية عميقة: عندما تقرأ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، تشعر وكأن حياتك كلها تحت مجهر إلهي دقيق .إنه شعور يملأ القلب هيبة وخشية، ولكنه في نفس الوقت يملؤه أملا ً وطموحاً .فأنت تستطيع أن تكتب اسمك في سجل الخالدين بآثار طيبة تتركها من بعدك.
· رسالة تربوية عظيمة: هذه الآية تربي فينا الحس الأخلاقي العالي والمسؤولية المجتمعية .إنها تعلمنا أن ننظر إلى عواقب أفعالنا، وألا نكون أنانيين لا يهمنا إلا حاضرنا .إنها تحث على:
· الحرص على السنن الحسنة: أن تكون قدوة في الخير، فتنشر علماً، أو تدل على معروف، أو تصلح بين متخاصمين.
· الخوف من السنن السيئة: أن تحذر من أن تكون سبباً في نشر فساد أو بدعة أو معصية، فيلحقك وزرها ووزر من عمل بها.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى التفكير الاستراتيجي طويل المدى .ليس المهم فقط ما نفعله اليوم، بل ما سنتركه من أثر غداً .إنها دعوة للاستثمار في "الآخرة" من خلال أعمال تمتد فائدتها.

*مثال تقريبي على "الآثار":

· أثر إيجابي: معلم مخلص يعلم طلابه الأخلاق والقيم والعلم النافع .هؤلاء الطلاب عندما يكبرون، يصبحون أطباء ومهندسين ودعاة، فينفعون الناس .كل مريض يشفى على يد ذلك الطبيب، وكل بناء يشيده ذلك المهندس، وكل مهتد يهتدي على يد ذلك الداعية، كل ذلك في ميزان حسنات ذلك المعلم الأول، وهو في قبره! هذا هو معنى ﴿وَآثَارَهُمْ﴾.
· أثر سلبي: شاب يخترع موقعاً إلكترونياً أو تطبيقاً ينشر عليه مقاطع خليعة أو معلومات مضللة .بعد موته، يستمر الموقع في العمل، ويشاهده الملايين، ويفتنون به .كل من يضل بسبب ذلك الموقع، يكون على ذلك الشاب وزر من عمله، وهو في قبره! والعياذ بالله.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾

بعد أن أخبر أنه يكتب أعمال العباد وآثارهم، يأتي هذا التعميم ليشمل كل شيء في الوجود، تأكيداً على شمولية العلم الإلهي وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة.

*ما هو "إمام مبين"؟

· إمام: أي كتاب يؤتم به، ويرجع إليه لمعرفة الحقيقة .وسمي إماماً لأنه يُقتدى به في معرفة الأعمال ومقاديرها.
· مبين: أي واضح بين، لا يخفى عليه شيء، ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل.
والمقصود به عند جمهور المفسرين هو اللوح المحفوظ، الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .فهو الكتاب الجامع الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

*لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب التذييل والتعميم: هذه الجملة جاءت كتذييل وتعميم بعد تخصيص كتابة أعمال البشر .فهي تنقل المشهد من خاص) كتابة أعمال الإنسان (إلى عام) إحصاء كل شيء في كتاب مبين .(وهذا يعطي شعوراً بالعظمة والإحاطة الإلهية.
· دقة اللفظ "أحصيناه": "أحصى" في اللغة أبلغ من "عدّ" .فالإحصاء هو العد مع الضبط والإحاطة بـ التفاصيل الدقيقة .فالله لا يعد الأعمال فحسب، بل يحيط بكل تفاصيلها ودوافعها ونتائجها.
· استعارة لطيفة: تسمية اللوح المحفوظ بـ "إمام" استعارة لطيفة، حيث شبهه بإمام القوم الذي يقتدون به ويرجعون إليه في أمورهم .فالملائكة والخلق يرجعون إليه عند الحساب.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة طمأنينة وعدل: عندما يعلم المؤمن أن هناك "إماماً مبيناً" يحصي كل شيء، يطمئن قلبه إلى أن العدالة الإلهية مطلقة .لن يضيع حق، ولن يظلم أحد .كل مظلوم سينتصف، وكل مجرم سينال جزاءه.
· رسالة رقابة ذاتية: إن العلم بأن كل شيء محصى في كتاب، يولد في النفس رقابة ذاتية قوية .

فأنت لست بحاجة إلى كاميرات مراقبة أو رجال شرطة، لأن هناك كاميرا إلهية لا تغفل ولا تنام، تسجل كل شيء في "إمام مبين" .هذا الشعور هو أقوى رادع عن المعاصي، وأقوى دافع للخيرات.
· رسالة عقلية: هذه الآية تدعو العقل للتأمل في عظمة علم الله .كيف يمكن أن يحصي الله كل شيء ؟ إنه هو الخالق العليم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

مثال تقريبي على "الإمام المبين":

تخيل مؤسسة ضخمة جداً، فيها ملايين الموظفين، ولكل موظف ملف سري مفصل، يحتوي على كل صغيرة وكبيرة عن حياته الوظيفية: وقت حضوره وانصرافه بالدقيقة والثانية، إنجازاته، أخطاؤه، تقارير رؤسائه عنه، وحتى ملاحظات زملائه .هذا الملف هو "إمام" يرجع إليه عند الترقية أو المحاسبة .ولكن هذا الملف البشري ناقص، وعرضة للخطأ والنسيان .أما "الإمام المبين" الإلهي فهو كامل لا نقص فيه، لا ينسى ولا يخطئ، ويسجل حتى النوايا والخواطر.

اهم المواضيع والمفاهيم والدروس والرسائل والتوجيهات في الايه

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

يريد الله منا من خلال هذه الآية العظيمة أن نعيش في ضوء ثلاث حقائق كبرى:

1.الإيمان الجازم بالبعث: يريد منا أن نؤمن يقيناً بأننا سنبعث وسنحاسب، وأن هذا الإيمان هو المحرك الأساسي لكل عمل صالح في حياتنا.
2.استشعار مراقبة الله الدائمة: يريد منا أن نستشعر أن الله يكتب كل ما نقدمه من أعمال، وأننا في كل لحظة نصنع "ماضياً" سنلقاه غداً.
3.الحرص على ترك الأثر الصالح: يريد منا أن نكون إيجابيين، وأن نسعى لترك أثر حسن في الدنيا يمتد إلى ما بعد موتنا، فنكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ مريم:.(50

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآية:

· سؤال الإيمان بالبعث: عندما أقرأ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾، هل يتزلزل قلبي خوفاً وطمعاً، أم تمر الآ ية على مسامعي كأي كلام؟ هل أعيش حياتي وكأني سألقى الله غداً؟
· سؤال الأعمال المقدمة: ما هي الأعمال التي "قدمتها" لنفسي إلى يوم القيامة؟ هل هي أعمال ص الحة أرجو ثوابها، أم أعمال سيئة أخشى عقابها؟ هل أنا راضٍ عن "ما قدمت"؟
· سؤال الآثار المتروكة: ما هي "الآثار" التي سأتركها بعد موتي؟ هل سأترك علماً ينتفع به، أو ولداً ص الحاً يدعو لي، أو صدقة جارية؟ أم أني سأموت وأنقطع عملي؟ هل سأترك أثراً طيباً في نفوس من حولي، أم أثراً سيئاً؟
· سؤال الإحصاء الإلهي: هل أستشعر أن كل كلمة أقولها، وكل نظرة أنظرها، وكل خطوة أمشيها، محصاة في "إمام مبين"؟ هل يرتدع لساني عن الغيبة، وعيني عن الحرام، وقدمي عن المشي إلى المعاصي، لعلمي أن كل ذلك مسجل؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآية

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الإحياء بعد الموت" كمحرك للأمل والعمل:
· هذا المفهوم يعطي للحياة معنى وهدفاً .المؤمن لا يعيش عبثاً، بل يعيش ليعبد الله، وليزرع خيراً يحصده في الآخرة.
· في الحياة اليومية: عندما تصاب بمصيبة أو هم، تذكر أن هذه الدنيا فانية، وأن الآخرة هي دار القرار، فيهون عليك ما أنت فيه.
· مفهوم "كتابة الآثار" كمنهج لاستثمار الحياة:
· أنظر إلى كل عمل تعمله نظرة استثمارية: ما هو أثره بعد مماتي؟
· أمثلة عملية:
· شارك في بناء مسجد أو مدرسة أو مستشفى خيري.
· انشر علماً نافعاً على وسائل التواصل الاجتماعي.

· ازرع شجرة يستظل بها الناس والحيوانات.
· أصلح بين متخاصمين.
· اكتب وصية توصي فيها بالخير.
· مفهوم "الإمام المبين" كرادع نفسي:
· استحضر دائماً أن كل شيء محصى .هذا هو مفتاح "الورع" و"التقوى".
· تمرين عملي: قبل أن تهم بأي قول أو فعل، توقف لثوان، واسأل نفسك: هل يسرني أن أرى هذا الفعل مكتوباً في صحيفتي يوم القيامة؟

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآية إلى واقع في حياتنا:

.1في جانب الإيمان بالبعث:
· خصص وقتاً أسبوعياً لقراءة آيات البعث والقيامة في القرآن، وتأمل في أهوالها ونعيمها.
· أكثر من زيارة القبور، فإنها تذكر بالآخرة، وتدفع للعمل الصالح.
.2في جانب كتابة الأعمال والآثار:
· سجل أعمالك: احتفظ بدفتر صغير تسجل فيه يومياً "أثراً طيباً" واحداً قمت به، مهما كان صغيراً .كأن تبتسم في وجه أخيك، أو تميط أذى عن الطريق .هذا التمرين يجعلك واعياً بأعمالك ويرفع همتك.
· خطط لآثارك: اسأل نفسك: ماذا سيقول الناس عني بعد موتي؟ ما هو المشروع الخيري الذي يمكنني أن أبدأ به ويدوم لي بعد موتي؟ لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
.3في جانب الرقابة الذاتية:
· تذكرة يومية: ضع عند سريرك أو في مكان عملك آية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، لتكون لك تذكرة دائمة بمراقبة الله.
· محاسبة النفس: قبل النوم كل ليلة، حاسب نفسك على ما قدمت في يومك .استغفر لسيئاتك، واحمد الله على حسناتك.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآية

· قيمة المسؤولية الفردية: كل إنسان مسؤول عن عمله، ولن يتحمل أحد وزر أحد.
· قيمة استدامة الخير: العمل الصالح لا ينقطع بموت صاحبه، بل يستمر أثره.
· قيمة اليقين بالعدالة الإلهية: الإيمان بأن كل شيء محصى يرسخ في النفس الثقة بعدالة الله المطلقة.
· قيمة الرقابة الذاتية: وهي أعلى درجات الإيمان، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآية في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء مجتمع المسؤولية: مجتمع كل فرد فيه يشعر أنه مسؤول عن "ما يقدم" و"ما يترك من أثر"، هو مجتمع قوي متماسك، يقل فيه الفساد والظلم، ويكثر فيه الخير والإصلاح.
· تحقيق التنمية المستدامة: مفهوم "الآثار" يحفز على الاستثمار في الأعمال الخيرية والمشاريع التنموية التي تدوم، كالتعليم والصحة والزراعة، مما يضمن تنمية حقيقية مستدامة للأجيال القادمة.
· صناعة الحضارة: الحضارة الإسلامية قامت على سواعد رجال استشعروا هذه المعاني، فبنوا المساجد والمدارس والمكتبات، وألفوا الكتب، ونشروا العلم، وتركوا آثاراً خالدة نافعة .إن عودة الأمة إلى الريادة مرهونة بعودتها إلى هذه القيم.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآية العظيمة، إنها آية تحيي القلوب قبل الأجساد .إنها تقول لك بوضوح:

أنت قادم على لقاء الله لا محالة .أعددت لهذا اللقاء زاداً؟ هل نظرت في "ما قدمت"؟ هل فكرت في "آثارك" التي ستتركها خلفك؟

لا تحقرن من الخير شيئاً، فرب كلمة طيبة، أو ابتسامة صادقة، أو نصيحة مخلصة، تثقل ميزانك يوم

القيامة .ولا تحقرن من الشر شيئاً، فرب نظرة، أو كلمة، أو خطوة، تكون سبباً في شقائك.

اجعل هذه الآية نبراساً لك في حياتك .عش بها، واستشعر معناها في كل لحظة .املأ صحيفتك بالأعمال الصالحة، واترك من الآثار ما يسرك أن تراه في "الإمام المبين" يوم تلقى ربك.
.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الثاني
اولا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستأنف رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا عند مشاهد الغفلة والإنذار، وعند حقيقة البعث وإحصاء الأعمال والآثار، نأتي الآن لنقف عند مشهد جديد، مشهد ينتقل بنا من مكة إلى قرية مجهولة، لنرى من خلالها نموذجاً حياً يتكرر في كل زمان ومكان.

يقول الله تعالى بعد أن قرر حقيقة البعث والجزاء:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يس:(13)
﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ يس:(14)

إن هاتين الآيتين تفتحان أمامنا باباً واسعاً للتأمل والاعتبار .إنهما تأمران النبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلا ً، ليكون هذا المثل مرآة يَرَوْنَ فيها أنفسهم، وليكون عبرةً لمن يعتبر .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج منهما ما ينفعنا في واقعنا المعاصر، ونرى كيف يمكن أن تكون قصص القرآن حية في حياتنا اليومية.

*مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1فهم قيمة "ضرب المثل" في التربية والدعوة: أن تدرك لماذا كان أسلوب ضرب الأمثال أسلوباً قرآنياً بارزاً، وكيف يمكنك استخدامه في حياتك.
.2إدراك الحكمة من إبهام المكان والزمان: أن تفهم لماذا لم يذكر الله اسم القرية ولا موقعها، وما فائدة ذلك لنا.
.3تحليل سنة التكذيب والمواجهة: أن ترى كيف تكررت سنة الله في تكذيب الرسل، وكيف نتعامل مع هذه الحقيقة في واقعنا.
.4استخلاص دروس الصبر والثبات: أن تتعلم من صبر المرسلين كيف تثبت على دعوتك، وكيف تستشعر تقوية الله لك.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه القصة على واقعك المعاصر، وترى كيف يتكرر المشهد القرآني في حياتنا اليومية.
تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ الآية(13

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه المعاندين مثلا ً يعتبرون به، وهو مثل أهل قرية أرسل الله إليهم المرسلين.

**ما هو "ضرب المثل"؟ وما أهميته في تزكية النفس؟

"ضرب المثل" هو أسلوب تربوي وتعليمي عظيم، يعتمد على تشبيه شيء بشيء، أو عرض قصة أو حدث، لتقريب المعنى إلى الأذهان، وترسيخ العبرة في القلوب .وأهميته في تزكية النفس تكمن في عدة جوانب:

.1تحويل المعنوي إلى حسي: النفس البشرية تتأثر بالصور الحسية أكثر من المعاني المجردة .فبدلا ً من أن تقول: "لا تكذبوا الرسل"، تعرض قصة قوم كذبوا رسلهم فحل بهم العذاب، فتتخيل النفس المشهد كأنها تراه رأي العين، فترتدع وتتعظ.
.2التعريض بالنفس دون مواجهة مباشرة: المثل القرآني يعرض قصة قوم آخرين، فيرى السامع نفسه في مرآتهم، دون أن يشعر أنه المخاطب المباشر، مما يجعله أكثر قبولا ً للعظة .وهذا ما يسمى بـ "التعريض"، وهو أبلغ من التصريح في كثير من الأحيان .فكفار قريش حين سمعوا قصة أصحاب القرية، عرفوا أنهم المقصودون، ولكن الأسلوب جعلهم يستمعون ويتأثرون دون أن يكون هناك إحراج أو مواجهة عنيفة.
.3توليد الاقتناع العقلي والوجداني معاً: المثل القرآني يخاطب العقل بالمنطق والقياس) كما تدين تدان، وكما أهلك الله أولئك يهلككم إن فعلتم مثلهم(، ويخاطب الوجدان بالصور المؤثرة والمشاهد

الحية.

**لماذا لم يذكر الله اسم القرية ولا موقعها أو زمانها؟

هذا سؤال جوهري، والجواب عنه يكشف عن عظمة الأسلوب القرآني .لقد أبهم الله ذكر اسم القرية وموقعها وزمانها لحكم بالغة، منها:

.1تعميم العبرة وشمولها: لو ذكر الله اسم القرية وموقعها، لظن السامع أن القصة خاصة بأولئك القوم فقط، وربما قال: "هذا حدث في مكان بعيد وزمان غابر، لا علاقة لي به" .أما بالإبهام، تصبح القصة نموذجاً عاماً يصلح لكل زمان ومكان .فكل قرية أو مدينة أو مجتمع يكذب رسل الله، فهو داخل في هذا المثل، وكأن الآية تقول: "وانظر إلى أي تجمع بشري كذب المرسلين، فهذا مصيره" .قال ابن كثير: "هي مدينة أنطاكية ...وإنما أبهمها ليكون في ذلك إشارة إلى أنه ليس المراد منها عينها، بل المراد ضرب المثل بها".
.2التأكيد على أن العبرة بالحدث لا بالمكان: الله يريد منا أن نركز على جوهر القصة وعاقبة المكذبين، لا على البحث في تفاصيل تاريخية أو جغرافية قد تلهينا عن المغزى الحقيقي.
.3توسيع دائرة التطبيق: الإبهام يجعلنا نطبق القصة على واقعنا مباشرة .فنحن نرى بأعيننا "قرى" و "مدناً" و"مجتمعات" تُعرض عن دعوة الحق، فنتذكر أصحاب القرية، ونخشى أن يصيبنا ما أصابهم.

**لمسات بيانية وبلاغية
· الأمر "واضرب": صيغة الأمر هنا للإرشاد والتوجيه .وهي تظهر أهمية هذا الأسلوب في الدعوة .فكأن الله يقول لنبيه: "استخدم هذا السلاح القوي، سلاح ضرب المثل".
· التمهيد للحكاية بـ "إذ": كلمة "إذ" الظرفية تفيد الماضي، وتأتي هنا للانتقال بالمستمع إلى زمن وقوع الحادثة، وكأنه يعيشها الآن .وهذا من روعة الأسلوب القصصي القرآني الذي يجعل الماضي حاضراً حياً.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة نفسية للداعية: تريح هذه الآية قلب الداعية، وكأنها تقول له: "لا تحمل همّ إقناعهم بكل الوسائل، استخدم أسلوب القصص والأمثال، فهو أنجع وأبقى أثراً في النفوس".
· رسالة تربوية للمتعلم: تعلمنا هذه الآية أن نطلب من معلمينا ومن دعاة الحق أن يضربوا لنا الأمثال، وأن نقبل على القصص القرآني بقلوب واعية لتستخرج منها العبر.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للبحث عن العبرة من القصة، لا الانشغال بتفاصيلها الثانوية .العاقل هو من ينتفع بالعبرة، لا من يبحث عن أسماء الأماكن والأشخاص فقط.
**مثال تقريبي على "ضرب المثل" وأهميته في تزكية النفس:
تخيل أنك تريد أن تنصح صديقاً لك يتعامل بالربا، ويزعم أن ذلك هو عين العقل والذكاء التجاري .بد لا ً من أن تقول له مباشرة: "أنت على باطل، وسيدخلك الله النار"، تستطيع أن تضرب له مثلا ً من واقع الحياة .تقول له: "هل سمعت بقصة فلان الذي كان يتعامل بالربا؟ لقد جمع مالا ً كثيراً في وقت قصير، ثم فجأة خسر كل شيء، وأصيب في صحته وأهله، ومات مفلساً مريضاً" .هذا المثل الواقعي يخاطب عقله ووجدانه، ويجعله يتصور نفسه مكان ذلك الشخص، فيرتدع ويخاف أن يصيبه ما أصابه، دون أن يشعر أنك تهاجمه شخصياً .هذا هو أثر "ضرب المثل" في تزكية النفس.
ثانياً:
قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ الآية(14
تبدأ الآية في سرد تفاصيل القصة .إنها تحكي لنا قصة إرسال الرسل إلى هذه القرية، وتكذيب القوم لهم، ثم تقوية الله لهم برسول ثالث.

*ماذا نتعلم من تعزيز الله للرسل بثالث؟
هذه الجزئية من القصة تحمل في طياتها دروساً عظيمة:
.1تعزيز الحق بالحق: الله لا يترك الحق وحيداً .عندما يشتد الكرب، ويستفحل التكذيب، يرسل الله المدد والتأييد .إنه يرسل الرسل أولا ً اثنين ليقيم الحجة على القوم، فلما كذبوهما وازدادوا عناداً، لم يتركهما الله، بل "عززهما" بثالث .وهذا يعلمنا أن نكون على يقين بأن الله معنا، وأنه يؤيد الحق وأهله في الوقت المناسب .قال قتادة: "أي قويناهما وشددناهما بثالث".
.2إقامة الحجة البالغة: إرسال ثلاثة رسل متتابعين هو من باب إقامة الحجة الكاملة على القوم، حتى لا يكون لهم أي عذر يوم القيامة .فكلما ازدادوا تكذيباً، ازداد الله إقامة للحجة عليهم.
.3سنة التتابع في الدعوة: في هذا درس للدعاة بألا ييأسوا إذا كذبوا في بداية الأمر، بل يستمروا في الدعوة، ويتعاونوا مع إخوانهم، ويعززوا جبهة الحق بكل قوة .فالتعاون والتآزر بين الدعاة سنة

إلهية، وهو من أعظم أسباب النصر والتمكين.
**ما الفرق بين "التكذيب" و"الإعراض" في الآية؟
هذا سؤال دقيق، ويوضح مراتب رفض الحق:
· التكذيب: هو الرفض القاطع والجازم، مع الجحود والإنكار الصريح .وهو ما فعله أهل القرية أولا ً حين "كذبوهما" .قالوا: ما أنتم إلا رسل، بل أنتم بشر مثلنا، وما أنزل الرحمن من شيء، إن أنتم إلا تكذبون.
· الإعراض: هو رفض سماع الحق وعدم الالتفات إليه، دون إنكار صريح في بعض الأحيان .وقد يكون أشد خطراً من التكذيب أحياناً، لأن المكذب قد يبحث عن الحجة ليردها، أما المعرض فهو في غفلة تامة لا يشعر معها بضرورة البحث عن الحق.
والآية هنا تركز على "التكذيب" لأن السياق في بيان شدة عنادهم وجحودهم، مما استوجب التعزيز بثالث، ثم ما تلاه من عذاب.
**لمسات بيانية وبلاغية
· التعبير بـ "فعززنا": الفعل "عززنا" مشتق من العزة والقوة .وفيه إشارة إلى أن الله هو الذي يمنح العزة والقوة لأوليائه .فالتعزيز ليس مجرد زيادة في العدد، بل هو تقوية معنوية ونفسية من الله .قال الطبري: "فشددنا بأخ لهما وقويناهما به".
· تصوير التسلسل الزمني: استخدام حرف العطف "ف" ثلاث مرات) فكذبوهما، فعززنا، فقالوا (يصور تسلسل الأحداث بسرعة ووضوح، ويجعل القارئ يعيش تتابع المواقف: إرسال، تكذيب، تعزيز، إعلان ب الرسالة.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة نفسية للمرسلين: تمنح هذه الآية الدعاة طمأنينة عجيبة .إنهم ليسوا وحدهم في المعركة .قد يتأخر النصر، وقد يشتد البلاء، ولكن ثقوا أن الله سيرسل لكم من يعززكم ويثبت أقدامكم.
· رسالة تربوية في الصبر والمثابرة: تعلمنا هذه الآية أن لا نستعجل النتائج .الرسل الثلاثة لم ييأسوا عندما كذبهم القوم، بل استمروا في دعوتهم .الصبر هو زاد الداعية في طريق الدعوة.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في عاقبة التكذيب .إن إصرار القوم على التكذيب بعد أن أرسل الله إليهم ثلاثة رسل، يدل على أن المشكلة ليست في قلة الأدلة، بل في إرادة الكفر والعناد .وهذا يعلمنا أن نلوم أنفسنا قبل أن نلوم الظروف.
**نموذج تطبيقي: هل شعرت يوماً بتقوية الله لك حين استعنت به في أمر حق؟
أيها القارئ الكريم، تأمل في حياتك الخاصة .هل وقفت يوماً تدافع عن حق، أو تنشر خيراً، أو تنهى عن منكر، فوجدت الناس يكذبونك ويسخرون منك، وشعرت بالضعف والوحدة؟ ثم فجأة، أرسل الله لك من يعززك ويقويك: صديق صدوق، أو كتاب نافع، أو فكرة ملهمة، أو حدثاً غير متوقع قلب الموازين؟
هذا هو "التعزيز الإلهي" الذي وعد الله به أولياءه .إنه يأتي في الوقت المناسب، وبالصورة التي لا تخطر على بال .المهم أن نكون صادقين مع الله، وأن نستعين به وحده .قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.
**مثال من واقعنا المعاصر: شاب مسلم في إحدى الجامعات الغربية، يتعرض لحملة من الزملاء والأ ساتذة بسبب تمسكه بدينه وحجابه .يشعر بالضيق والغربة .وفجأة، يرسل الله له أستاذاً منصفاً يدافع عن حريته الدينية، أو طالباً آخر اعتنق الإسلام بسبب صموده وثباته .فيشعر هذا الشاب أن الله "عززه" وقواه، تماماً كما عزز الله الرسل بالثالث.
اهم المواضيع والقضايا والدروس والتوجيهات والمفاهيم المستنبطه من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟
يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين الكريمتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:
.1استخدام أسلوب ضرب المثل في الدعوة والتربية: يريد منا أن نكون حكماء في دعوتنا، نستخدم الأساليب التي تؤثر في النفوس، ومن أعظمها ضرب الأمثال.
.2الاعتبار بقصص السابقين: يريد منا أن نقرأ قصص القرآن لا للتسلية، بل للاعتبار والعظة، وأن نطبقها على واقعنا.
.3الثبات على الحق والصبر على الأذى: يريد منا أن نقتدي بالمرسلين في صبرهم وثباتهم، وألا نيأس مهما اشتد التكذيب.
.4التعاون والتآزر في الدعوة إلى الله: يريد منا أن نكون يداً واحدة، نعزز بعضنا بعضاً، ونقوي جبهة الحق.
.5التوكل على الله والثقة في نصره: يريد منا أن نوقن بأن الله معنا، وسيؤيدنا بالمدد والتأييد الذي لا نحتسبه.
الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(
والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:
· سؤال ضرب المثل: عندما أريد أن أنصح أحداً، أو أعلم أبنائي، هل أستخدم أسلوب القصص والأ

أمثال، أم أكتفي بالأوامر والنواهي الجافة؟ هل قصصي وأمثلتي قريبة من الواقع ومؤثرة؟
· سؤال التعزيز الإلهي: عندما أواجه صعوبات في طريق الدعوة أو الإصلاح، هل أتذكر أن الله قادر على أن "يعززني" بجنود لا أعلمها؟ هل أثق في نصر الله وتأييده؟
· سؤال التكذيب والإعراض: عندما أرى من يكذب بالحق أو يعرض عنه، هل أشعر باليأس، أم أتذكر أن هذه سنة الله في خلقه، وأن مهمتي هي البلاغ وليس الهداية؟
· سؤال القدوة بالمرسلين: عندما أقرأ قولهم ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ بكل ثبات ووضوح، هل أنا واضح في دعوتي، صريح في إعلان الحق، أم أتخفى وأخاف من مواجهة الناس؟
الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين
لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:
· مفهوم "ضرب المثل" كمنهج تعليمي وتربوي:
· في تربية الأبناء: بدلا ً من أن تقول لابنك: "لا تكذب"، احكِ له قصة الراعي الكذاب الذي أكل الذئب غنمه .هذا المثل يرسخ في ذهنه قيمة الصدق أضعاف ما ترسخه النصيحة المباشرة.
· في مجالس الوعظ والإرشاد: استخدم القصص الواقعية والقصص القرآني لتقريب المعاني .فالقصة تدخل القلب بلا استئذان.
· مفهوم "التعزيز الإلهي" كسنة ماضية:
· لا تنتظر النصر الفوري .اعمل واجتهد، وكن على يقين أن الله سيرسل لك من يعززك في الوقت المناسب.
· في العمل الجماعي: شجع زملاءك في العمل الدعوي، وكن أنت أداة تعزيز لهم .كن "الرسول الثالث" الذي يقوي به الله جبهة الحق.
· مفهوم "الصبر على التكذيب" كطريق للنصر:
· التكذيب ليس نهاية المطاف، بل هو جزء من طريق الدعوة .الأنبياء واجهوا التكذيب بأنواعه، فاصبر وصابر.
· تطبيق عملي: إذا واجهت تكذيباً في أمر حق، فاستعن بالله، واطلب منه الثبات، ولا تتراجع.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:
.1في الدعوة إلى الله:
· تعلم فن ضرب الأمثال: اقرأ في قصص الأنبياء والسلف الصالح، واجمع منها أمثلة واقعية . اربطها بحياة الناس اليومية.
· الصبر وعدم اليأس: إذا لم تر استجابة فورية، فتذكر الرسل الثلاثة الذين استمروا في الدعوة رغم التكذيب.
.2في بناء الشخصية الإيمانية:
· تربية النفس على الثبات: عندما تواجه ضغوطاً لتترك أمراً من دينك، تذكر قول الرسل: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾، واثبت على مبدئك.
· طلب العزة من الله: لا تطلب العزة من الناس، بل اطلبها من الله .هو الذي "عزز" الرسل، وهو الذي يعزك.
.3في التعامل مع الواقع المعاصر:
· ضرب المثل على واقعنا: أنت ترى بأم عينك "قرى" و"مدناً" تُكذب بدعوة الحق، وتستهزئ بـ المصلحين .انظر إلى حال هذه المجتمعات: هل تجد فيها سعادة وأمناً واستقراراً؟ أم ترى فيها القلق و الانتحار والتفكك الأسري؟ هذه هي عاقبة التكذيب والإعراض، وقد بدأت تظهر في الدنيا قبل الآخرة . قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ العنكبوت:.(40
· أن تكون "مؤمن آل ياسين" في زمانك: ستأتي قصة مؤمن آل ياسين في الآيات القادمة .فكر كيف يمكنك أن تكون مثله، مدافعاً عن الحق، ناصحاً لقومك، صابراً محتسباً.
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين
· قيمة القصص والأمثال في التربية والدعوة.
· قيمة الإبهام في التعميم وإطلاق العبرة.
· قيمة التعاون والتآزر بين أهل الحق.
· قيمة الصبر والثبات على المبدأ.
· قيمة الثقة في نصر الله وتأييده.
الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيتين في البناء والتنمية والحضارة
هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:
· بناء مجتمع واعٍ متعظ: المجتمع الذي يضرب أفراده الأمثال ويتعظون بالقصص، هو مجتمع يملك ذاكرة تاريخية حية، ويستفيد من أخطاء الماضي.

· بناء جبهة داخلية قوية: التعاون والتآزر بين أهل الخير والإصلاح هو صمام أمان المجتمع، وهو الذي يصنع النهضة.
· صناعة القدوات الصابرة: قصص الأنبياء والمرسلين تصنع في الأمة قدوات صابرة مثابرة، لا تنكسر أمام التحديات، وهذه القدوات هي التي تقود مسيرة الحضارة.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك
أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد فتح الله لك نافذة تطل منها على سنة من سننه في خلقه .إنها سنة المدافعة بين الحق والباطل، وسنة التكذيب والتصديق.
تذكر دائماً أنك في "قرية" من قرى هذا العالم، وقد جاءتك رسالة الله .فإما أن تكون من المصدقين الصابرين، الذين يبشرون بالجنة، وإما أن تكون من المكذبين المعرضين، الذين تحق عليهم كلمة العذاب.
فاختر لنفسك، وكن صاحب موقف .لا تكن ممن يسمعون القصص ثم يمرون عليها مرور الكرام، بل كن ممن يتعظون ويعملون.
وانظر حولك، ألا ترى "أصحاب القرية" في كل مكان؟ ألا ترى المجتمعات التي تعرض عن شرع الله، وتستهزئ بالمصلحين؟ إن قصة أصحاب القرية ليست مجرد تاريخ، بل هي واقع نعيشه كل يوم .
فاعتبر، وادعُ، واصبر، واثبت، وانتظر نصر الله، فإنه آتٍ لا محالة.
ثانيا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نواصل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة «يس»، قلب القرآن النابض. بعد أن ضرب الله لنا مثلا ً بأصحاب القرية، وأخبرنا بإرسال الرسل إليهم وتعزيزهم بثالث، نأتي الآن لنقف عند المشهد الحاسم، مشهد المواجهة المباشرة بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله. إنها الآيات التي تكشف لنا عن أعماق النفس البشرية المعاندة، وعن الأساليب الواهية التي يلجأ إليها المكذبون للهروب من الحق.
يقول الله تعالى على لسان المرسلين وقومهم:
·﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾· يس:(15
·﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾· يس:(16
·﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾· يس:(17
إن هذه الآيات الثلاث هي مرآة صادقة تعكس حواراً خالداً بين الحق والباطل. إنها تصور لنا بعمق آليات الإنكار والتكذيب في النفس البشرية، وكيف أن الإنسان قد يلجأ إلى حجج واهية ليرفض دعوة الله. دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونحلل أساليب المكذبين النفسية والسلوكية، ونستخلص الدروس التي تنفعنا في حياتنا وواقعنا المعاصر.
**مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
.1فهم حقيقة المساواة البشرية بين الرسل والناس: أن تدرك أن الرسل بشر مثلنا، وهذه الحقيقة هي سر من أسرار الحكمة الإلهية في الاصطفاء، وليست عيباً يقدح في رسالتهم.
.2تحليل سيكولوجية الإنكار والتكذيب: أن تفهم الآليات النفسية التي تدفع الكفار إلى رفض الحق، مثل المقارنة السطحية، والتشكيك في مصدر الرسالة، واتهام أهل الحق بالكذب.
.3إدراك تناقض المكذبين: أن ترى كيف أنهم يذكرون اسم "الرحمن" ثم ينكرون إنزاله للوحي، مما يكشف عن اضطرابهم الفكري.
.4تعلم أدب المرسلين في الرد: أن تتعلم من أدب الرسل وثباتهم كيف ترد على الشبهات بالحجة و اليقين، لا بالجدال العقيم.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتحذر من أساليب المكذبين المعاصرين، وتتعلم كيف تثبت على الحق في وجه الشائعات والاتهامات المرسلة.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها
أولا ً:
قوله تعالى: ·﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾· (الآية 15)
بعد أن أعلن الرسل رسالتهم بقولهم: ·﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾·، جاءهم الرد القاسي من قومهم. إنه رد يحمل في طياته كل معاني الرفض والعناد، ويكشف عن عقلية سطحية تأبى أن ترى الحق إلا من خ لال إطارها المادي الضيق.
**إثبات أن الرسل بشر يشاركون الناس صفاتهم البيولوجية الأساسية
الآية تثبت بوضوح أن الرسل بشر مثلنا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويحتاجون إلى الرزق، ويتعرضون للأمراض والموت. وهذا ليس موضع خلاف، بل هو حقيقة أقرها القرآن في مواضع كثيرة: ·﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾· (الكهف: 110).
ولكن السؤال الجوهري: لماذا كان الرسل بشراً؟ ولماذا لم يرسل الله ملائكة؟
**الحكمة الإلهية في ذلك عظيمة:
.1لتحقيق الأسوة والقدوة: لو كان الرسول ملكاً، لما استطاع البشر أن يتأسوا به .فكيف لإنسان

ضعيف أن يقتدي بملك لا يأكل ولا يشرب ولا يتعب؟ ولكن عندما يكون الرسول بشراً، يشاركهم نقاط ضعفهم البشرية، ويواجه ما يواجهون من تحديات، ثم يتغلب عليها بالوحي والإيمان، يصبح نموذجاً عملياً قابلاً للتطبيق .قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب:.(21
.2لإقامة الحجة على البشر: لو أرسل الله ملكاً، لقال الناس: "إنه جنس آخر غير جنسنا، لا نستطيع أن نفهمه أو نقتدي به" .أما مع الرسول البشري، فتتم الحجة كاملة، لأنه يتكلم بلسانهم، ويحس بإحساسهم، ويفهم مشاكلهم.
.3لبيان قدرة الله في اصطفاء البشر: اصطفاء الله لبشر من بين البشر هو دليل على قدرته أن يجعل من الإنسان العادي، بقوة الوحي والإيمان، إنساناً عظيماً، وهذا يعطي أملاً لكل إنسان أن يرتقي بنفسه إلى مراتب الكمال الإنساني.
**تحليل سيكولوجية الإنكار والتكذيب لدى الكفار
الآية الكريمة تصور لنا بعمق آليات علم النفس والسلوك لدى الإنسان المنكر للحق. فلنحلل عباراتهم بدقة:
.1المقارنة السطحية والتجاهل للحكمة الإلهية:
· قولهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ هو حجة واهية، تقوم على المقارنة الحسية السطحية .إنهم يرون الرسل بأعينهم: يأكلون، يشربون، يمشون في الأسواق .فيقولون لأنفسهم: "ما داموا مثلنا في الظاهر، فلا يمكن أن يكونوا مميزين عنا بالرسالة".
· هذه النظرة المادية التجريبية السطحية تحصر الحقيقة في المحسوس فقط، وترفض كل ما وراء المادة .إنهم يريدون دليلاً مادياً على الرسالة: لماذا لا ينزل علينا ملك؟ لماذا لا تكون له جنة وقصور؟ هذا هو منطق العقلية المادية التي لا تؤمن إلا بما تلمسه بيدها.
.2التشكيك في مصدر الرسالة:
· قولهم: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ هو إنكار صريح للوحي الإلهي .إنهم يرفضون فكرة أن الله "الرحمن" يمكن أن ينزل شيئاً على بشر .وهنا يظهر تناقضهم العجيب:
· هم يذكرون اسم "الرحمن"، وهذا اعتراف ضمني بوجود الله، ولكنهم في نفس اللحظة ينكرون رحمته التي تقتضي إرسال الرسل لهدايتهم! فكأن رحمة الله في مفهومهم قاصرة على أمور الدنيا المادية فقط) المطر، الرزق(، وليست شاملة للهداية الروحية .هذا اضطراب فكري واضح.
.3اتهام أهل الحق بالكذب:
· قولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ هو قمة الجحود والعناد .بدلاً من أن يتهموا أنفسهم بالغفلة، أو على الأقل يتوقفوا ويتأملوا في صدق الرسل، يقفزون مباشرة إلى اتهامهم بالكذب .وهذا ما يسمى في علم النفس بـ "الإسقاط"، حيث يُسقط الإنسان عيوبه وأخطاءه على الآخرين.
**كيف يحاول الكفار تزييف المفاهيم وقلب الحقائق؟
أسلوب الكفار هنا هو نموذج متكرر في كل زمان ومكان:
· شخصنة الفكرة: بدلاً من مناقشة مضمون الرسالة) التوحيد، الأخلاق، العدل(، يهاجمون شخص الرسل) أنتم بشر مثلنا .(وهذا الأسلوب الخبيث يهدف إلى صرف الأنظار عن قوة الفكرة وجوهرها، وا لانشغال بشخص الداعية.
· نشر الشائعات لتزييف المفاهيم: اتهام الرسل بالكذب هو شائعة الهدف منها تشويه صورتهم أمام الناس، وجعل الناس ينفرون منهم .وهذه حرب نفسية قديمة قدم التاريخ.
· قلب الحقائق: الحق هو أن الرسل صادقون، وأن الله أنزل عليهم الوحي .أما الكفار فيقلبون هذه الحقيقة رأساً على عقب، فيجعلون الصادقين كاذبين، والمنزّل غير منزّل.
*"لمسات بيانية وبلاغية
· القصر في "ما أنتم إلا بشر مثلنا": أسلوب القصر بـ "ما" و"إلا" يفيد الحصر، وكأنهم يقولون: "أنتم بشر فقط، ولا شيء غير ذلك" .وهذا يدل على أنهم يرون البشرية مانعاً من النبوة، وهي نظرة قاصرة.
· القصر في "إن أنتم إلا تكذبون": أيضاً أسلوب قصر، يؤكدون به حصر الرسل في صفة الكذب .وهو منتهى الجحود والعناد.
· استخدام اسم "الرحمن": تناقضهم يظهر في استخدامهم لهذا الاسم الجليل الذي يدل على سعة الرحمة، ثم إنكارهم لأعظم مظاهر رحمته وهو إرسال الرسل.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحذيرية من التفكير السطحي: تدعونا الآية إلى تجاوز النظرة السطحية للأمور .فلا نحكم على الناس بمظاهرهم، ولا نرفض الحق بسبب من جاء به .كم من شخص بسيط في هيئته، ولكنه عظيم في علمه وإيمانه!
· رسالة في التعامل مع الشائعات: تعلمنا الآية أن المكذبين يستخدمون سلاح الشائعات والاتهامات المرسلة .فعلينا أن نتثبت ولا ننساق وراء كل ما يقال.
· رسالة في التواضع وقبول الحق: الكبر هو الذي منع الكفار من قبول الحق .قالوا: كيف يكون بشر مثلنا رسولاً؟ فالكبر هو أول ذنب عصي به الله .لذا، فإن التواضع هو مفتاح قبول الحق.

**نموذج تطبيقي على واقعنا المعاصر:
انظر إلى واقعنا المعاصر، ألا ترى نفس الأساليب تتكرر؟
· عندما يقوم داعية إسلامي مخلص يدعو إلى الفضيلة، تجد من يهاجمه قائلا ً: "ما هو إلا شخص عادي، يخطئ ويصيب، له أخطاؤه في الماضي" .إنهم يحاولون شخصنة الفكرة وتشويه شخصية الداعية لصرف الناس عن رسالته.
· عندما يتكلم عالم عن حرمة الربا، تجد من يقول: "هذا كلام رجعي، لا يناسب العصر الحديث" .إنهم يرفضون الحق دون حجة منطقية، ويكتفون بحجج واهية مثل "هذا لا يناسب العصر".
· انتشار الشائعات على وسائل التواصل الاجتماعي لتشويه سمعة المصلحين هو صورة عصرية لقولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (الآية 16)
في مقابل جحود الكفار واتهاماتهم، يأتي رد الرسل في غاية الأدب والحكمة والثبات. إنهم لا ينفعلون، ولا يردون الإساءة بمثلها، بل يلجأون إلى الله، ويؤكدون رسالتهم بكل يقين.
**تحليل رد الرسل: ثبات وحكمة
1.الاحتكام إلى علم الله المطلق: الرسل لم يقولوا: "نحن صادقون"، بل قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ .وهذا في غاية الأدب والتوكل .إنهم يفوضون الأمر إلى الله، ويكلون علم صدقهم إليه . وهذا يعلمنا أن لا نجادل بالباطل، وأن نحتكم إلى الله الذي يعلم السر وأخفى.
2.التأكيد على حقيقة الرسالة: رغم التكذيب، لم يتردد الرسل في إعادة تأكيد رسالتهم: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ .وهذا يعلمنا الثبات على المبدأ وعدم التزعزع أمام ضغوط المكذبين .الحق لا يتغير بتكذيب المكذبين.
**لمسات بيانية وبلاغية
· الجملة الاعتراضية: قولهم: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جملة اعتراضية بين اسم "إن" وخبرها، تفيد توكيد الصدق، وتفويض الأمر إلى الله.
· التوكيد ب- "إن" واللام: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فيه توكيد قوي، يدل على يقينهم الراسخ برسالتهم، وأن تكذيب الكافرين لا يغير من الحقيقة شيئاً.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في الصبر على جفاء المدعوين: تعلمنا هذه الآية كيف نتعامل مع من يكذبنا ويجحد حقنا .لا نرد الإساءة بالإساءة، بل نلجأ إلى الله، ونستمد منه القوة والثبات.
· رسالة في الثقة بالمنهج: الرسل واثقون كل الثقة من أنهم على الحق، لذلك لا يبالون باتهامات الكافرين .هذه الثقة هي التي يجب أن يتحلى بها كل داعية وكل صاحب حق.
· رسالة في عدم التعامل بالعاطفة: رد الرسل كان عقلياً ومنطقياً وروحانياً، ولم يكن رد فعل عاطفياً متسرعاً .وهذا يعلمنا أن نضبط عواطفنا في المواقف الصعبة، وأن نتعامل بموضوعية.
**نموذج تطبيقي على واقعنا المعاصر:
تخيل أنك موظف مخلص في عملك، اتهمك زملاؤك بالتقصير أو بالكذب. بدلا ً من أن تدخل في صراع ومراء معهم، يمكنك أن تقول بثقة: "حسبي الله ونعم الوكيل، هو يعلم صدقي وإخلاصي". ثم تستمر في عملك بهمة ونشاط. هذا هو منهج الرسل: الاحتكام إلى الله، والاستمرار في أداء الواجب.
ثالثاً:
قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (الآية 17)
هذه الآية هي تتويج لرد الرسل، وهي إعلان واضح عن حدود مسؤوليتهم. إنها تريح قلب الداعية، وتضع الأمور في نصابها الصحيح.
**معنى "البلاغ المبين"
"البلاغ" هو الإعلام والإيصال .و"المبين" هو الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا غموض .فمهمة الرسل هي أن يوصلوا رسالة الله إلى الناس بكل وضوح وشفافية، دون تزييف أو تحريف .أما الهداية و التوفيق للإيمان، فذلك أمر بيد الله وحده.
**لمسات بيانية وبلاغية
· أسلوب القصر ب- "ما" و"إلا": ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يفيد حصر مهمة الرسل في البلاغ فقط . وهذا ينفي عنهم مسؤولية النتائج، ويريح ضمائرهم.
· وصف البلاغ ب- "المبين": هذا الوصف مهم جداً .فليس المطلوب مجرد بلاغ، بل بلاغ واضح، مقنع، يزيل الشبهات، ويقيم الحجة على الناس.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة طمأنينة للداعية: هذه الآية هي دستور كل داعية .إنها تقول له: "لا تحمل هم النتائج، ولا تيأس إن لم يستجب الناس .مهمتك أن تبلغ بوضوح، والله هو الذي يهدي من يشاء".
· رسالة في التركيز على الجوهر: تدعونا الآية إلى التركيز على جوهر مهمتنا) البلاغ المبين(، وعدم الا نشغال بالنتائج التي هي بيد الله.
· رسالة في التواضع: الرسل لم يقولوا: "وما علينا إلا أن نجبركم على الإيمان"، بل قالوا: "وما علينا إلا

البلاغ" .وهذا هو التواضع لله، والإقرار بأن الهداية فضل منه وحده.
*" نموذج تطبيقي على واقعنا المعاصر:
الأب الذي ينصح ابنه مراراً وتكراراً، ويوجهه إلى طريق الخير، ولكن الابن يصر على طريق الغواية. على هذا الأب أن يتذكر قول الرسل: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. لقد أدى واجبه، وبلغ رسالته بوضوح، وعليه بعد ذلك أن يكثر من الدعاء لابنه بالهداية، ويفوض الأمر إلى الله. هذا المفهوم يريحه من تأنيب الضمير والشعور بالتقصير، ويجعله يستمر في النصح دون يأس أو انقطاع.
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس المستنبطه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟
يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:
.1أن لا نحتقر أحداً لظاهره: يريد منا أن نتجاوز المظاهر والأشكال، فكم من إنسان بسيط المنظر عظيم الجوهر .فالرسل كانوا بشراً مثلنا، ومع ذلك كانوا أفضل الخلق وأعظمهم.
.2أن نحذر من التفكير السطحي ورفض الحق بلا حجة: يريد منا أن نستخدم عقولنا بشكل صحيح، وألا نرفض الحق لمجرد أن من جاء به لا يعجبنا شكله أو وضعه الاجتماعي.
.3أن نتحلى بالصبر والثبات عند مواجهة التكذيب: يريد منا أن نقتدي بالرسل في صبرهم وحكمتهم، وألا ننجرف وراء ردود الأفعال العاطفية.
.4أن نتوكل على الله ونفوض الأمر إليه: يريد منا أن نعلم أن الله يعلم صدقنا وإخلاصنا، وأنه هو الذي سيتولى حساب المكذبين.
.5أن نركز على مهمتنا) البلاغ (ولا ننشغل بالنتائج: يريد منا أن نؤدي واجبنا على أكمل وجه، ثم نترك النتائج لله، فذلك أريح للنفس وأدعى للاستمرار في العطاء.
الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(
والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:
· سؤال النظرة السطحية: هل سبق لي أن رفضت نصيحة أو حقاً لأن قائله كان أقل مني في المستوى الاجتماعي أو العلمي؟ هل أنا ممن يقولون في أنفسهم: "ما هذا إلا شخص عادي مثلي، كيف ينصحني؟"؟
· سؤال التعامل مع الاتهامات: عندما أتهم بالباطل في أمر من أمور الحق، كيف يكون رد فعلي؟ هل أنفعل وأرد الإساءة بالإساءة، أم ألجأ إلى الله وأقول: "ربي يعلم حقيقة أمري"؟
· سؤال الثبات على المبدأ: هل أنا ممن يتزعزعون أمام ضغوط الناس وتكذيبهم، أم أني أثبت على مبدئي وحقي مهما كذب المكذبون؟
· سؤال البلاغ المبين: عندما أوكلت إلي مهمة دعوية أو إصلاحية، هل أركز على إيصال الرسالة بوضوح وأمانة، ثم أتوكل على الله في النتائج، أم أني أحمل نفسي فوق طاقتها وأشعر بالإحباط إذا لم أر استجابة فورية؟
الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات
لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:
· مفهوم "التجرد من الهوى عند سماع الحق":
· قبل أن تحكم على كلام أحد، جرد نفسك من مشاعرك الشخصية تجاهه .انظر إلى مضمون الكلام ، لا إلى شخص قائله.
· تمرين عملي: إذا سمعت نصيحة من شخص لا تحبه، لا ترفضها فوراً .خذ نفساً عميقاً، واسأل نفسك: "هل في هذه النصيحة حق؟" إذا كان فيها حق، فاقبلها، واحمد الله أن هداك على يد من لا تحب.
· مفهوم "محاربة الشبهات والتثبت من المعلومات":
· في عصر الشائعات، كن على حذر .لا تصدق كل ما يقال، خاصة إذا كان اتهاماً موجهاً لأهل الحق والإصلاح.
· آلية عملية: قبل أن تشارك خبراً أو اتهاماً على وسائل التواصل، تأكد من مصدره، وابحث عن الحقيقة من مصادر موثوقة .تذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾)الحجرات:.(6
· مفهوم "الصبر على جفاء الناس":
· الدعوة إلى الله ليست مفروشة بالورود .ستجد من يكذبك ويسخر منك .هذا هو طريق الأنبياء، فاصبر واحتسب.
· خلاصة عملية: لا تجعل رضى الناس غايتك .غايتك هي رضى الله .إذا أرضيت الله، فلا يضرك من سخط.
الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟
هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:
.1في مواجهة التكذيب الشخصي:
· إذا واجهت تكذيباً في أمر حق، فلا تدخل في جدال عقيم .قل بثقة: "الله يعلم صدقي" .ثم تابع

طريقك.
· الدعاء: أكثر من دعاء: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها".
.2في تربية النفس على قبول الحق:
· تعود على أن تقول: "أخطأت" إذا تبين لك الحق .فهذا هو التواضع الذي يقربك من الله.
· التفكر: تأمل في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كيف كان أشد الناس عداوة للإسلام، فلما شرح الله صدره للحق، أصبح من أعظم الدعاة إليه.
.3في التعامل مع الشائعات:
· كن مصدراً لنشر الطمأنينة والتحقق، لا مصدراً لنشر الشائعات.
· قاعدة ذهبية: "لا تكن ناقلا ً للشائعات، بل كن ناقداً لها".
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات
· قيمة التواضع وقبول الحق من أي مصدر.
· قيمة الثبات على المبدأ في وجه التكذيب.
· قيمة الاحتكام إلى الله وتفويض الأمر إليه.
· قيمة التركيز على المهمة) البلاغ (دون الانشغال بالنتائج.
· قيمة محاربة الشبهات والتثبت من المعلومات.
الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة
هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:
· بناء مجتمع متماسك: المجتمع الذي يتحلى أفراده بالتواضع وقبول النصيحة، هو مجتمع يتطور وينمو باستمرار.
· بناء إعلام صادق وواع: تطبيق مبدأ التثبت من المعلومات يؤدي إلى مجتمع إعلامي واع، لا تؤثر فيه الشائعات، ويستطيع مواجهة حروب الجيل الرابع والخامس.
· صناعة دعاة صابرين: الثقة بالمنهج والصبر على الأذى يصنعان دعاة أقوياء، قادرين على قيادة الأمة نحو النهضة الحضارية.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك
ثالثاً
أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد كشف الله لك في هذه الآيات عن حقيقة الصراع الأزلي بين الحق والباطل. لقد رأيت كيف أن الباطل يستخدم دائماً نفس الأسلحة: التشكيك، والتكذيب، والشائعات، وشخصنة الفكرة.

فلا تكن ضحية لهذه الأساليب. كن واعياً، فطناً، متثبتاً. إذا جاءك الحق، فاقبله بتواضع، ولو كان على لسان من لا تحب. وإذا كنت على الحق، فاثبت ولا تبال باتهامات المكذبين، وقل كما قال الرسل الكرام: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.
تذكر أن الله معك، وهو يعلم صدقك وإخلاصك. وهو الذي سيتولى الدفاع عنك، وسيظهر الحق ويبطل الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشهد التكذيب الأول، حيث رفض الكفار رسالة الرسل بحجة أنهم بشر مثلهم، واتهموهم بالكذب، نأتي الآن لنقف عند مشهد جديد، مشهد يكشف عن أعماق النفس البشرية عندما تُحاصر بالحق، وعن آلياتها الدفاعية التي تلجأ إليها للهروب من مواجهة الحقيقة.

يقول الله تعالى على لسان قوم القرية وهم يخاطبون الرسل:

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) يس:(18
﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾) يس:(19

إن هاتين الآيتين الكريمتين هما بمثابة "تشريح نفسي" دقيق لعقلية الكافرين وسلوكهم .إنهما تكشفان لنا عن مفهوم التطير) التشاؤم(، وعن آلية الإسقاط النفسي التي يلجأ إليها الإنسان لتبرير فشله، وعن العدوانية السلوكية التي تظهر عندما تعجز الحجة .وفي المقابل، تظهران لنا أدب الحوار وثبات المؤمن في وجه التهديد والاتهام .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج منهما ما ينير لنا دروب حياتنا وواقعنا المعاصر.
*"مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
.1فهم ظاهرة "التطير") التشاؤم (كمرض نفسي واجتماعي: أن تدرك كيف أن الإنسان يلجأ إلى

التشاؤم بالآخرين ليتجنب مواجهة أخطائه ومسؤوليته.
.2تحليل آلية "الإسقاط النفسي" لدى الكافرين: أن تفهم كيف أنهم ينسبون فشلهم وشؤمهم إلى الرسل، بدلا ً من مراجعة أنفسهم.
.3إدراك خطورة التشاؤم على الفرد والمجتمع: أن ترى كيف أن التشاؤم يعطل حركة الحياة، ويمنع ا لإصلاح، ويؤدي إلى العنف والعدوان.
.4تعلم أدب الحوار والثبات النفسي من الرسل: أن تتعلم كيف ترد على التهم والتهديدات بهدوء وثقة ، مع بيان الحقائق وتذكير الناس بمسؤوليتهم الفردية.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتتجنب التشاؤم، وتتحمل مسؤولية أفعالك، وتتعامل بحكمة وثبات مع من يتهمك بالباطل.
*" تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما
أولا ً:
قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية(18

بعد أن أعلن الرسل الثبات على رسالتهم، وأن مهمتهم هي البلاغ المبين، ينتقل الكفار إلى مرحلة جديدة من الرفض .إنها مرحلة أكثر عنفاً وظلاماً .لم يعودوا يكتفون بالتكذيب، بل بدأوا في توجيه ا لاتهامات القاسية والتهديدات العلنية.
**مفهوم "التطير") التشاؤم (كآلية نفسية دفاعية
"التطير" أو "التشاؤم" هو عادة جاهلية قديمة، كانوا إذا أرادوا القيام بأمر ما، نظروا إلى طير، فإن طار يميناً تفاءلوا ومضوا، وإن طار شمالا ً تشاءموا ورجعوا .ثم تطور المفهوم ليشمل التشاؤم بكل شيء: بالأشخاص، بالأماكن، بالأيام، بالأرقام.
في هذه الآية، يقول الكفار للرسل: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: "تشاءمنا بكم، فمنذ أن جئتمونا، انقطع عنا الغيث، وضاقت أرزاقنا، وحلت بنا المصائب" .وهذا الموقف يكشف عن آلية نفسية دفاعية تسمى في علم النفس الحديث بـ "الإسقاط
**ما هو "الإسقاط النفسي"؟ وكيف يتجلى في الآية؟
الإسقاط النفسي هو آلية دفاعية لا شعورية، يلجأ إليها الإنسان لنقل مشاعره وأخطائه وعيوبه إلى شخص آخر أو شيء آخر، ليتجنب مواجهة الحقيقة المرة عن نفسه، وليحمي ذاته من الشعور بالذنب أو الفشل.
وفي الآية، يتجلى الإسقاط النفسي بوضوح:
· الكفار يعيشون في ضلال وفساد وإسراف، وهذا هو السبب الحقيقي لما قد يصيبهم من بلاء وشدة)كما في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.(
· بدلا ً من أن يعترفوا بأن أفعالهم هي سبب شؤمهم، وبدلا ً من أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله، يقومون بإسقاط هذا الشؤم على الرسل الأبرياء .إنهم ينسبون فشلهم وضيق رزقهم إلى وجود الدعاة المصلحين، لا إلى فسادهم هم.
**لماذا يلجأ الإنسان إلى التشاؤم بالدعاة والمصلحين عند حدوث الكوارث؟
هذا السلوك متكرر في التاريخ وفي واقعنا المعاصر .عندما يظهر داعية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويبدأ المجتمع في مواجهة أزمات اقتصادية أو كوارث طبيعية، يخرج بعض الناس ليقولوا: "هذا بسبب تشددكم، هذا بسبب دعوتكم التي أغضبت الآلهة أو الطبيعة أو المجتمع الدولي!" .لماذا يفعلون ذلك؟
.1الهروب من تحمل المسؤولية الفردية والجماعية: الاعتراف بأن الفساد والظلم والانحراف هو سبب البلاء، يتطلب تغييراً شاملا ً في السلوك، وهذا صعب على النفس .أما إلقاء اللوم على الدعاة، فهو أسهل وأريح للضمير.
.2الخوف من التغيير: الدعوة إلى الحق تهدد المصالح والمنافع التي يعيش عليها المبطلون .لذا، فإنهم يحاولون تشويه صورة الدعاة وربطهم بالشؤم، لتبرير رفضهم لهم ولحشد الناس ضدهم.
.3تفسير الأحداث من منظور مادي سطحي: العقلية المادية لا ترى رابطاً بين المعاصي والبلاء .هي ترى فقط أن الدعاة جاءوا، ثم حدثت المصائب، فتربط بينهما ربطاً سطحياً) اقتراناً زمنياً لا سببياً .(وهذا مناف لمنطق الإيمان الذي يربط الأسباب بالنتائج على نحو غيبي.
**خطورة التشاؤم وتحميل الآخرين مسؤولية الفشل
للتشاؤم وإلقاء اللوم على الآخرين آثار مدمرة على الفرد والمجتمع والحضارة:
· على الفرد: يمنعه من مراجعة نفسه وتصحيح أخطائه .يعيش في دوامة من الإحباط واليأس، ويفقد القدرة على الإبداع والمبادرة.
· على المجتمع: يخلق بيئة من العداء والبغضاء، حيث يتحول المصلحون إلى أعداء، ويتحول الفساد إلى قدر مقدور لا يمكن تغييره .وهذا يؤدي إلى الجمود والتخلف.
· على الحضارة: الحضارات التي تسود فيها عقلية التشاؤم وإلقاء اللوم، لا تنهض أبداً .النهضة تتطلب عقليات متفائلة، تتحمل مسؤولية أخطائها، وتبحث عن حلول حقيقية، لا عن كبش فداء.

*" مفهوم العدوانية السلوكية: التهديد بالرجم والعذاب الأليم
بعد اتهام الرسل بالشؤم، ينتقل الكفار إلى مرحلة العدوانية السلوكية الصريحة: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
هذا التهديد يعكس سيكولوجية الجماهير الرافضة للتغيير .عندما تواجه الجماهير بحقائق علمية أو إيمانية جديدة تهدد موروثاتها ومصالحها، فإنها تلجأ إلى العنف والترهيب كآلية دفاعية جماعية لحماية هذا الموروث .إنهم يريدون إسكات صوت الحق بأي ثمن.
والملاحظ أن التهديد جاء على درجتين:
.1الرجم: وهو القتل بالحجارة، وهي أشد أنواع القتل وأكثرها إيلاماً وإهانة.
.2العذاب الأليم: وهو تهديد عام يشمل كل أنواع التعذيب والإيذاء.
وهذا يدل على أن قلوبهم قد امتلأت بالغيظ والحنق على الرسل، وأنهم وصلوا إلى مرحلة من العمى العقلي والروحي تجعلهم لا يرون إلا العنف وسيلة للتعامل مع الحق.
*" لمسات بيانية وبلاغية
· صيغة القسم في "لئن لم تنتهوا": اللام في "لئن" هي موطئة للقسم، مما يعطي قوة في التهديد و الوعيد.
· استخدام "نرجمنّكم" و"يمسّنّكم": صيغة الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة تدل على العزم و الإصرار على تنفيذ التهديد.
· الانتقال من الاتهام النفسي إلى التهديد الجسدي: هذا التسلسل) اتهام بالشؤم، ثم تهديد بالرجم (يصور بدقة تطور موقف المكذبين من الرفض الفكري إلى العدوان العملي.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحذيرية من التطير والتشاؤم: تعلمنا الآية أن التشاؤم بالدعاة والمصلحين هو عادة جاهلية قبيحة، وهو دليل على مرض القلب وضعف الإيمان .المؤمن الحق لا يتطير، بل يتفاءل ويتوكل على الله .قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل" .قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الطيبة".
· رسالة في تحمل المسؤولية: تدعونا الآية إلى أن نرجع إلى أنفسنا عند حدوث المكاره، ونتساءل: ما هي ذنوبنا وتقصيرنا الذي أدى إلى هذا؟ بدلا ً من أن نلقي باللوم على المصلحين .قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾) الشورى:.(30
· رسالة عقلية: تعلمنا الآية أن نرفض التفسيرات السطحية للأحداث .لا يكفي أن يحدث شيئان في نفس الوقت لنقول إن أحدهما سبب الآخر .يجب البحث عن العلاقات السببية الحقيقية بعمق.
*" نموذج تطبيقي على واقعنا المعاصر:
· في الاقتصاد: ترى دولة تعاني من أزمة اقتصادية خانقة، فيخرج بعض المسؤولين والإعلاميين ليقولوا: "هذا بسبب الفساد الذي يحاربه الدعاة والمصلحون، لقد أغضبونا المجتمع الدولي!" .بينما السبب الحقيقي هو الفساد المالي والإداري والظلم الاجتماعي .هذا هو التطير والإسقاط النفسي.
· في التربية: طالب مهمل في دروسه، يرسب في الامتحان .بدلا ً من أن يعترف بإهماله، يقول: "هذا بسبب شؤم الأستاذ الفلاني، أو لأن الامتحان جاء صعباً جداً".
· في الحياة الشخصية: شخص يعاني من مشاكل زوجية، فيلقي باللوم على صديق نصحه بالزواج، قائلا ً: "تشاءمت بك، منذ أن نصحتني بالزواج وأنا في مشاكل!" .وهو بذلك يتهرب من مسؤوليته في إصلاح علاقته الزوجية.
ثانياً:
قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾) الآية(19
في مقابل التهديد والوعيد، يأتي رد الرسل ليكون نموذجاً في الحكمة والثبات والأدب .إنهم لا يردون العنف بالعنف، ولا التهديد بالتهديد، بل يردون بالحجة والمنطق، ويذكرونهم بالحقيقة التي يحاولون الهروب منها.
*" تحليل رد الرسل: ثبات وحكمة وتذكير بالحقيقة
.1نفي التطير وإثبات المسؤولية الفردية: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.
· "طائركم" أي: ما تطيرتم به من الشؤم، أو ما قدر لكم من خير وشر، هو ملازم لكم، وهو ناتج عن أعمالكم أنتم .إنه ليس بسببنا .هذه الجملة القصيرة تنسف فكرة الإسقاط النفسي من جذورها، وتعيد المسؤولية إلى أصحابها الحقيقيين .إنها تؤكد على مبدأ السببية والمسؤولية الفردية .فسعادة الإ نسان وشقاؤه مرتبطان بعمله وسلوكه.
.2التعجب من رفض التذكرة: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾.
· هذا الاستفهام هو استفهام تعجب وإنكار .والمعنى: "أبسبب أننا ذكرناكم بالله ودعوناكم إلى الحق، تطيرتم بنا وهددتمونا؟!" .إنهم يستنكرون أن تكون الهداية والنصيحة سبباً للشؤم والعقاب .وهذا يبين أن القوم قد انقلبت موازينهم، فأصبحوا يرون الخير شراً، والمعروف منكراً.
.3بيان العلة الحقيقية للمشكلة: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.
· هذا هو التشخيص الدقيق للمشكلة .إنهم لم يكتفوا بنفي التهمة عن أنفسهم، بل ذهبوا إلى أبعد

من ذلك، وبينوا السبب الحقيقي لشؤمهم ومصائبهم: إنه الإسراف.
· ما هو الإسراف؟ الإسراف هو تجاوز الحد في كل شيء .وهو يشمل الإسراف في المعاصي و الذنوب، والإسراف في الشهوات والملذات، والإسراف في الظلم والعدوان .إنه انحراف عن الفطرة السوية، وعن حدود الله.
· وهنا تكمن عظمه وإعجاز الايه القرآنية في ربط الأسباب بالنتائج .الآية تحصر سبب العذاب و الشؤم في "الإسراف"، وتنفيه عن الدعوة إلى الحق .فالدعوة إلى الله هي مصدر الخير والبركة، أما الخروج عن حدوده والإسراف فهو مصدر الشر والبلاء.
"" *كيف نستفيد من هذا الرد في حياتنا؟
هذا الرد يعلمنا دروساً عظيمة في أدب الحوار والمواجهة:
· الهدوء والثقة: الرسل لم يرتبكوا أمام التهديد بالقتل .ردوا بكل ثقة وهدوء، لأنهم واثقون من حقهم، ومتوكلون على الله.
· عدم الانجرار وراء الانفعالات: لم يردوا على الشتيمة بالشتيمة، ولا على التهديد بالتهديد .بل ردوا بـ المنطق والحجة.
· التذكير بالحقائق: لم يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم، بل انتهزوا الفرصة لتذكير القوم بحقيقة قد غفلوا عنها: أن أفعالهم هي سبب بلائهم.
· التشخيص الدقيق للمشكلة: بدلا ً من الاتهامات العامة، قدموا تشخيصاً دقيقاً: "أنتم قوم مسرفون" . وهذا التشخيص هو أول خطوة نحو العلاج.
**لمسات بيانية وبلاغية
· الإيجاز المعجز: في جملة واحدة قصيرة ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾، نسف الرسل فكرة التطير وأرسوا مبدأ المسؤولية الفردية.
· استفهام التعجب "أئن ذكرتم": هذا الاستفهام يظهر مدى انقلاب المفاهيم لدى الكافرين، ويجعلهم يراجعون أنفسهم ولو للحظة.
· أسلوب الإضراب بـ "بل": "بل" للإضراب الانتقالي، والانتقال من نفي التهمة إلى إثبات العلة الحقيقية ، وهو أسلوب قوي في الحوار.
· وصفهم بـ "مسرفون": هذه الكلمة تحمل دلالات واسعة تشمل كل انحراف فكري وسلوكي، وهي تفسر كل ما هم فيه من بلاء.
""*الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في التربية على المسؤولية الفردية: ترسخ الآية في نفوسنا مفهوم أن الإنسان هو صانع سعادته أو شقائه .فلا فائدة من إلقاء اللوم على الآخرين أو الظروف.
· رسالة في تعزيز التفاؤل: الإيمان بأن الخير والشر بيد الله، وأنه لا شؤم ولا عدوى، يملأ قلب المؤمن تفاؤلا ً وأملا ً .فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى البحث عن الأسباب الحقيقية للمشكلات .فبدلا ً من الانشغال بالأ عراض) التطير بالدعاة(، يجب معالجة جذور المشكلة) الإسراف والانحراف.(
*" نموذج تطبيقي على واقعنا المعاصر:
· في العمل الدعوي: عندما يواجه الداعية اتهاماً بأنه سبب الشؤم والفتن، فعليه أن يرد بهدوء وثقة: "مشاكلكم هي بسبب إسرافكم وبعدكم عن دين الله، وليس بسبب تذكيرنا لكم .عودوا إلى الله، تنحل مشاكلكم".
· في التربية الأسرية: ابن يمر بفترة مراهقة صعبة، فيتهم والديه بأنهم سبب تعاسته .رد الوالدين الحكيم: "تعاستك هي نتيجة لبعض تصرفاتك الخاطئة وإسرافك في السهر أو إهمال دروسك .عد إلى رشدك، وسترى الأمور تتحسن".
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس المستنبطه من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.ترك عادة التطير والتشاؤم: يريد منا أن نطهر قلوبنا من هذه العادة الجاهلية، وأن نعيش متفائلين متوكلين على الله.
2.تحمل مسؤولية أفعالنا: يريد منا أن نتوقف عن إلقاء اللوم على الآخرين، وأن نراجع أنفسنا عند وقوع المصائب.
3.الرد على الباطل بالحكمة والثبات: يريد منا أن نقتدي بالرسل في ردودهم، فلا ننجرف وراء الانفعا لات، بل نتمسك بالحجة والمنطق.
4.فهم أن الإسراف هو سبب البلاء: يريد منا أن نعي أن الالتزام بحدود الله هو مصدر الخير والبركة ، وأن الخروج عنها هو سبب الشر والشقاء.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(
والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:
· سؤال التطير والتشاؤم: هل أنا ممن يتشاءمون من بعض الناس أو الأماكن أو الأرقام؟ هل ربطت يوماً بين قدوم شخص صالح وحدوث مصيبة لي؟ هل أتذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الطيرة وأحب الفأل الحسن؟
· سؤال الإسقاط النفسي: عندما أواجه فشلا ً أو مشكلة، هل يكون أول ما أفكر فيه هو البحث عن سبب خارجي ألقي عليه باللوم؟ أم أراجع نفسي وأسأل: ما هو دوري في هذه المشكلة؟ ما الذي يمكنني تغييره في نفسي لأتحسن؟
· سؤال تحمل المسؤولية: عندما أرى مصائب تحل بالمسلمين، هل أقول: هذا بسبب بعدنا عن ديننا وإسرافنا في المعاصي، أم ألقي باللوم على المستعمرين والمتآمرين فقط؟
· سؤال رد الفعل عند الاتهام: إذا اتهمني أحد بالباطل، هل أنفجر غاضباً وأرد الشتيمة بمثلها، أم أحاول أن أكون هادئاً وحكيماً وأرد بالحجة كما فعل الرسل؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:
· مفهوم "التفاؤل" كقيمة إيمانية:
· استبدل كلمات التشاؤم بكلمات التفاؤل .لا تقل: "أنا متشائم من هذا اليوم"، بل قل: "تفاءلوا بالخير تجدوه".
· تمرين عملي: كل صباح، قل: "اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، وأعوذ بك من شره" .وابدأ يومك بنية صالحة وأمل في الله.
· مفهوم "المسؤولية الفردية" كأساس للتغيير:
· شعارك في الحياة: "لن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" .ابدأ بنفسك .غير من عاداتك السيئة قبل أن تطلب من الآخرين أن يتغيروا.
· قاعدة ذهبية: عندما ترى مشكلة، اسأل نفسك أولا ً: ما هو دوري في حل هذه المشكلة؟ ما الذي أستطيع فعله؟
· مفهوم "الحكمة في الرد" كسلاح للداعية:
· تعلم أن تتحكم في غضبك .قبل أن ترد على من أساء إليك، خذ نفساً عميقاً، واستعذ بالله من الشيطان، وفكر في أفضل رد.
· تذكر: "المؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟
هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:
.1في التغلب على عادة التشاؤم:
· كلما وجدت نفسك تتشاءم، قل بصوت عال: "اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك".
· أكثر من قول: "الحمد لله على كل حال" .فالحمد يطرد التشاؤم ويملأ القلب رضا.
.2في تحمل المسؤولية وإصلاح الذات:
· قم بمحاسبة يومية لنفسك قبل النوم .اسأل نفسك: ما الخطأ الذي ارتكبته اليوم؟ وكيف يمكنني تجنبه غدا؟
· لا تكن ممن ينشغلون بعيوب الناس عن عيوبهم .قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا".
.3في التعامل مع الاتهامات الباطلة:
· إذا اتهمك أحد بشيء لم تفعله، فلا تدافع عن نفسك بعنف .قل بثقة: "حسبي الله ونعم الوكيل . الله يعلم براءتي".
· ثم تابع عملك الصالح، فالأعمال هي خير دليل على صدقك.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين
· قيمة التفاؤل ونبذ التشاؤم.
· قيمة تحمل المسؤولية الفردية.
· قيمة الحكمة والثبات في مواجهة الباطل.
· قيمة ربط الأسباب بالنتائج) الإسراف يؤدي إلى البلاء.(
· قيمة الصدق مع النفس وعدم اللجوء إلى الإسقاط النفسي.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيتين في البناء والتنمية والحضارة
هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:
· بناء مجتمع متفائل ومنتج: المجتمع الذي ينبذ التشاؤم ويتحلى أفراده بالتفاؤل، هو مجتمع مبدع ومنتج، قادر على مواجهة التحديات وتحقيق النهضة.
· بناء مجتمع قوي متماسك: عندما يتحمل كل فرد مسؤوليته، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب غيره، فإن المجتمع يصبح قوياً متماسكاً، خالياً من الأمراض الاجتماعية كالأنانية وإلقاء اللوم على الآخرين.
· صناعة حضارة قائمة على الحق والعدل: الحضارة الحقيقية تقوم على أكتاف أناس لا يخافون في الله لومة لائم، يردون على الباطل بالحكمة، ويتمسكون بالحق مهما كانت التحديات.

رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك
أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد فتح الله لك نافذة تطل منها على أعماق النفس البشرية، وكشف لك عن آلياتها الدفاعية المريضة كالإسقاط والتطير .ورسم لك في المقابل نموذجاً رائعاً للثبات والحكمة في شخص الرسل الكرام.

تذكر دائماً أن طائرك معك .سعادتك وشقاؤك، نجاحك وفشلك، هي نتاج عملك أنت واختيارك أنت .فلا تكن ممن يلقي باللوم على الآخرين والظروف .كن رجلا ً أو امرأة تتحمل مسؤولية أفعالها.
وانبذ التشاؤم من حياتك .تفاءل بالله، وتوكل عليه، واعلم أن الخير كله بيديه .وإذا واجهت اتهاماً باطلا ً أو تهديداً، فاثبت كالجبال، ورد بالتي هي أحسن، وقل بلسان حالك ومقالك: "ربي يعلم، وحسبي الله".
رابعا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد التكذيب والتطير والتهديد من قوم القرية، نأتي الآن لنقف بخشوع وإعجاب أمام مشهد بطولي خالد، مشهد رجل آمن بالحق، ولم يمنعه بُعدُ مكانه أو قلةُ ناصريه من أن يسعى سعياً حثيثاً لنصرة دين الله، وأن يكون صوت الحق في مجتمع ضلّ وأضلّ.

يقول الله تعالى:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ يس:(20
﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يس:(21

إن هاتين الآيتين الكريمتين ليستا مجرد استكمال للقصة، بل هما "إعلان إلهي" عن ميلاد بطل، و "درس عظيم" في المبادرة الإيجابية، والشجاعة في الحق، والنزاهة والتجرد .إنهما ترسمان لنا ملامح الشخصية المسلمة الواعية التي تصنع التغيير، وتضع لنا معايير القدوة الصالحة التي يجب أن نتبعها .
دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستلهم منهما كيف نكون "رجالا ً" و"نساءً" من أقصى المدينة ، يسعون بالخير والإصلاح.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
.1ترسيخ قيمة المبادرة الإيجابية والشجاعة: أن تتعلم كيف تتحول من مجرد متفرج إلى فاعل إيجابي، تأخذ زمام المبادرة لنصرة الحق، في أسرتك وعملك ومجتمعك.
.2فهم معايير اختيار القدوة والنموذج: أن تدرك أن القدوة الحقة هي من تجمع بين الكفاءة والهداية، والنزاهة والتجرد عن المطامع الشخصية.
.3تحليل شخصية "الرجل" المؤمن: أن تفهم دوافعه النفسية، ووعيه الاجتماعي، وشجاعته الفائقة، وكيف استطاع بكلمته أن يغير مسار الأحداث.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتصبح أنت "الرجل" أو "المرأة" الذي يسعى من أقصى المدينة لنصرة الحق، متبعاً للمهتدين المخلصين، بعيداً عن التبعية العمياء للمضللين.
تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما
أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية(20
بينما القوم غارقون في عنادهم وتهديداتهم، وإذا بمشهد جديد يباغتهم: رجل يأتي مسرعاً من أبعد نقطة في المدينة .إنه لا يأتي متمهلا ً، بل "يسعى" .إنها مشية العازم الجاد، الذي أدرك خطورة الموقف، فتحركت فيه نخوة الإيمان، ودفعته للقيام بواجبه مهما كلفه الأمر.
**تحليل شخصية "الرجل" ودوافعه النفسية
هذا الرجل المؤمن) الذي يسميه المفسرون "حبيب النجار" (هو نموذج فريد يستحق الدراسة .دعنا نحلل شخصيته من خلال الآية:

.1المبادرة والشجاعة الفائقة:
· "وجاء": لم ينتظر أن يُطلب منه، ولم يقف موقف المتفرج .هو الذي بادر بنفسه .وهذه هي المبادرة الإيجابية التي يريدها الإسلام من كل مسلم .ألا يكون تابعاً، بل قائداً في الخير.
· "من أقصى المدينة": كان يعيش في الطرف البعيد، بعيداً عن مركز الأحداث .ومع ذلك، شعر بـ المسؤولية .لم يقل: "أنا بعيد، وشأن المدينة لا يعنيني" .بل جعلته نخوة الإيمان يقطع المسافة الطويلة مسرعاً .وهذا يعلمنا أن المسؤولية لا تتجزأ، وأن البعد الجغرافي أو الوظيفي ليس عذراً للقعود عن نصرة الحق.
· "يسعى": أي يسرع في مشيته، جاداً في أمره .وهذا يدل على شدة حرصه، وخوفه من أن يفوت الأوان .إنه يدرك أن الوقت جوهر، وأن إنقاذ قومه من الهلاك لا يحتمل التأخير.
.2التجرد والنزاهة:
· لم يرد في الآية أي ذكر لمصلحة شخصية لهذا الرجل .لم يقل: اتبعوهم لأجل منصبي أو مالي . بل كان دافعه الوحيد هو هداية قومه وإنقاذهم .وهذا هو التجرد للحق الذي يجب أن يتحلى به كل مصلح.
.3الحكمة والأسلوب الراقي في الدعوة:
· بدأ خطابه بقوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾ .هذا النداء مليء بالحب والحرص .إنه يذكرهم برابطة القومية والدم، ليكسب ودهم، ويفتح قلوبهم لسماع النصيحة .ثم دعاهم مباشرة إلى جوهر الأمر: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ . لقد بدأ بالأهم، وهو اتباع الرسل.

**ماذا تعني "المبادرة الإيجابية" في حياتنا؟
المبادرة الإيجابية هي أن تتحول من مجرد رد فعل إلى فعل مؤثر .هي أن لا تنتظر أن يُطلب منك الخير، بل أن تبحث عنه وتسعى إليه .هي أن ترى الخطأ فتسعى لإصلاحه، وترى الخير فتبادر إلى نشره.

أمثلة تطبيقية من واقعنا:

· في بيئة العمل: تلاحظ أن زملاءك يغتابون مديرهم في غيابه .بدلاً من أن تسكت وتكون متفرجاً، تبادر وتقول لهم برفق: "يا إخوان، هذا لا يجوز، دعونا نتحدث عن شيء ينفعنا، أو ننصحه مباشرة" . قد تكون هذه الكلمة سبباً في إصلاح بيئة العمل.
· في الأسرة: ترى أبناءك يقصرون في الصلاة .بدلاً من الاكتفاء بالشكوى، تبادر بتنظيم حلقة عائلية يومية قصيرة للذكر وتلاوة القرآن، أو تصحبهم إلى المسجد برفق ومحبة.
· في المجتمع: ترى في حيكم شباباً ضائعين .تبادر بإنشاء فريق تطوعي لتنظيم دورات رياضية أو علمية لهم، تشغل أوقاتهم بما ينفع.

**لمسات بيانية وبلاغية
· التعبير بـ "رجل" نكرة: التنكير هنا للتفخيم والتعظيم .أي أنه "رجل عظيم الشأن" .وهذا يبين أن قيمة الإنسان ليست بنسبه أو ماله، بل بموقفه وإيمانه.
· الفعل "يسعى": صيغة المضارع تصور لنا المشهد وكأننا نراه حياً، وهو يجري في طرقات المدينة مهموماً بأمر قومه.
· نداء "يا قوم": أسلوب ترقيق واستعطاف، يظهر مدى حبه لقومه وحرصه عليهم.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تحفيزية: تقول لك الآية: لا تحتقر نفسك، ولا تقل: "ما شأني؟ أنا شخص عادي من أقصى المدينة" .كلمتك الصادقة، ومبادرتك المخلصة، قد تكون سبباً في هداية أمة.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نربي أبناءنا على الإيجابية والمبادرة، لا على السلبية والاتكالية .علمهم أن يكونوا "رجالاً" و"نساءً" يسعون للخير.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في أن التغيير لا يبدأ دائماً من مراكز القوة والسلطة، بل قد يبدأ من فرد واحد في "أقصى المدينة"، يملك قلباً حياً وضميراً يقظاً.
ثانياً:
قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الآية(21)
بعد أن دعا قومه إلى اتباع المرسلين بشكل عام، يأتي هذا الرجل المؤمن بمعيار واضح ودقيق يفرق به بين الصادق والكاذب، وبين الداعية المخلص والداعية المتكسب .إنه يضع يده على جوهر النبوة وصفات القادة المصلحين.

*" تحليل معايير القدوة والقيادة في الآية
الآية تضع معيارين أساسيين لاختيار القدوة والقائد:
.1النزاهة والتجرد) لا يسألكم أجراً(:
· هذا هو المعيار الأول والأهم .إنهم لا يطلبون منكم أجراً أو مالا ً أو جاهاً مقابل دعوتهم .إنهم لا يريدون منكم مصلحة دنيوية .دافعهم الوحيد هو هدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور.
· تطبيق معاصر: عندما تبحث عن عالم تثق به، أو داعية تتبعه، أو قائد تلتف حوله، انظر أولا ً: هل هو ممن يتكسبون بالدين؟ هل يستغل منصبه لجمع المال أو الشهرة؟ أم هو متجرد لا يهمه إلا الحق؟ النزاهة هي تاج الفضيلة.
.2الكفاءة والهداية) وهم مهتدون(:
· "مهتدون" أي أنهم على علم وبصيرة وهدى من الله .هم ليسوا ضالين يدعون إلى ضلالة، بل هم على طريق مستقيم واضح .هذه هي الكفاءة .فلا يكفي أن يكون الشخص مخلصاً، بل يجب أن يكون عالماً خبيراً بما يدعو إليه.
· تطبيق معاصر: في كل مجال من مجالات الحياة، علينا أن نتبع "المهتدين"، أي أهل الخبرة و المعرفة الصحيحة .في الطب نتبع الأطباء المهرة، في الهندسة نتبع المهندسين الأكفاء، في السياسة و التربية والشرع، نرجع إلى أهلها الثقات .قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 43).

**أهمية هذه المعايير في التشخيص الهيكلي للمجتمع
هذه الآية تقدم لنا تشخيصاً هيكلياً لمشكلة المجتمعات .المجتمع الذي يتبع القادة الفاسدين غير المهتدين، أو يتبع المضللين الذين يتكسبون بدينهم، هو مجتمع محكوم عليه بالتخلف والانهيار .أما المجتمع الذي ينتقي قادته وقدواته على أساس النزاهة والكفاءة، فهو مجتمع يسير نحو النهضة.

**تحليل الشخصيات المؤثرة في المجتمع ودورها في التغيير
الرجل الذي جاء من أقصى المدينة هو نموذج للشخصية المؤثرة التي تحدث التغيير .فما هي صفات هذه الشخصية؟
· الوعي الاجتماعي: هو شخص يدرك ما يدور حوله، ويشعر بمعاناة قومه، ويرى أخطار الضلال التي تهددهم.
· الشجاعة الأخلاقية: هو شخص لا يخشى في الله لومة لائم، يجهر بالحق ولو كان وحيداً.
· غير نفعي: لا ينتظر مقابلا ً مادياً أو معنوياً على سعيه .يكفيه شرف السعي ونصرة الحق.
· حكيم في أسلوبه: يخاطب الناس بما يناسبهم، ويقدم لهم الحجج المقنعة.

**لمسات بيانية وبلاغية
· التعبير بـ "لا يسألكم أجراً": استخدام الفعل المضارع "يسأل" يدل على النفي المستمر .فهم ليسوا فقط لا يطلبون أجراً الآن، بل لن يطلبوه أبداً.
· وصفهم بـ "مهتدون": اسم فاعل يفيد الثبات والاستمرار .فهم على هدى دائم لا يتزعزع.
· الربط بين النزاهة والهداية: الآية تجمع بينهما في جملة واحدة، لتؤكد أن كلا ً منهما مكمل للآخر . فالنزاهة بلا هدى جهل، والهدى بلا نزاهة خيانة.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة أمل: تقول الآية: لا تيأسوا، ففي كل زمان ومكان يوجد "رجل" من "أقصى المدينة" يسعى بـ الحق .ابحثوا عنه، وكونوا معه.
· رسالة توجيهية: توجهنا الآية إلى أهمية البحث عن القدوة الصالحة المخلصة الكفؤة، والالتفاف حولها، ونصرتها.
· رسالة عقلية: تدعونا إلى استخدام العقل في تمييز الصادق من الكاذب، والمخلص من المتكسب .فلا ننخدع بالمظاهر، بل ننظر إلى الجوهر.

**نموذج تطبيقي على واقعنا المعاصر:

· في اختيار الأطباء: إذا احتجت إلى طبيب، فإنك تبحث عمن هو "مهتد" في تخصصه) أي خبير وكفء(، وتثق في نزاهته) لا يطلب أجراً باهظاً ويستغل حاجتك، بل همه علاجك.(
· في اختيار المعلمين لابنائك: تبحث عن المعلم "المهتدي" الذي يحسن التربية والتعليم، و"النزيه" الذي همه بناء جيل صالح، لا جمع المال من الدروس الخصوصية فقط.
· في العمل التطوعي: تبحث عن فريق عمل مخلص لا ينتظرون شكراً ولا أجراً، وهم على دراية

وخبرة بما يقومون به.
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نكون إيجابيين مبادرين: يريد منا أن نخرج من دائرة السلبية والاتكالية، ونكون أصحاب مبادرة في الخير والإصلاح، كل في موقعه.
2.أن نتحلى بالشجاعة في قول كلمة الحق: يريد منا ألا نخاف من قول الحق، وألا نسكت عن الباطل، ولو كنا قلة أو بعيدين عن مراكز النفوذ.
3.أن نبحث عن القدوة المخلصة الكفؤة ونتبعها: يريد منا أن نكون واعين في اختيار من نتبع ونتأسى بهم، فلا ننخدع بالمظاهر، بل نبحث عن النزاهة والهداية.
4.أن نتجرد في أعمالنا لله: يريد منا أن يكون دافعنا في كل عمل خير هو وجه الله تعالى، لا طلب أجر أو شهرة أو شكر من الناس.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال المبادرة والشجاعة: هل أنا ممن يبادرون بالخير، أم أنتظر من غيري أن يتحرك؟ عندما أرى منكراً في عملي أو أسرتي أو شارعي، هل أسعى لتغييره بحكمة، أم أقول: "لا شأن لي"؟
· سؤال اتباع القدوة: من هم قدوتي في الحياة؟ هل هم ممن يجمعون بين العلم والنزاهة والتجرد؟ أم أني ممن يتبعون المشاهير ونجوم السوشيال ميديا دون تمييز بين غثهم وسمينهم؟
· سؤال التجرد والإخلاص: عندما أقوم بعمل خيري أو تطوعي، ما هو دافعي الحقيقي؟ هل هو إرضاء الله، أم انتظار ثناء الناس وشكرهم؟ هل أطلب أجراً معنوياً على أعمالي الصالحة؟
· سؤال السعي لنصرة الحق: هل أنا ممن "يسعون" لنصرة الحق بكل ما أوتيت من قوة، أم أني ممن يمشون الهوينا، ويقدمون الأعذار لقعودهم؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "المبادرة الإيجابية" كأسلوب حياة:
· في الأسرة: لا تنتظر أن تطلب منك زوجتك المساعدة في أعمال المنزل، بادر أنت .لا تنتظر أن يطلب منك أبناؤك النصح والتوجيه، بادر أنت واجلس معهم.
· في العمل: لا تنتظر أن يطلب منك مديرك أداء مهمة ما، تطوع أنت للقيام بها .قدم مقترحات لتطوير العمل.
· مفهوم "اتباع المهتدين" كمنهج فكري:
· في طلب العلم الشرعي: لا تأخذ دينك عن كل من هب ودب على الإنترنت .ابحث عن العلماء الثقات المعروفين بالعلم والورع.
· في الاستشارات: إذا احتجت إلى مشورة في أمر من أمور حياتك، اذهب إلى أهل الخبرة والا ختصاص والتقوى في هذا الأمر.
· مفهوم "التجرد وعدم طلب الأجر" كقيمة سامية:
· في العطاء: إذا أعطيت أحداً شيئاً، فلا تمنن عليه به .تذكر قول الله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الإنسان:.(9
· في العمل التطوعي: اعمل في صمت، واجعل عملك خالصاً لله، ولا تنتظر أن تذكرك وسائل الإعلام أو تضع اسمك في لوحات الشرف.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:

1.تدريب النفس على المبادرة:
· ابدأ كل يوم بسؤال نفسك: "ما هو الخير الذي يمكنني أن أبادر به اليوم؟" ولو كان صغيراً كإماطة أذى عن الطريق، أو زيارة مريض، أو كلمة طيبة لصديق.

· تمرين: اختر مشكلة صغيرة في محيطك) في البيت، في العمل، في المسجد(، وفكر في حل لها، وابادر بتنفيذه.
.2تزكية النية وتجريدها:
· قبل كل عمل خير تقوم به، استحضر النية، وقل في نفسك: "اللّهم إني أريد بهذا العمل وجهك الكريم، فلا تجعل لأحد فيه شيئاً".
· حاسب نفسك بعد العمل: هل شعرت بالضيق لأن أحداً لم يشكرك؟ إذا كان الجواب نعم، فراجع نيتك.
.3بناء شبكة علاقات مع "المهتدين":
· ابحث عن أهل الخبرة والصلاح في مجتمعك، وقرب منهم، واستشرهم، وخذ برأيهم.
· تجنب مجالس اللغو والغيبة التي لا تجلب إلا الهم والضيق.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين

· قيمة المبادرة والشجاعة الإيجابية.
· قيمة النزاهة والتجرد في العمل.
· قيمة الكفاءة والاهتداء كمعايير للقيادة والاتباع.
· قيمة الوعي الاجتماعي والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع.
· قيمة الكلمة الطيبة الصادقة وأثرها في الإصلاح.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيتين في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء مجتمع مبادر وفاعل: مجتمع كل فرد فيه يشعر بمسؤوليته، ويسعى للإصلاح، هو مجتمع قوي ومنيع، لا تهزه الأزمات.
· بناء نظام قيادة نزيه وكفء: عندما تكون معايير النزاهة والكفاءة هي الأساس في اختيار القادة في كل المجالات) السياسة، الاقتصاد، التعليم، الإعلام(، فإن المجتمع ينطلق نحو النهضة الحقيقية.
· صناعة حضارة قائمة على الإخلاص: الحضارة الإسلامية قامت على سواعد رجال ونساء أخلصوا أعمالهم لله، فبارك الله في أعمالهم وجعلها خالدة .إن عودة الأمة إلى الريادة مرهونة بعودة الإخلاص والنزاهة في العمل.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد رأيت نموذجاً حياً لرجل لم يمنعه بُعدُه عن مركز الأحداث، ولا تهديدات قومه، من أن يسعى سعياً حثيثاً لنصرة الحق .لقد كان "رجلا ً " بحق، نزيهًا، شجاعًا، حكيمًا.

فهل لك أن تكون مثله؟

لا تنتظر أن تكون في موقع قيادة أو سلطة .يمكنك أن تبدأ الآن، من موقعك، من "أقصى المدينة" التي تعيش فيها .انظر حولك، وابحث عن مواطن الخلل، وسارع إلى إصلاحها .كن إيجابياً .كن مبادراً . كن شجاعاً في الحق.
وإذا بحثت عن قدوة، فلا تتبع كل ناعق .ابحث عن "المهتدين" الذين "لا يسألونكم أجراً" .ابحث عن العلماء الربانيين، والمربين المخلصين، والناصحين الصادقين، فالزموهم.
واعلم أن التنمية الحقيقية تبدأ من بناء الفرد المؤمن بمسؤوليته، المبادر لخدمة مجتمعه بنزاهة وإخلا ص .فكن أنت هذا الفرد .كن "الرجل" الذي جاء من أقصى المدينة
خامسا.
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على المشهد البطولي لرجل جاء من أقصى المدينة يسعى، يدعو قومه إلى اتباع المرسلين المهتدين، نأتي الآن لنقف بخشوع وإعجاب متجدد أمام استكمال حوار هذا الرجل العظيم .إنه حوار يكشف عن أعمق معاني التوحيد الخالص، وأعلى مراتب التضحية والفداء في سبيل الله، وينتهي بمشهد يفيض بالرحمة والمغفرة والكرامة الإلهية.
يقول الله تعالى على لسان هذا الرجل المؤمن في حواره مع قومه، ثم يخبرنا عن خاتمته المشرقة:

·﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾· يس:(22
·﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾· يس:(23

﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يس:(24
﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ يس:(25
)ثم تأتي الآيات بعدها: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾(

إن هذه الآيات الكريمة ترسم لنا بورتريه كاملا ً للمؤمن الصادق .إنها تجسد قمة الإيمان، ومنتهى الحجة المنطقية، وغاية الحب والحرص على هداية القوم، حتى وهو يواجه الموت .دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نعبد الله حق عبادته، وكيف نضحي في سبيل مبادئنا، وكيف نكون رحماء بالناس حتى في أشد لحظاتنا.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
.1ترسيخ عقيدة التوحيد الخالص: أن تفهم أن عبادة الله وحده هي مقتضى الفطرة والعقل، وأن الشرك هو الضلال المبين.
.2إدراك منطقية الإيمان: أن ترى كيف يقدم المؤمن حججاً عقلية ومنطقية قاطعة على بطلان الشرك، وكيف أن الإيمان ليس مجرد عاطفة، بل هو قناعة عقلية راسخة.
.3استلهام روح التضحية والفداء: أن تتعلم من هذا الرجل الذي بذل روحه في سبيل دعوته، وكيف أن الموت في سبيل الله هو بداية حياة كريمة أبدية.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتعبد الله بإخلاص، وتستخدم الحجة والمنطق في دعوتك، وتكون رحيماً بالناس، ولو كانوا معاندين.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية(22

بعد أن دعا الرجل قومه إلى اتباع المرسلين المهتدين، يأتي هنا ليقدم حجته الشخصية، ويعلنها صريحة مدوية .إنه لا يكتفي بدعوتهم، بل يبدأ بنفسه، معلناً أنه هو أول الممتثلين لهذه الدعوة .هذا ا لأسلوب في غاية الحكمة، لأن النفوس تنفر ممن يأمرها بشيء ولا يفعله.
*" تحليل منطقية الإيمان في الآية

الرجل المؤمن يقدم حجة عقلية ومنطقية في غاية البساطة والعمق:

.1البرهان الأول: دليل الفطرة والخلق.
· قوله: ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾، أي خلقني وأنشأني من العدم .فهذا الخالق البديع هو الذي يستحق العبادة وحده .إنها حجة الفطرة التي يولد بها كل إنسان .فمن البديهي أن يعبد الإنسان خالقه ورازقه ومحييه ومميته.
.2البرهان الثاني: دليل المعاد والرجوع.
· قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي أنكم بعد موتكم سترجعون إلى هذا الإله الفاطر، وسيسألكم عن أعمالكم .فمن الحكمة أن تعبدوه في الدنيا قبل أن ترجعوا إليه في الآخرة، حيث لا ينفع الندم.

*"لمسات بيانية وبلاغية

· الاستفهام الإنكاري "وما لي لا أعبد": هذا الاستفهام ليس استفهاماً حقيقياً، بل هو استفهام إنكاري، بمعنى: "أي شيء يمنعني من عبادة خالقي؟ لا يوجد أي مانع عقلي أو منطقي يمنعني من ذلك" .وهذا الأسلوب قوي في الإقناع.
· التعبير بـ "فطرني": هذه الكلمة تحمل معنى الخلق والإبداع على غير مثال سابق .وهي تذكير بقدرة الله وعظمته.
· الالتفات من "فطرني" إلى "ترجعون": بدأ الحديث عن نفسه "فطرني"، ثم وجه الخطاب لقومه "ترجعون" .وهذا الانتقال في الضمائر يشد انتباه السامع، ويدفعه للتفكير في مصيره هو شخصياً.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة منطقية: تقول الآية إن الإيمان بالله وعبادته هو أمر منطقي تماماً، يتفق مع العقل السليم . فمن خلقك يستحق عبادتك.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نبدأ بأنفسنا عند الدعوة إلى الله .فالداعية الصادق هو الذي يكون أول العاملين بما يدعو إليه.
· رسالة نفسية: تملأ الآية قلب المؤمن طمأنينة، فهو يعبد من فطره، ويدرك أن مصيره إليه، فلا

خوف ولا حزن.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ الآية(23)

بعد أن أثبت منطقية عبادة الله، ينتقل الرجل المؤمن إلى دحض عبادة الأصنام والأوثان، ويكشف عن عجزها وتفاهتها .إنه يستخدم أسلوباً عقلانياً بحتاً، يعتمد على المقارنة بين قدرة الله المطلقة، وعجز ا لآلهة المزعومة.
***كشف عجز الآلهة الباطلة
الآية تضع حقيقة جلية: إذا أراد الله "الرحمن" بك ضراً) مرضاً، فقراً، بلاءً(، فهل تستطيع هذه الأصنام والأوثان أن تدفع عنك هذا الضر؟ الجواب البديهي: لا.

· لا تغني شفاعتهم شيئاً: الشفاعة هي الوساطة والتوسط لدفع الضر .حتى لو افترضنا أن لهذه الأ صنام قدرة على الشفاعة، فهي لا تملكها ولا تغني شيئاً.
· ولا ينقذون: أي لا يستطيعون إنقاذك مما أنت فيه من بلاء .فهم عاجزون عن حماية أنفسهم، فكيف يحمون غيرهم؟
**التحليل المنطقي: مقارنة بين القادر والعاجز

الرجل المؤمن يضع قومه أمام مقارنة عقلية حاسمة:

· الله) الرحمن(: هو الفاطر القادر على كل شيء، بيده الضر والنفع.
· الأصنام: عاجزة لا تضر ولا تنفع.

فكيف لإنسان عاقل أن يترك عبادة القادر المطلق، ليعبد مخلوقات عاجزة؟ إنه أمر منافٍ لأبسط قواعد المنطق.
**لمسات بيانية وبلاغية

· استخدام اسم "الرحمن": اختيار هذا الاسم الجليل في هذا المقام له دلالة عميقة .فالله "الرحمن" هو واسع الرحمة، ومع ذلك قد يبتلي عباده بالضر لحكمة يعلمها .ولكن رحمته وسعت كل شيء، وهو وحده القادر على كشف الضر.
· أسلوب الشرط "إن يردن الرحمن بضر": هذا الأسلوب يفيد تعليق الأمر على مشيئة الله وحده .ف الضر لا يقع إلا بإرادته.
· النفي المؤكد "لا تغن" و"لا ينقذون": تكرار أداة النفي "لا" يؤكد عجز الآلهة المطلق.
***الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة عقلية قوية: هذه الآية تقضي على أي شبهة للشرك .إنها تثبت أن الاعتماد على غير الله هو ضرب من الجنون، لأن غير الله لا يملك لنفسه فضلا ً عن غيره ضراً ولا نفعاً.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نستخدم الحجج العقلية في الدعوة، وأن نقارن بين الحق والباطل ليتبين الفرق واضحاً.
· رسالة نفسية: تزرع الآية في القلب يقيناً تاماً بأن النفع والضر بيد الله وحده، مما يقطع التعلق بغيره، ويحرر النفس من الخوف والرجاء في المخلوقين.
**ثالثاً: قوله تعالى: ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الآية(24)

بعد أن قدم الحجج الدامغة على بطلان الشرك، يصل إلى نتيجة منطقية حتمية: أنه لو ترك عبادة الله واتخذ من دونه آلهة، لكان في ضلال مبين.
**معنى "ضلال مبين"

"الضلال" هو العدول عن الطريق المستقيم، والتخبط في الظلمات .و"المبين" أي الواضح الذي لا يخفى على أحد .فعبادة غير الله ليست مجرد خطأ، بل هي ضلال واضح وضوح الشمس، لا يحتاج إلى كبير تفكير لمعرفته.
**لمسات بيانية وبلاغية

· التوكيد بـ "إن" واللام: ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أسلوب توكيد قوي، يدل على يقينه الجازم بصحة موقفه وبطلان موقف قومه.
· التعبير بـ "إذًا": تفيد الجواب والجزاء .فكأنه يقول: "إذا اتخذت من دونه آلهة، فحينئذ أكون في ض لال مبين".

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في الشجاعة الأدبية: الرجل المؤمن لم يساوم على عقيدته .أعلنها صريحة: من يعبد غير الله فهو ضال ضلالا ً واضحاً .هذه شجاعة في الحق.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى أن نكون واضحين في تصنيف الأمور .الحق حق، والباطل باطل .لا مكان للتلبيس أو الميوعة .الإيمان هو الهدى، وما سواه هو الضلال.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نكون حاسمين في مواقفنا العقدية، دون تردد أو مواربة.
**رابعاً: قوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ الآية(25

بعد كل هذه الحجج القوية، وبعد إعلان موقفه بوضوح، يصل الرجل المؤمن إلى ذروة الإعلان .إنه يجهر بإيمانه، وينادي قومه أن يسمعوه .إنه يريد أن يبلغهم الحجة، وأن يشهد عليهم أمام الله.
**لماذا طلب منهم أن يسمعوه؟
طلبه منهم السماع ليس لأنه يشك في إيمانه، بل لأسباب عظيمة:
.1إقامة الحجة عليهم: أراد أن يكون إيمانه جهاراً، ليكون شاهداً عليهم يوم القيامة، حتى لا يقولوا: "ما سمعنا من أحد ينكر علينا شركنا".
.2التضحية والفداء: هذا الإعلان الصريح كان بمثابة تحدي لسلطتهم وكفرهم، وهو يعلم أنهم سيقتلونه .لقد أراد أن يموت شهيداً في سبيل الله، وأن تكون آخر كلماته هي الشهادة بالحق.
.3دعوة أخيرة لهم: ربما كان يأمل أن تؤثر كلماته الصادقة في بعض قلوبهم، فطلب منهم أن يسمعوا بآذانهم وقلوبهم.
**لمسات بيانية وبلاغية
· الإظهار بعد الإضمار: كان يتحدث عن الله بضمير الغائب "الذي فطرني"، ثم أظهر وقال: ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ . فكأنه يقول: "الذي تعرفون أنه ربكم وخالقكم، أنا آمنت به".
· الأمر "فاسمعون": صيغة الأمر هنا للإرشاد والتبليغ .وهو أسلوب يشد الانتباه ويجعل القلوب تتجه إليه.
· الإيجاز المعجز: في ثلاث كلمات "إني آمنت بربكم فاسمعون"، لخص الرجل كل عقيدته، وأعلن تحديه، وقدم روحه قرباناً.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في التضحية والفداء: تعلمنا الآية أن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، بل هو استعداد للتضحية بالنفس في سبيله.
· رسالة في الجهر بالحق: مهما كانت الظروف، ومهما كان الطغاة، يجب أن يعلن المؤمن إيمانه ويجهر بالحق.
· رسالة نفسية: يشعر المؤمن عند قراءة هذه الآية بعزة الإيمان وكرامته .فرغم أنهم سيقتلونه، إلا أنه هو المنتصر الحقيقي.
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1إخلاص العبادة لله وحده: يريد منا أن نوقن بأن الله هو الخالق الفاطر، وهو وحده المستحق للعبادة.
.2استخدام العقل والمنطق في الإيمان والدعوة: يريد منا أن نكون على بينة من أمرنا، وأن ندعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونقدم الحجج العقلية.
.3التضحية في سبيل المبدأ: يريد منا أن نكون على استعداد لتقديم الغالي والنفيس في سبيل الحق ، كما ضحى هذا الرجل بحياته.
.4الجهر بالحق مهما كانت العواقب: يريد منا أن نكون شجعاناً في إعلان الحق، لا نخاف في الله لومة لائم.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال العبادة الخالصة: هل أنا أعبد الله حق عبادته؟ هل أشركت معه أحداً في عبادتي؟ هل تعلقت بغير الله، أو خفت من مخلوق كما أخاف من الله؟
· سؤال الحجة المنطقية: عندما أدعو إلى الله، أو أناقش في أمور ديني، هل أعتمد على العاطفة

فقط، أم أقدم حججاً عقلية ومنطقية مقنعة؟
· سؤال التضحية والفداء: ماذا ضحيت في سبيل ديني؟ هل أنا مستعد للتضحية بوقتي، بمالي، براحتي، وحتى بنفسي إذا اقتضى الأمر، في سبيل إعلاء كلمة الله؟
· سؤال الجهر بالحق: هل أخفي إيماني أو بعض مبادئ ديني خوفاً من سخرية الناس أو غضبهم؟ هل أنا ممن يقولون: "إني آمنت بربكم فاسمعون" بكل شجاعة؟
الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التوحيد الخالص" كمنهج حياة:
· أن يكون اعتمادك على الله وحده في كل صغيرة وكبيرة .لا تطلب الرزق إلا منه، ولا تطلب الشفاء إلا منه، ولا تخف إلا منه.
· تمرين عملي: إذا أصابك هم أو ضيق، لا تذهب أولا ً إلى المخلوق تشكو إليه، بل ارفع يديك إلى السماء وقل: "يا رب، أنت الفاطر، أنت الرحمن، اكشف ضري".
· مفهوم "الدعوة بالحجة والمنطق" كأسلوب راق:
· عندما تريد أن تنصح أحداً، قدم له الأسباب المنطقية التي تجعله يقتنع .لا تقل فقط: "هذا حرام"، بل اشرح له الحكمة من التحريم.
· مثال: عند النصح عن التدخين، لا تقل فقط: "حرام"، بل قل: "جسمك أمانة، وقد أثبت العلم ضرره القاتل، ومالك الذي تنفقه عليه ستحاسب عليه".
· مفهوم "الشهادة بالحق" كأعلى مراتب الإيمان:
· كن شجاعاً في قول كلمة الحق في وجه الظالم .لا تسكت عن باطل خوفاً من سلطة أو جاه.
· تذكر: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في بناء عقيدة راسخة:
· اقرأ في كتب العقيدة التي تشرح أصول التوحيد بأسلوب سهل وبسيط.
· تفكر في خلق السماوات والأرض وفي نفسك، وردد دائماً: "ربي الذي فطرني، لا أعبد سواه".
.2في مواجهة الشبهات:
· سلح نفسك بالعلم الشرعي والعلم الكوني، لتستطيع الرد على الشبهات التي تثار حول الدين.
· تعلم فن الحوار والإقناع، واستخدم العقل والمنطق في دعوتك.
.3في الاستعداد للتضحية:
· ضح بوقتك في خدمة دينك ومجتمعك.
· ضح بمالك في سبيل الله.
· درب نفسك على تحمل الأذى في سبيل الحق، ولو بكلمة سوء تسمعها.
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة التوحيد الخالص لله.
· قيمة استخدام الحجة والمنطق في الإيمان والدعوة.
· قيمة الشجاعة والجهر بالحق.
· قيمة التضحية والفداء في سبيل المبدأ.
· قيمة اليقين بأن الضر والنفع بيد الله وحده.
الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء مجتمع قوي بالعقيدة الصحيحة: المجتمع الذي يعبد أفراده الله وحده، ولا يخافون إلا منه، هو مجتمع قوي عزيز، لا يستعبده طاغوت.
· بناء مجتمع علمي ومنطقي: المجتمع الذي يربي أبناءه على استخدام العقل والمنطق والحجة، هو مجتمع متطور ومنتج، يبني الحضارة بالعلم والإيمان معاً.
· صناعة جيل من الشهداء والمضحين: قصص التضحية والفداء في القرآن تصنع في الأمة جيلا ً لا يهاب الموت في سبيل الحق، وهذا الجيل هو الذي يحمي الحضارة ويدافع عنها.

رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد سمعت حواراً عقلانياً بليغاً، وشاهدت مشهد تضحية وفداء، ووقفت على معاني التوحيد الخالص.

إن هذا الرجل المؤمن لم يكن مجرد بطل في قصة قديمة .إنه نموذج حي، يتكرر في كل زمان ومكان .إنه نموذج لكل من شرح الله صدره للإيمان، فانطلق يدعو قومه بالحكمة والمنطق، ولم تمنعه قلة ناصريه، ولا تهديدات أعدائه، من أن يجهر بكلمة الحق، ويضحي بنفسه في سبيلها.

فكن أنت ذلك الرجل، أو تلك المرأة .اعبد الله الذي فطرك، ولا تعبد سواه .استخدم عقلك الذي وهبك إياه للوصول إلى الحق .ولا تخف في الله لومة لائم .وإذا دعوت الناس، فادعهم بلسان المنطق و العاطفة معاً، كما فعل هذا المؤمن الصادق.

واعلم أن الجزاء من جنس العمل .فالذي يضحي بنفسه في سبيل الله، يكون جزاؤه الجنة ونعيمها، ويتمنى لو يعلم قومه بما هو فيه من كرامة، لعلهم يؤمنون.

سابعا

أيها القارئ الكريم، ها نحن نقف على أعتاب مشهد من أروع مشاهد القرآن وأكثرها تأثيراً في الوجدان .بعد أن تابعنا قصة الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وأعلن إيمانه جهاراً في وجه قومه المكذبين، نأتي الآن إلى اللحظة الفاصلة، لحظة الوفاء بالوعد الإلهي، ولحظة تجسيد معنى الشهادة في سبيل الله، ولحظة الكشف عن حياة البرزخ ونعيمها.

يقول الله تعالى بعد أن أعلن الرجل إيمانه بقوله: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾:

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾) يس:(26
﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾) يس:(27

إن هاتين الآيتين الكريمتين ليستا مجرد خاتمة لقصة رجل صالح، بل هما "نافذة إلهية" تطل بنا على عالم البرزخ، وتكشف لنا عن حقائق الإيمان والثواب، وترسم لنا أسمى معاني حب الخير للناس و التسامح ونبل النفس .إنهما تدعواننا إلى أن نعيش في هذه الدنيا بقلوب سليمة، وهمم عالية، وأخلاق سامية، لنكون أهلاً لتلك الكرامة التي نالها هذا المؤمن الصادق .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستلهم منهما دروساً تغير حياتنا وتبني حضارتنا.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

1.فهم حقيقة الموت والبرزخ: أن تدرك أن الموت ليس نهاية الوعي والإدراك، بل هو انتقال من دار إلى دار، وبداية حياة جديدة مليئة بالكرامة للمؤمنين.
2.ترسيخ خلق حب الخير للناس: أن تتعلم كيف تحب الخير لغيرك، حتى لمن أساء إليك، وأن يكون همك الأكبر هو هداية الناس لا الانتقام منهم.
3.إدراك معنى العفو والتسامح ونبل النفس: أن ترى كيف أن المؤمن الحق لا يحمل في قلبه ضغينة على من ظلمه، بل يسمو بنفسه فوق الجراح، ويسعى للخير للجميع.
4.التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتكون داعياً بالخير، متسامحاً مع المسيء، صابراً على الأذى، متعلقاً برضا الله وفضله، ومستعداً للتضحية في سبيل الحق.

تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولاً: قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾) الآية 26 - الجزء الأول(

بعد أن جهر الرجل بإيمانه، وتحدى قومه، نعلم من سياق الآيات اللاحقة أن قومه قتلوه .ولكن القرآن الكريم لا يتوقف عند مشهد القتل، بل ينتقل مباشرة إلى ما هو أعظم وأبقى، إلى المشهد الذي ينسي كل ألم: مشهد دخول الجنة.

**لماذا جاء الفعل مبنياً للمجهول "قيل"؟ ولماذا لم يذكر القائل؟

هذا سؤال بلاغي في غاية الدقة .بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل له حكم عظيمة:

1.التعظيم والتفخيم: حذف الفاعل يدل على أن القائل أمره عظيم، لا يحتاج إلى تعريف .فالجميع يعلم أن القائل هو الله عز وجل، أو ملائكته بأمره .وهذا الأسلوب يضفي على المشهد جلالاً وهيبة.
2.التركيز على الحدث لا على المتحدث: الغرض الأساسي هو إبراز عظمة الحدث نفسه، وهو دخول الجنة، وليس معرفة من قال .فالمتلقي ينشغل بالنعيم الذي حصل عليه المؤمن، لا بالمتحدث.
3.الإشارة إلى أن هذا الخطاب شرف لا يوصف: أن يخاطبك الله أو ملائكته بهذا الأمر "ادخل الجنة"

، هو شرف يفوق كل وصف، ولا يحتاج إلى بيان هوية القائل، لأن المشرف في الخطاب هو المصدر ا لإلهي العظيم.
***كيف كان دخول الجنة بعد القتل مباشرة؟
الآية تشير بوضوح إلى أن الشهيد المؤمن يدخل الجنة وينعم بها مباشرة بعد موته .فبمجرد أن لفظ أنفاسه الأخيرة، سمع النداء الإلهي: ﴿ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾ .وهذا يؤكد عقيدة عذاب القبر ونعيمه، وأن الروح تظل واعية مدركة بعد الموت، تنتقل إلى عالم البرزخ حيث تنعم أو تعذب إلى يوم القيامة.
**لمسات بيانية وبلاغية
· صيغة الأمر "ادخل": الأمر هنا ليس للتكليف، بل هو أمر تكريم وتشريف وإيناس .وهو يدل على سرعة الاستجابة والتمكين .فلم يقل: "سندخلك الجنة"، بل قال: "ادخل"، وكأن الجنة مفتحة الأبواب تنتظره.
· الإيجاز في السرد: القرآن ينتقل من مشهد القتل مباشرة إلى مشهد دخول الجنة، ليبين أن آلام الدنيا وشدائدها تصبح نسياً منسياً في لحظة، أمام سعادة الآخرة ونعيمها.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة طمأنينة للمؤمن: تملأ هذه الآية قلب المؤمن سكينة ويقيناً بأن الموت في سبيل الله ليس خسارة، بل هو ربح عظيم، وهو باب إلى النعيم المقيم .وهذا يخفف من رهبة الموت، ويجعل المؤمن يتشوق للقاء الله.
· رسالة تربوية في التضحية: تعلمنا الآية أن التضحية بالنفس في سبيل الحق لا تذهب سدى، بل يعقبها أعظم جزاء في الحال.
· رسالة عقلية: تثبت الآية استمرار الوعي والإدراك بعد الموت، مما ينفي فكرة فناء الروح، ويدفع العقل للاستعداد لهذه الحياة الأبدية.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية 26 - الجزء الثاني(
وهنا تأتي المفاجأة التي تهز الوجدان! هذا الرجل الذي قتله قومه بأبشع صورة، والذي دخل الجنة ونعم بها، لم تكن أول كلمة ينطق بها هي الحمد لله فقط، بل كانت تمنياً لهداية قاتليه! إنه يقول: "يا ليت قومي الذين كذبوا الرسل، والذين قتلوني، يعلمون ما أنا فيه من نعيم وكرامة، ليؤمنوا وينالوا ما نلت".

**لماذا حرص الرجل على أن يعلم قومه بحاله رغم أنهم قتلوه؟
هذا هو الدرس الأخلاقي العظيم الذي تريد الآية أن ترسخه في نفوسنا:
.1خلق الداعية الحقيقي: الداعية الصادق هو الذي يحب الخير للناس، حتى لو أساءوا إليه .قلبه لا يحمل ضغينة، ولا يريد الانتقام .همّه الأول والأخير هو هدايتهم .لقد جسد هذا الرجل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".
.2سمو النفس ونبلها: عندما يرتفع المؤمن بإيمانه، فإنه يتجاوز الجراح الشخصية، ويسمو بنفسه فوق مشاعر الحقد والثأر .الحق عنده فوق المشاعر .لقد كان بإمكانه أن يدعو عليهم بالهلاك، لكنه دعا لهم بالهداية.
.3التسامح والعفو: هذا هو العفو عند المقدرة .إنه يرى ما هم فيه من ضلال وهو في نعيم الجنة، فيرق قلبه لهم، ويتمنى لو أنهم يعلمون حقيقة ما هو فيه فيسارعوا إلى الإيمان .إنها ذروة التسامح.
**لمسات بيانية وبلاغية
· أسلوب التمني "يا ليت": "ليت" حرف تمن، وهو يدل على شدة حرصه ورغبته الصادقة في هداية قومه .إنه ليس تمنياً عابراً، بل هو أمنية غالية في قلبه.
· النداء "يا": "يا" للنداء، لكن هنا هو نداء للتنبيه والتوجع والتحسر على حال قومه .إنه يتحسر عليهم وهم أحياء في الدنيا غافلون.
· حذف مفعول "يعلمون": لم يقل "يعلمون ما أنا فيه من نعيم" .الحذف هنا للإبهام والتفخيم .فهو يريدهم أن يعلموا أي شيء عن حاله، فأي شيء يعلمونه عن كرامته سيدفعهم للإيمان.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في تزكية النفس: تعلمنا الآية أن نطهر قلوبنا من الحقد والضغينة، حتى تجاه من ظلمونا .ف المؤمن الحق لا يحمل في قلبه غلا ً لأحد.
· رسالة في حب الخير للغير: تدعونا الآية إلى أن نكون مثل هذا الرجل، نحب الخير لكل الناس، ونتمنى هدايتهم، ونسعى لذلك بكل ما أوتينا من قوة.
· رسالة عقلية: تعلمنا أن النجاة الحقيقية والفوز العظيم لا يكونان بالانتقام من الأعداء، بل بهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.
**ثالثاً: قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ﴾ الآية(27
في هذه الآية، يذكر الرجل المؤمن سبب تمنيه لهداية قومه، وهو ما هو فيه من فضل الله وإكرامه . إنه يريدهم أن يعلموا هذا الفضل العظيم.
**لماذا ركز الرجل على نعمة "الإكرام" بعد المغفرة؟

الترتيب في الآية له دلالة عميقة:
1المغفرة أولا ً: بدأ بذكر المغفرة لأنها الأصل .فبدون مغفرة الذنوب، لا يمكن دخول الجنة ولا نيل الكرامة .المغفرة هي تطهير للعبد من أدرانه، وتجاوز عن زلاته .وهي أعظم نعمة، لأنها تمحو ما يخافه العبد من عذاب.
.2الإكرام بعد المغفرة: بعد أن طهره الله بالمغفرة، أتبعه بنعمة الإكرام .والإكرام أعم وأشمل من مجرد دخول الجنة .إنه يشمل كل ألوان التكريم الإلهي: رفع الدرجات، الحفاوة به، إدخال السرور عليه، جعله من المقربين .فهو لم يغفر له فقط، بل أكرمه وأعلى شأنه.

**كيف تجسد هذه الآيات الثبات على الحق والصدق في الدعوة؟
قصة هذا الرجل من أولها إلى آخرها تجسيد حي للثبات والصدق:
· الثبات: لم تزعزعه تهديدات قومه بالرجم والعذاب .أعلن إيمانه جهاراً وهو يعلم أنه مقتول .وهذا هو الثبات على الحق.
· الصدق: كان صادقاً في دعوته، لم يطلب أجراً، ولم يسع لسلطة .وعندما نال الجزاء في الآخرة، لم يكن همه إلا هداية من كذبوه وقتلوه .هذا هو الصدق في حب الخير للناس.
**لمسات بيانية وبلاغية
· التعبير بـ "ربي": إضافة الرب إلى نفسه "ربي" فيها معنى الاختصاص والقرب والأنس بالله .إنه يشعر بربوبية الله الخاصة له، ورعايته الفائقة.
· التعبير بـ "جعلني": الفعل "جعل" يدل على التمكين والاستقرار .فالله لم يكرمه فقط بلحظة عابرة، بل "جعله" من جملة المكرمين، أي صار الإكرام وصفاً لازماً له.
· وصف "المكرمين": اسم مفعول يدل على أن هناك جهة أكرمته، وهي الله تعالى .وهو جمع يفيد أنه في زمرة عظيمة من المكرمين، كالأنبياء والصديقين والشهداء.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في تعلق القلب بفضل الله: تعلمنا الآية أن نعلق قلوبنا بفضل الله وإحسانه .فالمؤمن لا يعتمد على عمله فقط، بل يرجو مغفرة ربه وإكرامه.
· رسالة في علو الهمة: تمني الرجل لهداية قومه وهو في الجنة يدل على علو همته .فهو لم يكتف بنجاة نفسه، بل حمل هم نجاة أمته .وهذا يعلمنا أن نكون أصحاب همم عالية، لا تقنع بالقليل من الخير.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية لنتأمل في عاقبة الصبر والثبات .إن صبر ساعة في الدنيا على أذى الناس ، يقابله نعيم أبدي وكرامة دائمة في الآخرة.
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1أن نوقن بحياة البرزخ ونعيمها: يريد منا أن نؤمن أن الموت ليس نهاية، بل هو بداية لحياة أبدية، إما نعيم وإما جحيم، حسب أعمالنا.
.2أن نحب الخير للناس جميعاً: يريد منا أن نتمنى الهداية لكل الناس، حتى لأعدائنا، وأن نسعى لذلك بكل حكمة ورفق.
.3أن نسمو بأنفسنا عن الحقد والضغينة: يريد منا أن نطهر قلوبنا من مشاعر الانتقام، وأن نعفو عمن ظلمنا، متأسين بهذا المؤمن الصادق.
.4أن نثبت على الحق ولو كلفنا ذلك حياتنا: يريد منا أن نكون على استعداد للتضحية في سبيل مبادئنا، وأن لا نهاب الموت في سبيل الله.
.5أن نعلق قلوبنا بفضل الله ومغفرته وإكرامه: يريد منا أن نعمل الصالحات، ونرجو من الله المغفرة والإكرام، لا أن نغتر بأعمالنا.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال حب الخير للغير: عندما يسيء إليّ أحدهم، هل أتمنى له الهداية والخير، أم أتمنى له الشر وا لانتقام؟ هل أنا ممن يدعون على من ظلمهم، أم ممن يدعون لهم بالهداية؟
· سؤال سلامة الصدر: هل أحمل في قلبي ضغينة أو حقداً على أحد من المسلمين؟ هل أستطيع أن أنام وقلبي نقي تجاه كل من أعرف؟
· سؤال الثبات على الحق: عندما أواجه ضغوطاً في عملي أو مجتمعي بسبب تمسكي بديني، هل

أثبت أم أتراجع؟ هل أنا مستعد للتضحية ببعض مصالحي من أجل الحق؟
· سؤال تعلق القلب بالآخرة: هل أنا مشغول بهموم الدنيا وملذاتها، أم أن همي الأكبر هو الفوز بالجنة ومغفرة الله وإكرامه؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التسامح ونبل النفس" كخلق قرآني:
· تدرب على العفو عن المسيء .إذا اعتذر إليك أحد فاقبل عذره .وإذا لم يعتذر، فاعف عنه لله، وتذكر قول الرجل: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.
· تمرين عملي: إذا غضبت من أحد، اكتب له رسالة في قلبك تتمنى فيها له الهداية والخير، بدلا ً من الدعاء عليه.
· مفهوم "حب الهداية للغير" كهدف أسمى:
· اجعل من أهدافك في الحياة أن تكون سببا ً في هداية إنسان واحد على الأقل .ادع أهلك، أصدقاءك، زملاءك بالحكمة والموعظة الحسنة.
· قاعدة ذهبية: "لأن يهدي الله بك رجلا ً واحدا ً خير لك من حمر النعم".
· مفهوم "التعلق بفضل الله" كدافع للعمل:
· لا تعتمد على عملك الصالح فقط، بل اسأل الله دائما ً المغفرة والإكرام .قل في دعائك: "اللهم إني أسألك مغفرتك وإكرامك، وأعوذ بك من عذابك".
· تذكر: "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله" .قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في بناء علاقات إنسانية سامية:
· سامح من أخطأ في حقك .ابدأ أنت بالصلح .كن صاحب القلب الكبير الذي يتسع للجميع.
· إذا سمعت أن أحدا ً يغتابك أو يؤذيك، فلا تقابله بالمثل .بل ادع الله له بالهداية، وقل: "اللهم اغفر له، واهد قلبه".
.2في الدعوة إلى الله:
· لا تيأس من هداية أحد .استمر في النصح بالرفق واللين .تذكر أن الرجل المؤمن ظل متمنيا ً هداية قومه حتى بعد موته.
· إذا رددت عليك دعوتك، فلا تحزن، ولا تغضب .بل قل كما قال الرسل: "وما علينا إلا البلاغ المبين"، وادع لهم في ظهر الغيب.
.3في بناء الشخصية الإيمانية القوية:
· اقرأ في سير الشهداء والصالحين، وتأمل كيف ضحوا بأنفسهم في سبيل الله، وكيف نالوا الكرامة في الدنيا والآخرة.
· اسأل نفسك كل يوم: "ماذا أعددت اليوم للقاء الله؟".

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة حب الخير للناس وتمني الهداية للجميع.
· قيمة التسامح والعفو ونبل النفس وسلامة الصدر.
· قيمة الثبات على الحق والصبر على الأذى.
· قيمة التضحية والفداء في سبيل العقيدة.
· قيمة الإيمان بحياة البرزخ والاستعداد لها.
· قيمة التعلق بفضل الله ومغفرته وإكرامه.
الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء مجتمع متسامح متماسك: المجتمع الذي يتحلى أفراده بالتسامح ونبل النفس، هو مجتمع قوي متماسك، لا تمزقه الضغائن والأحقاد .وهذا أساس للنهضة والعمران.

· تأسيس حضارة إنسانية راقية: الحضارة التي تقوم على قيم العفو وحب الخير للغير، هي حضارة إنسانية راقية، تسودها الرحمة والعدل .وهذا ما قدمته الحضارة الإسلامية للعالم.
· صناعة جيل من الشهداء والمضحين: الإيمان بأن الموت في سبيل الله هو باب إلى الكرامة الأبدية، يصنع في الأمة جيلا ً من الأبطال الذين لا يهابون الموت، ويفدون أوطانهم ومقدساتهم بأرواحهم، وهذا هو سر بقاء الحضارات وقوتها.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات العظيمة، لقد رأيت كيف ينتقل المؤمن الصادق من ضيق الدنيا وألم القتل، إلى سعة النعيم وكرامة الإكرام في لحظة .ورأيت كيف أن قلبه ظل معلقاً بهداية من ظلموه وقتلوه، لأنه ذاق حلاوة الإيمان والكرامة، فأحب أن يذوقها الجميع.

إن هذه القصة ليست مجرد حكاية تاريخية .إنها دعوة مفتوحة لك .دعوة لأن تجعل قلبك سليماً، نقياً من كل ضغينة وحقد .دعوة لأن تحب الخير لكل الناس، وأن تسعى لهدايتهم بصبر وحكمة .دعوة لأن تثبت على الحق مهما كانت التحديات، وأن تكون مستعداً للتضحية في سبيله.

واعلم أن الكرامة الحقيقية ليست في الدنيا، بل هي هناك، في لحظة يقال لك فيها: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ . فاجعل هذه اللحظة هدفك الأسمى، واملأ صحيفتك بما يجعلك أهلا ً لها .وكن كصاحب هذه القصة، تتمنى الخير للناس، وتدعو لهم بالهداية، حتى تكون ممن قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.
القسم الثاني
اولا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نقف على مشهد ختامي من قصة أصحاب القرية، مشهد تتجلى فيه قدرة الله الباهرة، وعدالته المطلقة، وسنته التي لا تحابي أحداً .بعد أن شاهدنا تضحية الرجل المؤمن، ونعيمه في الجنة، وتمنيه هداية قومه، نأتي الآن لنرى كيف كانت نهاية أولئك الذين كذبوا الرسل وقتلوا ولي الله.

يقول الله تعالى بعد أن أخبر عن قول المؤمن في الجنة:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾) يس:28
﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾) يس:29
﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾) يس:30

إن هذه الآيات الثلاث ترسم لنا سنة إلهية ماضية، وتوجه لنا نداءً يهز الوجدان .إنها تذكرنا بأن الله لا يعجزه شيء، وأن أخذة الظالمين آتية لا محالة، وأن الاستهزاء بالحق والمرسلين هو طريق الهلاك . دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نتعامل مع سنن الله في الكون، وكيف نحمي أنفسنا من الحسرة الأبدية.
**مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1فهم قدرة الله المطلقة: أن تدرك أن الله لا يحتاج إلى جيوش وأسباب مادية لينصر أولياءه وينتقم من أعدائه، بل أمره بين الكاف والنون.
.2إدراك سنة الاستئصال والعقاب: أن ترى كيف أن التكذيب والاستهزاء بالرسل يؤديان إلى هلاك الأ مم، لتكون لنا عبرة.
.3استشعار الحسرة على الغافلين: أن تشعر في قلبك بحسرة على من يضيعون فرصة الهداية، وأن تسعى لإنقاذهم قبل فوات الأوان.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتوقن بأن نصر الله قريب، وألا تستهين بذنوبك ومعاصيك، وأن تحذر من الاستهزاء بالحق وأهله.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾) الآية28

بعد أن قتل قومُ القرية الرجلَ المؤمن، ظنوا أنهم تخلصوا منه ومن دعوته، وازدادوا طغياناً وعناداً . ولكن سنة الله في المكذبين لا تتخلف .إلا أن إهلاكهم لم يأت بالصورة التي يتوقعها البشر.

**لماذا لم ينزل الله جنداً من السماء لإهلاكهم؟

الآية تجيب على سؤال مقدر: "هل أنزل الله جيشاً من الملائكة لمعاقبة هؤلاء المجرمين؟" .الجواب يأتي بالنفي القاطع: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾.

**والحكمة في ذلك متعددة:

.1إظهار عظمة القدرة الإلهية: الله لا يحتاج إلى جيوش وأسباب معقدة .فهو قادر على إهلاكهم بأبسط الأسباب وأيسرها .وهذا يظهر أن الأمر كله بيده، وليس بحاجة إلى مقدمات بشرية .قال قتادة: "وما كان الله ليعذب قوماً بعد نبي أو مؤمن قتلوه بجنود تنزل من السماء، ولكن بصيحة يهلكهم بها".
.2إقامة الحجة وتقليل المؤونة: لو أنزل الله جنداً من السماء، لكان ذلك آية عظيمة، وربما قال بعضهم: "لقد أهلكهم الله بجيش عظيم" .ولكن الله أراد أن يهلكهم بشيء حقير) صيحة واحدة(، ليظهر أنهم لا وزن لهم عنده، وأنهم أهون عليه من أن يحشد لهم جيوشاً .وفي هذا إذلال لهم.
.3تأكيد أن نصر الله لا يتوقف على الأسباب المادية: في هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من بعده، بأن الله قادر على نصرهم وإهلاك عدوهم دون حاجة إلى قوة مادية تفوق قوة العدو .فالنصر من عند الله.

**لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب النفي المؤكد: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾ و﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ فيه نفي قاطع للفعل واستبعاد لحصوله أصلا ً .فلم ينزل في الماضي، ولن ينزل في المستقبل جند من السماء لهذا الغرض.
· التعبير بـ "من بعده": أي بعد قتلهم له .وهذا يبين أن إهلاكهم كان عقاباً على جريمتهم النكراء في قتل الداعية إلى الله.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة طمأنينة للمؤمن: تقول الآية: لا تخف من قوة أعدائك .فالله قادر على أن يهلكهم بأبسط شيء، وأنت نائم في بيتك .فلا ترتبط بالأسباب، بل تعلق بسبب الأسباب.
· رسالة تحذيرية للظالم: تقول الآية للظالم: لا تغتر بقوتك، فالله قادر على أن يأخذك أخذ عزيز مقتدر، في لحظة، دون إنذار.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في قدرة الله، وكيف أنه يدبر الأمر بحكمة بالغة .فعدم إنزال الجند كان أبلغ في العقوبة والإذلال.

**مثال تقريبي على قدرة الله دون أسباب مادية:

تخيل أن هناك حشرة صغيرة جداً) بعوضة (تدخل في أنف طاغية جبار، فتسبب له التهاباً في المخ ويموت .أو تخيل فيروساً صغيراً لا يرى بالعين المجردة، يعصف بأقوى جيوش العالم ويشل حركتها . أليس هذا أبلغ في إظهار القدرة من أن يرسل الله جيشاً عرمرماً؟ هذا هو المعنى الذي تشير إليه الآ ية: إن إهلاكهم بصيحة واحدة أهون وأبلغ من إنزال جند.
**ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾) الآية(29

بعد أن نفى إنزال جند من السماء، يأتي ببيان كيفية إهلاكهم .إنه أمر في غاية السهولة واليسر على الله: لم يكن عقابهم إلا "صيحة واحدة".

**تحليل "الصيحة الواحدة" و"خامدون"

· صيحة واحدة: هي صيحة جبريل عليه السلام، أو صيحة العذاب الإلهي .ووصفها بأنها "واحدة" يدل على أنها لم تحتج إلى تكرار، بل كانت كافية لإنهاء حياة قوم بأكملهم في لحظة .وهذا يبين مدى عجزهم وضعفهم أمام قدرة الله.
· خامدون: الخمود هو انطفاء النار وسكونها بعد اشتعالها .وشبههم الله بالنار الخامدة .فكما أن النار تخمد فجأة، خمدت حياتهم فجأة، فسكنت حركاتهم، وانقطعت أنفاسهم، وصاروا جثثاً هامدة لا حراك فيها.

**لمسات بيانية وبلاغية
أسلوب القصر بـ "إن" و"إلا": ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أسلوب قصر يفيد الحصر والتأكيد .فما كان عقابهم إلا هذه الصيحة فقط، لا غير.

· استخدام "إذا" الفجائية: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ تدل على المفاجأة وسرعة وقوع العذاب .فلم يمهلوا، بل فوجئوا بالهلاك في لحظة.
· التشبيه البليغ: تشبيههم بالنار الخامدة فيه بلاغة عالية .فالنار فيها حياة وحركة واضطراب، ثم تخمد فجأة فتصبح رماداً .وكذلك هؤلاء، كانوا في حركة وجدال وعناد، ثم صاروا في لحظة جثثاً هامدة . وفيه إشارة إلى أن كفرهم وعنادهم كان كالنار المتقدة، فجاءت الصيحة فأخمدتها.
الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة رهبة وخوف: تملأ هذه الآية القلب خوفاً من بطش الله .فصيحة واحدة كانت كافية لإهلاك أمة بأكملها .فكيف نأمن مكر الله؟
· رسالة في سرعة زوال الدنيا: تعلمنا الآية أن الحياة الدنيا، مهما بدت قوية، فهي كالنار التي تخمد في لحظة .فعلينا ألا نغتر بها، بل نعمل للآخرة الباقية.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في عاقبة الظلم والطغيان .مهما طال أمد الظالم، فإن نهايته آتية، وقد تكون فجائية وسريعة.

*" مثال تقريبي على "الصيحة الواحدة" والخمود:
تخيل غرفة مليئة بالشموع المضيئة، تضيء المكان وتحركه .وفجأة، تأتي ريح عاصفة واحدة، فتطفئ جميع الشموع في نفس اللحظة، ويعم الظلام والسكون .هذا هو حالهم ."صيحة واحدة" أطفأت كل أنفاسهم، وأخمدت كل حركاتهم .أو تخيل كهرباء منزلك التي تشغل كل أجهزته، وفجأة ينقطع التيار الكهربائي) فيوز واحد يضرب(، فإذا بالبيت كله يغرق في الظلام والصمت .هكذا كانت نهايتهم، بأمر واحد بسيط من الله.
ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾) الآية(30

بعد أن أنهى قصة أصحاب القرية بهذه النهاية المأساوية، ينتقل الخطاب الإلهي إلى مشهد أوسع وأشمل .إنه تعليق إلهي على حال العباد المكذبين عبر التاريخ .إنه نداء مفعم بالحزن والأسى، ولكنه في نفس الوقت تقرير لحقيقة ماثلة.

**معنى "يا حسرة على العباد"
"الحسرة" هي أشد الندم والتلهف على ما فات .والمنادى هنا محذوف تقديره: "يا هؤلاء، تعالوا وانظروا إلى حسرة هؤلاء العباد" .أو هو نداء للتحسر، كأن الله يقول: "ما أشد حسرتهم يوم القيامة حين يرون العذاب!".
الآية تصور لنا مشهداً مؤلماً: العباد يهلكون، والملائكة أو المؤمنون يتحسرون عليهم، أو هم يتحسرون على أنفسهم يوم القيامة .وهذه الحسرة سببها واضح: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ . إنهم لم يكتفوا بتكذيب الرسل، بل استهزأوا بهم وسخروا منهم .وهذا هو أقصى درجات العناد و الجحود.

**لماذا الاستهزاء بالرسل هو سبب الحسرة؟
لأن الاستهزاء بالرسل يعني:
.1رفض الرحمة: الرسل جاءوا رحمة من الله، فكان ردهم هو السخرية والاستهزاء .فاستحقوا أن تحل بهم الحسرة، لأنهم رفضوا أعظم نعمة.
.2استحقاق أشد العذاب: الاستهزاء أشد من مجرد التكذيب .فالمكذب قد يكتفي بعدم التصديق، أما المستهزئ فهو يحتقر الداعية ويسخر منه .وهذا استكبار وطغيان يستوجب أشد أنواع العقاب.
.3دليل على موت القلوب: القلب الحي يتأثر بالحق، وقد يخاف أو يضطرب .أما القلب الميت فهو الذي يسخر من الحق وأهله.

**لمسات بيانية وبلاغية
· أسلوب النداء "يا حسرة": نداء الحسرة على سبيل المجاز، وهو أسلوب عربي بليغ للدلالة على عظم الأمر وشدة التوجع .كأن الحسرة صارت شخصاً ينادى ليحضر هذا المشهد المهول.
· استعمال "ما" النافية و"إلا" للحصر: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يفيد أن هذه هي سنة هؤلاء العباد المكذبين .كل رسول يأتيهم يقابلونه بالاستهزاء .وهذا الحصر يصور لنا عنادهم وإصرارهم على الباطل.
· الانتقال من الخاص إلى العام: بعد ذكر قصة خاصة) أصحاب القرية(، ينتقل القرآن إلى قاعدة عامة)كل رسول يأتي قومه إلا استهزأوا به .(وهذا الانتقال يعطي القصة بعداً أوسع، ويجعلها نموذجاً متكرراً في التاريخ.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

رسالة تحذيرية شديدة: تحذرنا الآية من مغبة الاستهزاء بالدين وأهله .إنها صفة من صفات الكافرين الجاحدين، تؤدي بصاحبها إلى الحسرة الأبدية.
· رسالة تثبيت للدعاة: تريح هذه الآية قلب الداعية، فتعلمه أن الاستهزاء هو سنة جارية مع المرسلين ، فلا يحزن ولا ييأس .فهذه هي طبيعة الطريق.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في عاقبة المستهزئين بالحق عبر التاريخ .أين هم الآن؟ لقد صاروا خبراً، وصار من استهزأوا بهم أئمة يقتدى بهم.

*" مثال تقريبي على الاستهزاء بالحق والحسرة:
تخيل أن طبيباً ناصحاً جاء إلى قرية ينتشر فيها وباء خطير، وأخبرهم أن الدواء الوحيد هو حقنة مؤلمة، ولكنها تنقذ حياتهم .فبدلا ً من أن يشكروه، سخروا منه وقالوا: "انظروا إلى هذا المجنون، يريد أن يعذبنا بالإبرا!" .ورفضوا الدواء .بعد أيام، بدأ الوباء يفتك بهم واحداً تلو الآخر، وأصبحوا في حسرة وندم عظيمين، يتمنون لو أنهم سمعوا كلام الطبيب .ولكن هيهات! هذا هو حال من يستهزئ بـ الرسل .في الدنيا قد لا يرون العذاب فوراً، ولكن في الآخرة سيكون الندم والحسرة أشد وأبقى.
اهم المفاهيم من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1أن نوقن بقدرة الله المطلقة: يريد منا أن نعلم أن الله قادر على نصرنا وإهلاك أعدائنا بأبسط الأ سباب، فلا نركن إلى الأسباب المادية وحدها.
.2أن نخاف من بطش الله وعذابه: يريد منا أن نأخذ العبرة من مصارع الظالمين، وألا نأمن مكر الله، فصيحة واحدة كافية لإهلاكنا.
.3أن نحذر من الاستهزاء بالحق وأهله: يريد منا أن نعظم أمر الله ورسله، وأن نكون جادين في تعاملنا مع الحق، لا ساخرين ولا مستهزئين.
.4أن نتحسر على حال الغافلين: يريد منا أن نشعر في قلوبنا بالأسى على من يضيعون فرصة الهداية، وأن نسعى لإنقاذهم قبل فوات الأوان.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال الاستهزاء بالحق: هل سبق لي أن سخرت من شخص يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر؟ هل ضحكت يوماً على أحد يذكر الله أو يدعو إلى الفضيلة؟ هل أشارك في نشر مقاطع تستهزئ بـ الملتزمين؟
· سؤال الأمن من مكر الله: هل أنا آمن من عذاب الله؟ هل أشعر أنني بعيد عن أن تشملني صيحة العذاب؟ هل أتوب من ذنوبي وأخاف من عقاب الله، أم أني مصر على المعاصي وكأني لا أخشى العذاب؟
· سؤال الحسرة على الغافلين: عندما أرى أناساً غارقين في الغفلة والمعاصي، هل أشعر في قلبي بـ الحسرة عليهم، وأتمنى هدايتهم، وأسعى لنصحهم؟ أم أني لا أبالي بهم؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "القدرة الإلهية المطلقة" كطمأنينة للمؤمن:
· لا تخف من قوة الباطل وأهله .ثق بأن الله قادر على أن يهزمهم بأبسط جنوده، كالبعوضة أو الفيروس .فعلق قلبك بـالله، وتوكل عليه.
· تمرين عملي: إذا شعرت بالخوف من عدو، فاقرأ قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾، وتذكر أن الله قادر على إهلاكهم في لحظة.
· مفهوم "تعظيم الحق وعدم الاستهزاء به" كأدب إسلامي:
· احترم كل من يدعو إلى الله، ولو كان على خطأ في بعض الوسائل .لا تسخر منه، بل انصحه برفق، أو اسكت.
· قاعدة ذهبية: "من سخر من أخيه في شيء، لم يمت حتى يفعل ذلك الشيء" .فاحذر من الا ستهزاء بالآخرين.
· مفهوم "الحسرة على الغافلين" كدافع للدعوة:

· لا تكن أنانياً تكتفي بنجاة نفسك .احمل هم هداية قومك، وتحسر عليهم إن ضلوا، وابذل جهدك لدعوتهم.
· تذكر: عندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قومه يصرون على الكفر، كان يحزن عليهم ويتمنى هدايتهم، حتى قال الله له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف: 6).

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في علاقتنا مع أعداء الدين:
· لا تنشغل بكثرة أعدائك أو قوتهم .انشغل بتقوية إيمانك وعلاقتك بـالله .فهو الذي سينصرك.
· ادع الله أن يكفيك شرهم، ولا تتمنى هلاكهم فحسب، بل ادع لهم بالهداية عسى أن يكونوا من جند الله.
.2في تربية أنفسنا على تعظيم الحق:
· راقب لسانك .لا تستهزئ بأحد، ولا تلمز أحداً بسبب تدينه أو التزامه.
· إذا رأيت منشوراً على وسائل التواصل يستهزئ بالدين أو الدعاة، فلا تشاركه، بل أنكر على صاحبه برفق.
.3في بناء الشخصية الدعوية:
· توقع أن يسخر منك الناس عندما تدعو إلى الله .هذه هي سنة المرسلين .فلا تحزن، ولا تتراجع .تذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الأنعام:.(10
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة الإيمان بقدرة الله المطلقة.
· قيمة الخوف من بطش الله وعذابه.
· قيمة تعظيم الحق وأهله.
· قيمة التحذير من الاستهزاء بالدين.
· قيمة الحسرة على الغافلين وحب الهداية لهم.
· قيمة الأخذ بالعبر من قصص السابقين.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء مجتمع قوي بالإيمان: المجتمع الذي يوقن أفراده بقدرة الله، لا يخاف من قوى الباطل، فيكون مجتمعاً عزيزاً مهاباً.
· بناء مجتمع متماسك بالقيم الأخلاقية: المجتمع الذي يحترم أفراده الحق وأهله، ولا يستهزئ بعضهم ببعض، هو مجتمع متماسك تسوده المحبة والاحترام.
· صناعة حضارة قائمة على الوعي والعبرة: الأمة التي تقرأ قصص السابقين وتتعظ بها، هي أمة واعية، لا تكرر أخطاء من قبلها، فتسير في طريق النهضة بخطى ثابتة.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد رأيت كيف انتهت قصة المستهزئين المكذبين بصيحة واحدة أخمدت أنفاسهم، وكيف تحولت ضحكاتهم وسخريتهم إلى حسرة وندم أبدي.

فلا تكن منهم .كن من الذين يعظمون أمر الله ورسله .كن من الذين يخافون بطش الله، فيستقيمون على أمره .كن من الذين يتحسرون على ضياع العباد، فيسعون لهدايتهم.
واعلم أن نهاية الباطل خمود، ونهاية الحق بقاء وخلود .فاختر لنفسك أي الفريقين تريد أن تكون
ثانيا.
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشهد نهاية المكذبين بصيحة واحدة، وكيف تحولوا إلى خامدين، وحلّت بهم الحسرة، ينتقل بنا الخطاب القرآني من مشهد خاص إلى مشهد عام شامل .إنه يفتح أعيننا على كتاب مفتوح هو كتاب التاريخ، ويدعونا إلى قراءة صفحاته بوعي وإيمان، لنتعلم ونبني ونرتقي.
يقول الله تعالى بعد أن بين مصير أصحاب القرية:
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يس:(31

﴿وَإِن كلٌ لمّا جَمِيعٌ لدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس:(32

إن هاتين الآيتين الكريمتين ليستا مجرد استفهام عن الماضي، بل هما "مدرسة إلهية" في قراءة التاريخ، و"منهج رباني" في بناء الحضارة .إنهما تضعان لنا أسساً راسخة للوعي الحضاري، وتربطان مصير الأمم بأعمالها، وتؤكدان حقيقة البعث والحساب لتكون دافعاً للإصلاح والعمل .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستلهم منهما كيف نقرأ التاريخ، وكيف نبني حضارة واعية مسؤولة.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1تأسيس منهج قراءة التاريخ: أن تتعلم كيف تنظر إلى مصير الأمم السابقة نظرة المؤمن الواعي، الذي يأخذ العبرة ويستفيد من التجارب.

.2إدراك السنن الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها: أن تفهم أن هناك قوانين ثابتة تحكم صعود الأ مم وهبوطها، مرتبطة بأعمالها وإيمانها.

.3تعزيز الإيمان بالبعث والحساب: أن يترسخ في قلبك اليقين بأن كل الناس محضرون أمام الله للحساب، مما يدفعك للعمل الصالح والاستعداد لهذا اليوم.

.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتكون قارئاً واعياً للتاريخ، ومواطناً صالحاً يسهم في بناء حضارة أمته على أسس متينة من الإيمان والمسؤولية.

تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الآية(31

هذا الاستفهام القرآني هو صرخة يقظة في وجه الغافلين .إنه دعوة صريحة لفتح العيون والعقول و القلوب، والتأمل في مصارع الأمم السابقة التي مشوا في ديارهم، ورأوا آثارهم.

**كيف تؤسس هذه الآية لمنهج قراءة التاريخ؟

الآية تقدم لنا منهجاً متكاملا ً في التعامل مع التاريخ:

.1الرؤية الواعية) ألم يروا(:

· "ألم يروا" ليست مجرد رؤية بصرية، بل هي رؤية علمية وعقلية وقلبية .إنها دعوة إلى البحث و التنقيب والتفكير .أن يروا بأعينهم آثار الأمم البائدة، ثم يستخدموا عقولهم لتحليل أسباب هلاكهم، ثم تتحرك قلوبهم بالعبرة والاتعاظ .هذه الرؤية المتكاملة هي أساس المعرفة الحضارية.

.2الإحصاء والاستقراء) كم أهلكنا(:

· "كم" خبرية تفيد الكثرة .إنها تشير إلى أن التاريخ مليء بالأمم والحضارات التي أهلكها الله بسبب كفرها وطغيانها .وهذا يدعونا إلى الاستقراء والدراسة المنهجية لتاريخ هذه الأمم، لمعرفة سنن الله فيها.

.3تحديد مجال الدراسة) من القرون(:

· "القرون" هم الأمم الماضية، أهل كل عصر وزمان .وهذا يحدد مجال دراستنا: إنه تاريخ البشرية بأكمله، بحضاراتها المختلفة .فعلينا أن ننظر في تاريخ عاد وثمود وفرعون، وفي تاريخ اليونان و الرومان والفرس، وكل أمة طغت وبغت.

.4النتيجة الحتمية) أنهم إليهم لا يرجعون(:

· هذه هي العبرة الكبرى: أولئك الذين أهلكهم الله بذنوبهم، انقطعت صلتهم بالدنيا تماماً، ولن يعودوا إليها أبداً .وهذا يبين حتمية النهاية لكل حضارة تخرج عن منهج الله .فكما هلك أولئك، سنهلك نحن إن سلكنا سبيلهم .وكما لا رجعة لهم، فلن نرجع نحن بعد الموت لإصلاح ما أفسدناه .هذه الحتمية تزرع في النفس الإحساس بالمسؤولية والاستعجال بالعمل الصالح.

**كيف تبني هذه الآية حضارة واعية بالتاريخ؟

الآية تضع حجر الأساس لبناء حضارة واعية بذاتها وبتاريخها:

· التأصيل المعرفي: إنها تدعونا إلى جعل دراسة التاريخ والسنن الإلهية جزءاً أساسياً من منظومتنا الفكرية والتربوية .فلا نعيش منبتين عن ماضينا وتجارب غيرنا.

· الاستفادة من التجارب: الحضارة الذكية هي التي لا تكرر أخطاء غيرها، بل تتعلم من تجارب السابقين .فالنظر في سبب هلاك الأمم يجنبنا الوقوع فيما أوقعهم في الهلاك.

· بناء الوعي بالمسؤولية: عندما نعلم أن هلاك الحضارات مرتبط بأعمالها، فإننا ندرك أن بقاء حضارتنا واستمرارها مرهون بأعمالنا نحن .وهذا يدفعنا إلى العمل الجاد والإصلاح الشامل.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الاستفهام التقريري "ألم يروا": الغرض منه ليس النفي، بل التقرير والتوبيخ .فكأنه يقول: "لقد رأيتم

وعلمتم، فلماذا لا تعتبرون؟".
· استخدام "كم" الخبرية: تدل على التكثير، مما يثير في النفس هيبة وخوفاً من كثرة من أهلكهم الله ، ويجعل العبرة أكبر.
· الضمير في "إليهم": يعود على "القرون" المهلكة .والمعنى أنهم لا يرجعون إلى الدنيا .وهذا يقطع الأ مل في العودة لإصلاح ما فات، فيحفز على المبادرة.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة وعي: تخرج الآية الإنسان من ضيق الغفلة والانغماس في الحاضر، إلى سعة الوعي والتأمل في الماضي والمستقبل.
· رسالة تحفيز على البحث العلمي: تدعو الآية إلى البحث والتنقيب في آثار الأمم السابقة، ودراسة تاريخها، وهذا باب واسع من أبواب العلم والمعرفة.
· رسالة تربوية في الاعتبار: تعلمنا الآية أن نسير في الأرض وننظر كيف كان عاقبة المكذبين، لا للسياحة والترفيه فقط، بل للاعتبار والاتعاظ.

*"مثال تقريبي على قراءة التاريخ الواعية:
تخيل أنك تمشي في شارع، فترى حادث سيارة مروعاً .السائق كان مسرعاً ومتهوراً .مجرد رؤيتك للحادث تجعلك تخفف من سرعتك، وتلتزم بقواعد المرور بوعي وانتباه شديدين .أنت لم تشترك في الحادث، لكنك اعتبرت بغيره .هذا هو معنى "ألم يروا" .أما أن تمر على الحادث وكأن شيئاً لم يكن، وتستمر في قيادتك المتهورة، فأنت لم "تر" رؤية واعية .وبالمثل، عندما نقرأ عن هلاك الأمم السابقة، ونرى آثارهم، ثم نستمر في معاصينا وطغياننا، فكأننا لم نر شيئاً.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ الآية(32)
بعد أن قررت الآية الأولى أن الأمم المهلكة لا ترجع إلى الدنيا، تأتي هذه الآية لتقرر حقيقة مكملة ومذهلة: إن عدم رجوعهم إلى الدنيا لا يعني نهايتهم المطلقة، بل هم جميعاً، بمن فيهم نحن، سنُحضر جميعاً بين يدي الله للحساب.
**كيف تعزز هذه الآية الإيمان بالبعث والمسؤولية؟
هذه الآية هي العمود الفقري لعقيدة الجزاء، ولها آثار عظيمة على سلوك الفرد والمجتمع:
.1اليقين بحتمية الحشر: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ تأكيد قاطع بأن كل إنسان، من الأولين والآخرين، سيُجمع ويُحضر بين يدي الله تعالى .هذا اليقين بالقطعيات هو الذي يبني الإيمان الراسخ.
.2ترسيخ مفهوم المسؤولية الفردية: كلمة "محضرون" تعني أنهم سيُحضرون للحساب، وكل واحد سيسأل عما قدمت يداه .هذا يرسخ في النفس مبدأ المسؤولية الفردية .كل إنسان محاسب على عمله، لا يتحمل أحد وزر أحد.
.3التربية على رقابة الله: الإيمان بأننا سنحضر جميعاً أمام الله، يجعل المؤمن يستحضر رقابة الله في كل تصرفاته .فهو يعلم أن هناك يوماً سيعرض فيه عمله، فلا يفعل إلا ما يسرّه أن يراه في ذلك الموقف.

**كيف تحفز هذه الآية على العمل الصالح والاستعداد للقاء الله؟
عندما يستقر في القلب أن اللقاء بالله آتٍ لا ريب فيه، فإن ذلك يتحول إلى طاقة دافعة هائلة للعمل الصالح .فالمؤمن يريد أن يحسن لقاء ربه، فيسارع في الخيرات، ويتجنب المعاصي .هذا الشعور يحرر الإنسان من التعلق بالدنيا الفانية، ويجعله متعلقاً بالآخرة الباقية.
**لمسات بيانية وبلاغية
· التوكيد بـ "إن" واللام: قوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ﴾ فيه توكيدات متعددة: "إن" المخففة من الثقيلة، و اللام الفارقة .وهذا أبلغ توكيد لحقيقة الحشر والجمع.
· التعبير بـ "لما جميع": "لما" بمعنى "إلا" .والتقدير: "وإن كلهم إلا جميع محضرون" .وهذا أسلوب قصر، يفيد حصر حالهم في أنهم سيحضرون لا محالة.
· لفظة "محضرون": اسم مفعول بصيغة الجمع، يدل على أن الحضور سيكون بالإكراه والإجبار .فليس لأحد أن يتخلف عن هذا الموقف العظيم.

*"الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة يقين: تملأ الآية قلب المؤمن يقيناً جازماً بأن لقاء الله حق، وأن الحساب حق، فلا شك ولا ريب.
· رسالة تحفيزية: الإيمان بالحضور بين يدي الله هو أقوى دافع للعمل الصالح وترك المعاصي .فمن أيقن بالحساب، أحسن العمل.
· رسالة تربوية في الأخلاق: استشعار أننا سنحضر جميعاً أمام الله يجعلنا نراقب أخلاقنا وتعاملاتنا، ف لا نظلم ولا نغش ولا نكذب.

**مثال تقريبي على "محضرون" وأثره في السلوك:
تخيل أنك طالب على وشك الامتحان النهائي .أنت تعلم أن هذا الامتحان حتمي، ولا مفر منه .هذا العلم اليقيني يجعلك تستعد للامتحان بكل جد واجتهاد، تذاكر دروسك، وتسهر الليالي، وتضبط وقتك . شعورك بأنك "محضر" للامتحان هو الذي يحرك همتك .فكيف بمن يعلم أنه "محضر" بين يدي الله، م الك يوم الدين؟ ألا يكون ذلك أدعى للاستعداد والاجتهاد في العمل الصالح؟ هذا هو المفهوم الذي ترسخه الآية في النفس.
اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم العمليه من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1أن نقرأ التاريخ قراءة واعية: يريد منا أن ننظر في مصير الأمم السابقة لا كحكايات مسلية، بل كدروس وعبر لنا.
.2أن نستفيد من تجارب التاريخ: يريد منا أن نتعلم من أخطاء السابقين، فلا نقع فيما وقعوا فيه، وأن نقتدي بمحاسنهم.
.3أن نؤمن يقيناً بالبعث والحساب: يريد منا أن نستقر في قلوبنا عقيدة الحشر والجمع بين يدي الله ، لتكون دافعاً لنا للعمل الصالح.
.4أن نتحمل مسؤولية أعمالنا: يريد منا أن ندرك أننا محاسبون أفراداً وجماعات، فنصلح من أنفسنا ومن مجتمعنا.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(
والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال قراءة التاريخ: عندما أقرأ عن حضارة عظيمة انهارت، أو أزور آثاراً لأمم بائدة، هل أقف متأم لا ً متعظاً، أم أني أمر مرور الكرام لمجرد الترفيه والسياحة؟
· سؤال الاستفادة من تجارب الغير: هل أنظر إلى أخطاء من حولي وأتعلم منها، أم أقول: "هذا شأنهم لا يعنيني"، ثم أقع في نفس الأخطاء؟
· سؤال الاستعداد للحشر: هل أعيش حياتي وكأنني "محضر" بين يدي الله غداً؟ هل أستعد لذلك اليوم بالعمل الصالح ومراجعة النفس؟
· سؤال المسؤولية الفردية: هل أعترف بأخطائي وأتحمل نتائجها، أم أني ألقي باللوم على الظروف وا لآخرين؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات
لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:
· مفهوم "التاريخ عبرة ودرس":
· في القراءة والاطلاع: لا تقرأ التاريخ لمجرد المتعة .اقرأ لتتعلم .اسأل نفسك دائماً: ما هي أسباب قوة هذه الحضارة؟ ما هي أسباب سقوطها؟ وكيف يمكنني تطبيق هذه الدروس في واقعي؟
· في السفر والسياحة: إذا زرت آثاراً قديمة، فلا تكتف بالتقاط الصور .تفكر في حال من بنوها، وأين هم الآن، ولماذا هلكوا.
· مفهوم "الاستعداد للقاء الله" كمحرك يومي:
· في النية: اجعل لقاء الله هو هدفك الأسمى .قل في نفسك: "أنا أعمل هذا العمل الصالح لألقى به ربي وهو راض عني".
· في المحاسبة: حاسب نفسك كل ليلة قبل النوم: "ماذا قدمت اليوم للقاء الله؟".
· مفهوم "المسؤولية الفردية والجماعية":
· في الحياة الشخصية: أنت مسؤول عن نفسك، عن صحتك، عن وقتك، عن مالك .فلا تضيعها فيما لا ينفع.
· في الحياة العامة: أنت مسؤول عن مجتمعك .انصح، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، وكن إيجابياً.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟
هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:
.1في بناء الوعي التاريخي:
· خصص وقتاً أسبوعياً لقراءة كتاب في التاريخ الإسلامي أو تاريخ الحضارات.

· ناقش مع أبنائك وأصدقائك الدروس المستفادة من سقوط حضارة ما، أو قصة قوم من الأقوام السابقة.
.2في تعزيز الإيمان بالآخرة:
· اقرأ سورة الملك كل ليلة قبل النوم، فهي تذكر بالموت والحياة.
· قم بزيارة المقابر بين الحين والآخر، فهي تذكر بالآخرة، وترقق القلوب.
.3في بناء الشخصية المسؤولة:
· ضع لنفسك أهدافاً يومية وأسبوعية للعمل الصالح، وتابع إنجازك لها.
· إذا رأيت خطأ أو منكراً، فبادر إلى تغييره حسب استطاعتك، ولا تكن سلبياً.
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات
· قيمة الوعي التاريخي والاعتبار بالماضي.
· قيمة البحث والدراسة والتفكر في سنن الله.
· قيمة الإيمان الراسخ بالبعث والحساب.
· قيمة تحمل المسؤولية الفردية والجماعية.
· قيمة الاستعداد للقاء الله بالعمل الصالح.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة
هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:
· بناء حضارة واعية متعلمة: أمة تقرأ تاريخها وتاريخ غيرها، هي أمة واعية، تتعلم من أخطائها، وتستفيد من تجاربها، فتنهض بسرعة.
· بناء حضارة أخلاقية مسؤولة: أمة تؤمن بأنها محضرة بين يدي الله، هي أمة تراقب الله في كل أعمالها، فتسود فيها الأخلاق والفضيلة والعدالة.
· بناء حضارة مستدامة: الحضارة التي تقوم على الإيمان بالآخرة والمسؤولية الفردية، هي حضارة مستدامة، لأن أفرادها يعملون بإخلاص وهمة عالية، لا لهدف دنيوي زائل، بل لأجر أخروي باق.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك
أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد فتح الله لك كتابين عظيمين: كتاب التاريخ، وكتاب الحساب.
· كتاب التاريخ: يدعوك لتقرأ صفحاته، وتتأمل في مصارع الأمم، لتأخذ العبرة وتبني وعيك.
· كتاب الحساب: يذكرك بأنك ستُحضر بين يدي الله، لتقرأ كتابك، وتُجزى بعملك.
فلا تكن غافلا ً عن هذين الكتابين .انظر إلى آثار من قبلك، واعتبر .واستعد ليوم حشرك، واعمل . وكن فرداً صالحاً مصلحاً، تبني حضارة أمتك على أساس متين من الإيمان والعلم والمسؤولية.
واسأل نفسك دائماً، كلما رأيت أثراً لأمة بائدة: "أين هم الآن؟" .وكلما هممت بمعصية: "ماذا سأقول لربي يوم أحضر بين يديه؟".

القسم الثالث
اولا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد التكذيب والهلاك، وعلى حقيقة الحشر والجمع، ينتقل بنا الخطاب القرآني من صفحات التاريخ إلى صفحات الكون المفتوح .إنه يأخذنا في رحلة إيمانية فريدة في الأرض التي نحيا عليها، ليرينا بأعيننا وقلوبنا آيات قدرته، ودلائل وحدانيته، ونماذج من رزقه وفضله.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر مشهد الحشر:

.﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾) يس:(33
.﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾) يس:(34
.﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾) يس:(35

إن هذه الآيات الثلاث ليست مجرد وصف للطبيعة، بل هي "مختبر إيماني" و"مدرسة حياتية" و"منهج حضاري" متكامل .إنها تربط بين إحياء الأرض الميتة بالماء، وبين حاجة الروح إلى ماء الوحي)القرآن .(إنها تثبت قدرة الله على البعث من خلال مشهد نراه كل عام .إنها تضع أسس إدارة الموارد والتنمية المستدامة .دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نحيا حياة طيبة، مليئة بـ الشكر والعمل والعمران.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1تعزيز الإيمان بالبعث والقدرة الإلهية: أن ترى في إحياء الأرض الميتة دليلا ً ماديا ً ملموسا ً على قدرة الله على إحياء الموتى.
.2إدراك حاجة الروح إلى الوحي كحاجة الجسد إلى الطعام: أن تفهم العلاقة العميقة بين الماء الذي يحيي الأرض، والقرآن الذي يحيي القلوب.
.3تأسيس نظرة عملية لإدارة الموارد والتنمية: أن تتعلم كيف تخطط وتستثمر وتصنع، بدءا ً من استص لاح الأرض وصولا ً إلى تحقيق الأمن الغذائي والرفاهية.
.4تربية النفس على الشكر والامتنان: أن تجعل الشكر لله محركا ً لاستمرارك في العمل الصالح، وليس مجرد كلمة تقال.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتصبح عاملا ً منتجا ً، وشاكرا ً لأنعم الله، ومسهما ً في بناء حضارة أمتك.

-تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: .﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾) الآية(33

هذه الآية تفتح أعيننا على آية كونية عظيمة، نراها بأعيننا كل عام، ولكننا نمر عليها غافلين .إنها الأ رض الميتة، اليابسة، الجرداء، التي لا حياة فيها .ثم ينزل الله عليها الماء، فإذا بها تهتز وتربو، وتخرج من كل زوج بهيج.

**العلاقة بين إحياء الأرض وإحياء القلوب) حاجة الروح إلى القرآن(

كما أن الجسد بحاجة ماسة إلى الطعام والشراب ليبقى حيا ً، فكذلك الروح بحاجة ماسة إلى غذائها الحقيقي: وهو الوحي والقرآن والاتصال بالله.

· الأرض الميتة: هي مثل قلب الغافل، البعيد عن الله، القاسي الذي لا حياة فيه.
· الماء الذي يحيي الأرض: هو مثل القرآن والوحي والذكر، الذي إذا نزل على القلب الميت، أحياه وأيقظه وأنبت فيه الإيمان والخير.
· الحب الذي يخرج من الأرض: هو مثل الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة واليقين الذي يثمره القلب الحي.

فكما أنك ترى الأرض الميتة تتحول إلى جنة خضراء بفضل الماء، فثق أن الله قادر على أن يحيي قلبك الميت ويهديه بنور كتابه .هذه العلاقة التي ذكرها الله هي دعوة لنا لنقبل على القرآن كما نقبل

على الماء والطعام.

**دلالة تشبيه البعث والنشور بإحياء الأرض الميتة

هذا التشبيه القرآني هو من أقوى الأدلة العقلية والمادية على قدرة الله على البعث .إنه ينقل العقل من مشاهدة محسوسة) إحياء الأرض (إلى استحضار حقيقة غيبية) البعث بعد الموت.(

· المشاهدة المحسوسة: أنت ترى بأم عينك أرضاً ميتة، لا روح فيها، فتنزل عليها الأمطار، فتعود إليها الحياة، وتنبت من كل زوج بهيج.
· الاستحضار العقلي: إذا كان الله قادراً على هذا الإحياء المتكرر كل عام، فهل يعجز عن أن يحييك بعد موتك؟! إنها دعوة عقلية صريحة للإيمان بالبعث .قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾)فصلت:.(39

**لمسات بيانية وبلاغية

· التنكير في "آية": للتعظيم والتفخيم .أي أن الأرض الميتة آية عظيمة من آيات الله.
· الإسناد إلى الله في "أحييناها" و"أخرجنا": لبيان أن هذا الفعل العظيم ليس من فعل الطبيعة، بل هو فعل الله وحده .فالطبيعة مجرد وسيلة.
· التعبير بـ "فمنه يأكلون": الفاء للتعقيب السريع .فبمجرد إخراج الحب، ينتفعون به ويأكلون .وهذا يذكرهم بنعمة الله المتجددة عليهم.

*" الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة أمل وتجدد: مشهد إحياء الأرض الميتة يبعث في النفس رسالة مفادها أن الانبعاث ممكن دائماً .مهما بلغت درجة اليأس والقحط والجمود في حياتك، فإن رحمة الله قادرة على إحيائك من جديد.
· رسالة في التربية بالملاحظة والتدبر: استخدام كلمة "آية لهم" يربي الفرد على ربط المشاهدات اليومية بالحقائق الكبرى .فلا يمر على مشهد طبيعي دون أن يتفكر ويتدبر.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى التفكير النسقي المترابط .فأنت ترى الأرض والماء والنبات والجهد البشري، فتعلم أن هناك نظاماً دقيقاً يدبره الله، مما ينمي فكراً يدرك ترابط الأشياء.

**مثال تقريبي على إحياء الأرض وإحياء القلب:

تخيل أنك تملك حديقة أهملتها تماماً .جفت تربتها، وماتت نباتاتها، وأصبحت أرضاً جرداء قاحلة لا تصلح لشيء .ثم قررت أن تعتني بها .أحضرت الماء، وسقيتها بانتظام، وأزلقت تربتها، ووضعت لها السماد .بعد فترة قصيرة، بدأت الأرض "تحيا"، وظهرت براعم خضراء صغيرة، ثم نمت وتحولت إلى حديقة غناء مليئة بالأزهار والثمار .هذا هو حال قلبك مع القرآن .إذا أهملته، مات وجف .وإذا سقيته بماء الوحي وتدبر القرآن، عادت إليه الحياة، وأثمر إيماناً ويقيناً وأخلاقاً فاضلة.

ثانياً:
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ الآية(34

بعد أن ذكر الله إخراج الحب الأساسي) القوت الضروري(، ينتقل إلى ذكر نعم أخرى، تمثل مرحلة متقدمة من الرفاهية والتنوع .إنها الجنات من نخيل وأعناب.

**فقه الأولويات في الإنتاج وإدارة الموارد المائية

الآية تعلمنا فقهاً اقتصادياً دقيقاً:

.1الأمن الغذائي الأساسي أولاً: بدأ الله بذكر "الحب" وهو القوت الأساسي الذي لا غنى عنه) القمح ، الشعير، الأرز .(وهذا يعلمنا أن نركز في خططنا التنموية على توفير الاحتياجات الأساسية والضرورية للناس أولاً.
.2التنوع والرفاهية ثانياً: ثم ذكر "الجنات من نخيل وأعناب"، وهي تمثل الرفاهية والتنوع الغذائي وا لاقتصادي .وهذا يأتي بعد تحقيق الأمن الغذائي الأساسي.

.3إدارة الموارد المائية كعصب للتنمية: قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ يؤكد على أن المياه هي عصب الحياة والتنمية .فبدون الماء، لا حب ولا جنات .وهذا يحثنا على ترشيد استهلاك المياه، و البحث عن مصادرها، وإدارتها بكفاءة عالية، فهي أساس أي مشروع تنموي ناجح.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بـ "جعلنا": الفعل "جعل" يدل على الإنشاء والتكوين والتمكين .فالله هو الذي خلق هذه الجنات وجعلها مثمرة.
· ذكر النخيل والأعناب خصوصاً: خصهما بالذكر لأنهما من أشرف الثمار وأكثرها نفعاً .فالنخيل طعام وفاكهة، والأعناب غذاء وفاكهة .وهما رمز للخير والبركة.
· التعبير بـ "فجرنا": يدل على كثرة الماء وسهولة جريانه وانفجاره من العيون .وهذا يبين عظمة النعمة ويسرها.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في التنمية المتوازنة: تعلمنا الآية أن نخطط للتنمية بشكل متوازن، يلبي الضروريات أولا ً، ثم يتجه إلى تحسين جودة الحياة والرفاهية.
· رسالة في أهمية التخطيط المائي: تذكرنا الآية بأن أي مشروع زراعي أو عمراني يجب أن يسبقه تخطيط دقيق لمصادر المياه وإدارتها.
· رسالة في الوفرة والتنوع: تظهر الآية كيف أن الله ينوع الأرزاق لعباده، ليشكروه ويتمتعوا بفضله.
ثالثاً:
قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الآية(35)

هذه الآية هي ذروة الدرس الحضاري والعملي .إنها تجمع بين الفضل الإلهي والجهد البشري، وتضع الغاية الأخلاقية من كل هذا العطاء.

**قيمة العمل اليدوي والجهد البشري في البناء الحضاري

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ هو إشارة عظيمة إلى شرعية العمل وقيمته .فالإنسان لا يأكل فقط من الثمر الذي يخرج مباشرة من الأرض، بل يأكل أيضاً مما صنعته وحولته يداه من هذا الثمر .وهذا يشمل:

· الصناعات التحويلية الزراعية: مثل عصر الزيتون لاستخراج الزيت، وتجفيف التمور والعنب) الزبيب(، وطحن الحبوب لصنع الخبز، وصناعة المربيات والعصائر.
· قيمة مضافة: هذا العمل اليدوي هو الذي يضيف قيمة للمادة الخام، ويحولها إلى منتج نهائي مفيد، وهو أساس الاقتصاد والصناعة.

هذه الآية تكسر نفسية الاتكال والعجز، وتنمي عقليه المبادرة والإنتاج .فالمسلم الحق ليس مجرد عابد في صومعته، بل هو عامل بناء، محيي أرض، مستثمر لموارد الله.

**التربية على الشكر كغاية للأعمال والنعم

تختم الآية بسؤال استنكاري: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ .وهذا يبين أن الشكر هو الغاية الأخلاقية من كل هذه النعم.

· الشكر ليس مجرد كلمة: الشكر الحقيقي هو الاعتراف بالمنعم) الله(، واستعمال نعمه في طاعته وليس في معصيته .وهو الذي يضمن استدامة النعم وعدم زوالها .قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾)إبراهيم:.(7
· التوازن بين التوكل والأخذ بالأسباب: الآية تربط بين إحياء الله للأرض) التوكل على الله(، وبين عمل أيدي الناس) الأخذ بالأسباب .(فهي تربي فينا أن نتوكل على الله، ونعمل بجد في نفس الوقت، ثم نشكر الله على ما رزقنا من ثمرة جهدنا.

**لمسات بيانية وبلاغية

· لام التعليل في "ليأكلوا": تبين الغاية من خلق هذه النعم، وهي انتفاع البشر بها.

· عطف "وما عملته أيديهم": هذا العطف يعطي قيمة عظيمة للعمل البشري، ويجعله في سياق الامتنان الإلهي .فكأن الله يقول: أنا الذي خلقت الثمر، وأنا الذي يسرت لكم العمل والصناعة، فكلوا واشكروا.
· الاستفهام الإنكاري "أفلا يشكرون": يوبخهم على ترك الشكر، ويحثهم عليه، لأن الشكر هو الواجب المقابل للنعم.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في بناء الشخصية المسلمة: تؤكد الآية أن المسلم عامل بناء ومنتج .هو ليس عالة على غيره، بل هو محيي أرض ومستثمر لما فجر الله من عيون .وهو في نفس الوقت شاكر، يدرك أن دوره هو العمل، وأن الفضل كله لله.
· رسالة في التحرر من العجز: التأكيد على "وما عملته أيديهم" يكسر نفسية الاتكال، وينمي عقليه المبادرة والاعتماد على الذات بعد التوكل على الله.
· رسالة في الجمع بين المادة والروح: المسلم يأكل من رزق الله) مادة(، ويشكر الله) روح .(فهو لا ينسى حظه من الدنيا، ولا ينسى حظه من الآخرة.

**نموذج تطبيقي على سلسلة القيمة والإنتاج:

لنأخذ مثالا ً على ثمرة "العنب" المذكورة في الآية:

.1الموارد الطبيعية) أحييناها وفجرنا العيون(: لديك أرض وماء .هذا فضل الله.
.2الإنتاج الزراعي) أخرجنا جنات(: زرعت الأرض عنباً، فأنبتته وأثمر .هذا فضل الله.
.3الجهد البشري والصناعة) وما عملته أيديهم(: أنت قمت بقطف العنب .ثم صنعت منه عصيراً طازجاً ، أو جففته فصار زبيباً، أو عصرته فصار خلا ً أو دبساً .هذا هو عملك أنت الذي أضاف قيمة للمادة الخام.
.4الاستهلاك) ليأكلوا من ثمره(: أنت وعائلتك تأكلون من هذا العنب وعصيره وزبيبه.
.5الغاية الأخلاقية) أفلا يشكرون(: بعد كل هذا، تحمد الله وتشكره على نعمه، وتستعملها في طاعته، بأن تتصدق بجزء منها للفقراء.

اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس العمليه من الايه

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1أن نؤمن بقدرته على البعث: يريد منا أن نرى في إحياء الأرض دليلا ً قاطعاً على قدرته على إحيائنا بعد الموت.
.2أن ندرك حاجة أرواحنا إلى القرآن: يريد منا أن نقبل على كتابه كما نقبل على الطعام والشراب، فهو حياة القلوب.
.3أن نكون منتجين وعاملين: يريد منا أن نستثمر موارد الأرض، ونعمل بأيدينا لتحويلها إلى منتجات نافعة.
.4أن نخطط لإدارة مواردنا بحكمة: يريد منا أن نراعي فقه الأولويات) الأساسي قبل الرفاهي(، وأن ندير المياه بكفاءة.
.5أن نكون من الشاكرين: يريد منا أن نعترف بفضله، ونستعمل نعمه في طاعته، لتدوم علينا وتزيد.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال الإيمان بالبعث: عندما أرى مشهد الربيع والأرض المخضرة، هل أتذكر قدرة الله على البعث، فيزداد يقيني بالآخرة؟ أم أني أنظر إليها كظاهرة طبيعية فحسب؟
· سؤال حاجة الروح: هل أهتم بغذاء روحي من القرآن والذكر، كما أهتم بغذاء جسدي من الطعام و الشراب؟ هل هناك وقت ثابت في يومي للقرآن؟
· سؤال العمل والإنتاج: ما هو مقدار "ما عملته يدي"؟ هل أنا منتج وفاعل في مجتمعي، أم أني متكل على غيري؟ هل أضيف قيمة في عملي أم أؤدي واجبي فقط؟
· سؤال الشكر: هل أنا من الشاكرين حقاً؟ هل يظهر شكري لله في استعمال نعمه في طاعته، أم أني

أستعملها في معصيته وأقول: "الحمد لله"؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التربية بالملاحظة والتدبر":
· تمرين عملي: عندما تشرب كوباً من الماء، أو تأكل تفاحة، توقف للحظة .تأمل كيف خرجت هذه التفاحة من أرض ميتة، وكيف سقاها الله بماء المطر، وكيف عملت يد فلاح في رعايتها .ثم قل: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور".
· مفهوم "إحياء الأرض واستصلاح الموارد":
· ابحث عن فرص لاستصلاح أرض مهملة، ولو بزرع شجرة في حديقة المنزل أو الحي .هذا تطبيق عملي لمفهوم الإحياء.
· مفهوم "الشكر كمنهج حياة":
· قاعدة ذهبية: "الشكر ليس فقط باللسان، بل بالأركان" .استعمل سمعك في سماع الحق، وبصرك في رؤية آيات الله، ويدك في العمل الصالح، ورجلك في السعي للخير .هذا هو الشكر الحقيقي.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في تعزيز الإيمان:
· خصص وقتاً للتأمل في الطبيعة .انظر إلى النباتات والزهور، وتذكر قدرة الله على البعث .اربط بين ما تراه في الكون وبين ما تقرؤه في القرآن.
.2في المجال الاقتصادي والتنموي:
· ادعم المنتج المحلي .عندما تشتري منتجاً صنعته أيدي بلدك، فأنت تسهم في تنمية اقتصادها.
· تعلم حرفة أو مهارة يدوية، ولو كهواية .فهذا يذكرك بقيمة العمل اليدوي.
.3في تربية الأبناء:
· علمهم أن يزرعوا نبتة في المنزل، واجعلهم يراقبونها وهي تنمو، واشرح لهم كيف أن الله يحيي الأرض بالماء.
· عودهم على كلمة "الحمد لله" عند الطعام والشراب، واشرح لهم معناها العميق.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة الإيمان بالبعث والقدرة الإلهية.
· قيمة العمل والإنتاج والجهد البشري.
· قيمة التخطيط وإدارة الموارد) فقه الأولويات.(
· قيمة الشكر والامتنان كغاية أخلاقية.
· قيمة التفكر والتدبر في آيات الله الكونية.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الآيات تضع خارطة طريق متكاملة لبناء الحضارة، تقوم على ثلاثية النهضة:

.1الموارد الطبيعية) الأرض والماء(: وهي المادة الخام التي خلقها الله وسخرها) .أحييناها - فجرنا العيون.(
.2الجهد البشري) العمل(: وهو الركيزة الأساسية لتحويل المادة الخام إلى حضارة) .وما عملته أيديهم.(
.3الغاية الأخلاقية) الشكر(: وهي الضمانة لعدم طغيان الحضارة المادية واستدامتها) .أفلا يشكرون.(

وهذه الخارطة تبدأ من:

· الاستكشاف والاستصلاح:) آية لهم الأرض الميتة أحييناها.(
· الإنتاج الأساسي:) أخرجنا منها حباً.(
· الاستثمار طويل الأمد والتنوع:) وجعلنا فيها جنات.(
· التصنيع وإضافة القيمة:) وما عملته أيديهم.(

· تحقيق الاستدامة النفسية والاجتماعية:) أفلا يشكرون.(
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد رسم الله لك في هذه الآيات القصار خارطة طريق كاملة لحياة طيبة وحضارة راشدة.

انظر حولك في كل ربيع، وقل بقلبك قبل لسانك: "ربي قادر على أن يحييني بعد موتي، كما أحييت هذه الأرض" .هذا هو الإيمان.

واعلم أنك لست مجرد متلقٍ للرزق .أنت شريك في صناعته ."ما عملته أيديك" هو بصمتك في هذه الحياة، هو إسهامك في بناء الحضارة .فلا تكن عاطلا ً ولا متكلا ً.

واجعل الشكر دثارك .اشكر الله على نعمة الأرض والماء والعقل واليدين .واستعمل هذه النعم كلها في طاعة من أنعم بها عليك .فبذلك تدوم النعم، وتزكو الأعمال، وترضى الرحمن
ثانيا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة «يس»، قلب القرآن النابض. بعد أن وقفنا على آيات الأرض الميتة وإحيائها، وعلى مشاهد النعم والثمار والجهد البشري، نأتي الآن لنقف بخشوع وتأمل أمام آية عظيمة، تفتح لنا نافذة واسعة على بديع صنع الله في الكون كله. إنها آية تم لأ القلب تسبيحاً وتنزيهاً للخالق العظيم.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر نعمه في الأرض والثمار:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يس:(36)

إن هذه الآية الكريمة ليست مجرد إخبار عن خلق الأزواج، بل هي "تسبيحة كونية" و"إعلان تنزيه" و "دعوة للتأمل العلمي". إنها تضع أمام أعيننا وآذاننا وقلوبنا مظهراً من مظاهر قدرة الله التي لا تحصى ، وتذكرنا بأن ما نعلمه من أسرار هذا الكون هو قليل، وما نجهله أكثر وأعظم. دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، ونستلهم منها كيف نسبح الله، وكيف ننظر إلى الكون نظرة العالم المتأمل.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1تعظيم الله وتنزيهه: أن تتعلم كيف تسبح الله وتعظمه عند رؤية بديع خلقه، وأن تستشعر أن كل ما في الكون يدل على كماله المطلق.
.2إدراك سنة الأزواج في الخلق: أن تفهم أن خلق الأشياء أزواجا) ذكر وأنثى، موجب وسالب (هو سنة إلهية عامة في كل شيء، مما يدل على عظمة الخالق وحكمته.
.3استشعار سعة العلم الإلهي وحدود العلم البشري: أن توقن بأن ما نعرفه من مخلوقات الله هو قليل جداً، وأن هناك عوالم لا نعلمها، مما يدفعك للتواضع والبحث المستمر.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتعيش في كون الله متأملا ً مسبحاً، وتتعامل مع التنوع والاختلاف على أنه آية من آيات الله.

تفسير الآية وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾

تبدأ الآية بكلمة عظيمة هي "سبحان"، وهي كلمة تنزيه وتقديس لله عز وجل عن كل نقص أو شريك. إنها إعلان بأن الله منزه عن أن يكون له شبيه أو مثيل في خلقه للأزواج.

**ما معنى "الأزواج كلها"؟

"الأزواج" جمع "زوج"، والزوج هو الفرد الذي له مقابل أو قرين .والآية تخبرنا أن الله خلق كل شيء في هذا الكون على هيئة أزواج .وهذه سنة إلهية مطردة في كل مخلوقاته:

· في عالم النبات:) مما تنبت الأرض (هناك ذكر وأنثى في كثير من النباتات، كما أثبت العلم الحديث .

فالنباتات تتكاثر بالتلقيح الذي يحتاج إلى عنصرين متقابلين.
· في عالم الإنسان والحيوان:) ومن أنفسهم (الذكر والأنثى .وهذا واضح في البشر والحيوانات.
· في عوالم لا نعلمها:) ومما لا يعلمون (هناك عوالم غيبية، ومخلوقات لم نكتشفها بعد، وهي أيضاً مخلوقة على هيئة أزواج .حتى في عالم الجمادات نجد أزواجاً: الليل والنهار، البر والبحر، الموجب و السالب في الكهرباء، المادة والمادة المضادة، وغير ذلك مما يكشفه العلم يوماً بعد يوم.

**دلالة خلق الأزواج على عظمة الخالق

خلق الأزواج يدل على عدة أمور عظيمة:

.1كمال القدرة الإلهية: فاللّه وحده هو القادر على خلق هذه الأزواج المتقابلة والمتكاملة، والتي لا يستغني بعضها عن بعض.
.2الحكمة البالغة: ففي خلق الأزواج تكمن أسرار التكاثر والتنوع والاستمرار .فلو كانت المخلوقات كلها من جنس واحد، لانتهت الحياة.
.3التنوع والإبداع: خلق الأزواج يعني أن هناك تنوعاً هائلا ً لا حصر له، وكل زوج له صفاته وخصائصه .وهذا يدل على أن الله هو البديع الذي لا يكرر خلقه تكراراً مملا ً.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الافتتاح بـ "سبحان": وهو مصدر نائب عن الفعل، والتقدير: "أسبح الله سبحانا" .وهو أسلوب عربي بليغ يفيد التعظيم والتنزيه المطلق .وقد جاءت هذه الكلمة هنا رداً على المشركين الذين جعلوا لله شركاء، فكأنها تقول: "تنزه الله عن شرككم، فهو وحده خالق الأزواج".
· التعبير بـ "خلق الأزواج كلها": كلمة "كلها" تفيد العموم والشمول، فلا يخرج عن هذه السنة أي مخلوق.
· أسلوب الحصر المعنوي: تقديم الخبر) سبحان (على المبتدأ) الذي خلق (يفيد الحصر، وكأنه يقول: لا تنزيه إلا للذي خلق الأزواج كلها.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تعظيم وتسبيح: تعلمنا الآية أن نفتح أعيننا على عظمة الخلق، فنرى في كل زوج من الأزواج آية تستحق أن نقول معها: "سبحان الله" .فالمؤمن يعيش في حالة تسبيح دائم لله.
· رسالة في التواضع العلمي: عندما يخبرنا الله أن هناك أزواجاً "مما لا يعلمون"، فهذا يعلمنا أن نتواضع، وألا نغتر بما نعلمه، فما خفي عنا أكثر مما علمناه.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للبحث والاكتشاف .فإذا كان هناك أزواج لا نعلمها، فهذا يعني أن ميادين العلم مفتوحة أمامنا لنكتشفها .إنها دعوة للبحث العلمي في كل المجالات.

**مثال تقريبي على "الأزواج كلها":

خذ مثالا ً بسيطاً من حياتك اليومية: الكهرباء. أنت تعلم أن الكهرباء لا تسري إلا بوجود قطبين: موجب وسالب. هذا زوج. لو انقطع أحدهما، لتوقفت الكهرباء عن العمل. وهكذا في كل شيء في الكون: الذكر والأنثى لاستمرار الحياة، الليل والنهار لانتظام الوقت والعمل والراحة، الشمال والجنوب في المغناطيس. كلها أزواج يكمل بعضها بعضاً، ويدل على أن خالقها واحد أحد، هو الذي جعل لكل شيء قريناً.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾

هذا هو الصنف الأول من الأزواج: عالم النبات. والآية تشير إلى أن الأرض تنبت أزواجاً، وهذا ما أثبته العلم الحديث من أن معظم النباتات لها جنس (ذكر وأنثى)، وأن عملية التلقيح تتم بينهما لإنتاج الثمار والحبوب.

**دلالة الآية على علم النبات الحديث

في زمن نزول القرآن، لم يكن الناس يعلمون شيئاً عن جنسية النباتات بهذا التفصيل. ولكن الآية ذكرت أن مما تنبت الأرض أزواجاً. وجاء العلم الحديث ليكتشف أن للنباتات أجزاء ذكرية (حبوب اللقاح) وأجزاء أنثوية (المياسم والمبايض)، وأن الرياح والحشرات تنقل حبوب اللقاح من الذكر إلى الأ

أنثى ليتم الإخصاب وتكوين الثمرة. وهذا إعجاز علمي واضح، يثبت أن هذا القرآن من عند الله العليم الخبير.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بـ "تنبت": الفعل "تنبت" يدل على التجدد والاستمرار .فالأرض في كل عام تنبت أزواجاً جديدة، مما يذكرنا بقدرة الله المتجددة على الخلق والإحياء.
· التخصيص بعد التعميم: بعد أن قال "خلق الأزواج كلها"، بدأ بتفصيلها، وهذا أسلوب قرآني يزيد المعنى وضوحاً ورسوخاً في الذهن.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أنفسهم﴾

هذا هو الصنف الثاني: عالم الإنسان والحيوان. فالله خلق من أنفس البشر أنفسهم أزواجاً (ذكر وأنثى). وفي هذا إشارة إلى آدم وحواء، حيث خلقت حواء من آدم، ثم صار الخلق بعد ذلك من الزوجين.
**دلالة الآية على التكامل الاجتماعي والأسري

خلق الأزواج من أنفس البشر يدل على حكمة عظيمة، وهي التكامل والسكن. فالرجل والمرأة زوجان، لا يستغني أحدهما عن الآخر. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: 21). فهذه الأزواج البشرية هي أساس بناء الأسرة، والأسرة هي أساس بناء المجتمع والحضارة.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بـ "أنفسهم": يدل على القرب والاتصال، وأن الزوج من جنس الزوج، ليس غريباً عنه .وهذا يزيد من معاني الألفة والمودة.
· التدرج في الأصناف: بدأ بالنبات) وهو أدنى درجة(، ثم بالإنسان) وهو أعلى درجة(، وهذا تدرج تربوي يلفت النظر إلى عظمة الخلق في الإنسان بعد النبات.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾

هذا هو الصنف الثالث، وهو أعظم وأوسع الأصناف. إنه إقرار إلهي بأن هناك عوالم ومخلوقات لا يعلمها البشر. وهذا يفتح آفاقاً واسعة للتأمل والبحث العلمي.

**أبعاد هذه الجملة في فتح آفاق العلم والاكتشاف

هذه الجملة القصيرة تحمل معاني عظيمة:

.1التواضع العلمي: تذكر البشرية بأن علمها محدود جداً .فمهما اكتشفنا، تبقى عوالم "مما لا يعلمون" . قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾) الإسراء:.(85
.2دعوة للبحث والاستكشاف: إخبارنا بوجود أشياء لا نعلمها هو حافز كبير للبحث العلمي .فالإنسان مدعو لأن يبحث ويكتشف تلك العوالم المجهولة، في عالم البحار، أو الفضاء، أو المادة، أو عالم الجن والملائكة.
.3اليقين بسعة ملك الله: هذه الجملة تملأ القلب يقيناً بأن ملك الله أعظم وأوسع مما نتصور .وهذا يزيد من تعظيمه وتسبيحه.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الإبهام في "ما لا يعلمون": الإبهام هنا للتعظيم والتفخيم .فكلمة "ما" تشمل كل شيء لا يقع تحت علم البشر، وهو أمر لا يحصيه إلا الله.
· هذه الجملة معجزة في ذاتها: لأنها تخبر عن وجود أشياء لا نعلمها، وكلما تقدم العلم، اكتشف الإ نسان أشياء جديدة، فتظل الآية صادقة، ولا تنتهي عجائبها.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا الجزء

· رسالة في التواضع: تعلمنا هذه الجملة ألا نتكبر بما نعلم .فمهما بلغنا من العلم، فإن الله يقول: هناك ما لا تعلمون.
· رسالة في الشوق إلى المعرفة: تولد هذه الجملة في نفس المؤمن شوقاً لمعرفة المزيد عن خلق الله، فهو يعلم أن رحلة العلم لا نهاية لها.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى التفكير في العوالم المجهولة، مما ينمي الخيال العلمي ويدفع إلى الا كتشاف والاختراع.

**مثال تقريبي على "مما لا يعلمون":

تأمل في عالم أعماق البحار والمحيطات. قبل مئات السنين، كان الناس لا يعلمون شيئاً عما في قاع البحر. كان هذا من "مما لا يعلمون". ثم جاء العلم الحديث، واكتشف الغواصات والكاميرات، فرأينا ع الماً مذهلا ً من المخلوقات العجيبة والأسماك المضيئة والجبال تحت الماء. ولا يزال هناك الكثير مما لم نكتشفه بعد في أعماق المحيطات. هذا مثال واحد فقط على "مما لا يعلمون". وكذلك الفضاء الخارجي، وعالم الميكروبات، وعالم الذرة... كلها عوالم كانت مجهولة، ثم انكشف بعضها، ولا يزال الكثير مجهولا ً.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

يريد الله منا من خلال هذه الآية أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نسبحه وننزهه: يريد منا أن نلهج ألسنتنا وقلوبنا بتسبيحه وتعظيمه عند رؤية بديع خلقه.
2.أن نتفكر في سنة الأزواج: يريد منا أن نتدبر في خلق الأزواج، وندرك عظمة الخالق وحكمته.
3.أن نتواضع لعلمه: يريد منا أن نعترف بجهلنا أمام سعة علمه، وألا نغتر بمعرفتنا المحدودة.
4.أن نبحث ونتعلم: يريد منا أن نكون أمة علم واكتشاف، نبحث في أسرار الكون، ونستخرج كنوز ا لأرض، ونتعرف على ما خلق الله لنا.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآية:

· سؤال التسبيح: عندما أرى زهرة جميلة، أو أتأمل في خلق الذكر والأنثى، هل أقول بقلبي ولساني: "سبحان الذي خلق الأزواج كلها"؟ أم أمر مرور الكرام؟
· سؤال التواضع العلمي: هل أشعر بالغرور بما أعلمه، وأنسى أن هناك "ما لا أعلمه"؟ هل أتواضع للعلماء وأهل الاختصاص، أم أجادلهم بجهل؟
· سؤال البحث والاكتشاف: هل أنا إنسان فضولي يحب المعرفة والاكتشاف، يقرأ ويبحث ويتعلم في شتى المجالات؟ أم أني مكتفٍ بما أعرفه، لا أحب أن أتعلم جديداً؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآية

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التسبيح المستمر" كحالة قلبية:
· اجعل "سبحان الله" وردا على لسانك طوال يومك .عندما ترى شيئاً جميلا ً، أو تسمع خبراً سارا، أو تتفكر في الكون، قل: "سبحان الله".
· تمرين عملي: خصص دقيقة قبل النوم لتتأمل في يومك، وتبحث عن نعمة واحدة، ثم تسبح الله عليها.
· مفهوم "التواضع العلمي" كخلق للعالم والمتعلم:
· إذا سُئلت عن شيء لا تعلمه، فقل بكل ثقة: "لا أعلم، والله أعلم" .هذه هي أمانة العالم.
· قاعدة ذهبية: "قول لا أعلم نصف العلم" .فلا تخجل من جهلك، بل اطلب العلم.
· مفهوم "التكامل بين الجنسين" كقيمة اجتماعية:
· انظر إلى الجنس الآخر) ذكر أو أنثى (على أنه شريك مكمل، وليس منافساً أو عدواً .تعاونا لبناء أسرة ومجتمع وحضارة.
· تطبيق: في بيئة العمل أو الدراسة، تعامل مع زملائك من الجنسين باحترام وتقدير، واعلم أن تكاملكما هو سر النجاح.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآية إلى واقع في حياتنا:

.1في العبادة والتأمل:
· أكثر من قول "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، فهي كلمات خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان.
· قم برحلة في الطبيعة، وتأمل في النباتات والحشرات والطيور، واستحضر قول الله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.
.2في طلب العلم:
· اختر مجالاً علمياً تحبه) فلك، أحياء، فيزياء، كيمياء(، واقرأ فيه، وتأمل كيف تتجلى فيه آيات الله.
· شجع أبناءك على حب العلوم والاكتشاف، واشرح لهم أن دراسة العلوم هي عبادة وتأمل في خلق الله.
.3في العلاقات الاجتماعية:
· قدر قيمة الاختلاف والتنوع بين الناس .فالاختلاف بين البشر هو مثل اختلاف الأزواج في الطبيعة، إنه مصدر ثراء وقوة.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآية

· قيمة التسبيح والتنزيه لله.
· قيمة التفكر والتدبر في خلق الله.
· قيمة التواضع العلمي والاعتراف بحدود المعرفة البشرية.
· قيمة البحث والاكتشاف والتعلم المستمر.
· قيمة التكامل والتنوع بين المخلوقات.
· قيمة الانطلاق من المشاهد إلى الحقائق الكبرى) من الأزواج في الكون إلى عظمة الخالق.(

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآية في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء حضارة علمية متواضعة: أمة تنطلق من "سبحان الذي خلق" و"مما لا يعلمون" هي أمة تقدر العلم، وتتواضع أمام عظمة الخلق، فلا تغتر بإنجازاتها، بل تبحث دوماً عن المزيد .وهذا هو سر تقدم العلوم.
· بناء مجتمع متكامل: أمة تؤمن بأن الله خلق الأزواج للتكامل، هي أمة تقدر دور كل فرد فيها) رجالاً ونساءً(، وتعطيه حقه، وتستفيد من طاقاته .وهذا يؤدي إلى تنمية شاملة ومتوازنة.
· بناء حضارة قائمة على التسبيح: أمة تجعل من التسبيح منهج حياة، هي أمة متصلة بالله، ترى آياته في كل شيء، وهذا يمنحها قوة روحية وعزة إيمانية، تجعلها صامدة أمام التحديات.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآية العظيمة، لقد فتح الله لك باباً واسعاً للتأمل في ملكوته. لقد أراك أن كل شيء في الكون، من أدق نبتة في الأرض إلى أبعد مجرة في السماء، ومن نفسك إلى ما لا تعلمه، مخلوق على هيئة أزواج، يشهد بتنزيهه وتعظيمه.

فاجعل هذه الآية نبراساً لك. عش بها. تأمل في أزواج الكون من حولك، وردد بقلبك ولسانك: "سبحان الذي خلق الأزواج كلها". ولا تتوقف عن البحث والتعلم، فإن ما لا تعلمه أكثر مما تعلمه. وكن متواضعاً لعلم الله، وشكوراً لنعمه، ومسبحاً بحمده
ثالثا.
أيها القارئ الكريم، ها نحن نواصل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على آية الأزواج التي تسبح بحمد الله، وتدعونا للتأمل في بديع صنعه في كل شيء، نأتي ا لآن لنقف بخشوع أمام أربع آيات كريمات، تأخذنا في رحلة كونية بديعة عبر الليل والنهار والشمس و القمر .إنها آيات تفتح بصيرتنا على عظمة النظام الإلهي، ودقة التقدير الرباني، وجلال التوازن الكوني الذي يضمن استمرار الحياة.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر نعمة الأزواج في الأرض والأنفس:

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ يس:(37
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يس:(38
﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس:(39
﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس:(40

إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد وصف لظواهر فلكية، بل هي "مدرسة إلهية" في النظام والانضباط، و"دعوة ملحة" للتأمل في قدرة الله وعلمه، و"منهاج حياة" يعلمنا كيف ننظم أوقاتنا وأعمالنا .إنها تثبت أن وراء هذا الكون منظماً حكيماً، هو الله العزيز العليم .دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نعيش في ظل هذا النظام البديع.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1استشعار عظمة النظام الكوني: أن ترى في تعاقب الليل والنهار، وجريان الشمس والقمر، آية على قدرة الله ودقة تدبيره.
.2إدراك أهمية النظام والانضباط في الحياة: أن تتعلم من هذه الظواهر الكونية كيف تنظم حياتك، وكيف تستثمر وقتك في الليل والنهار.
.3تعزيز الإيمان بالعزيز العليم: أن توقن بأن الذي أجرى الشمس والقمر بنظام دقيق هو العزيز القوي، العليم الحكيم.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتجعل من الليل سكناً وعبادة، ومن النهار عملا ً وسعياً، وتعيش في توازن وانسجام مع سنن الله في الكون.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً:
قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ الآية(37

هذه آية أخرى من آيات الله الكونية العظيمة: الليل .إنه ليس مجرد غياب للضوء، بل هو خلق إلهي محكم، وآية تستحق التأمل.

**كيف يكون الليل آية؟

الليل آية من وجوه عديدة:

.1سلخ النهار منه: استخدم القرآن تعبيراً حسياً رائعاً: "نسلخ منه النهار" .تخيل أن النهار كالجلد أو الثوب الذي يلبس الأرض، ثم يأتي الليل فيسلخه سلخاً، وينزعه نزعاً .هذا التعبير يصور انتقال الضوء إلى الظلام كعملية جراحية دقيقة، حيث ينزاح ضوء النهار شيئاً فشيئاً، ليحل محله ظلام الليل.
.2نعمة السكون والراحة: الليل ليس مجرد ظلام، بل هو سكن وراحة للجسد والنفس .قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ النبأ: .(10 فهو كاللباس الذي يغطي الأرض ويسكن حركتها .ولولا الليل، لاستمر النهار بلا توقف، فهلك الناس والحيوان والنبات من شدة التعب والحر.
.3دعوة للعبادة والتأمل: الليل هو وقت الخلوة بالله، ووقت صلاة التهجد والاستغفار .إنه فرصة ذهبية للاتصال بالله بعيداً عن ضوضاء النهار ومشاغله.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التنكير في "آية": للتعظيم، فالليل آية عظيمة لا يلتفت إليها كثير من الناس.
· الفعل "نسلخ": استعارة تصريحية رائعة، تشبه النهار بجلد الشاة، وإزالته بسلخ الجلد عنها .وهذا يصور سرعة انتقال الضوء إلى الظلام ووضوحه.
· الفاء في "فإذا هم مظلمون": للتعقيب السريع .فبمجرد أن ينسلخ النهار، يفاجئهم الظلام، فيدخلون في ظلمة الليل.

*" الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة نفسية: الليل يبعث في النفس السكينة والطمأنينة، ويدفعها للراحة والتأمل .وهو فرصة

لمراجعة النفس ومحاسبتها على أعمال النهار.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن ننظر إلى الليل لا كوقت للنوم فقط، بل كآية من آيات الله، وفرصة للعبادة والذكر .وهي تربي فينا النظام، فالليل للراحة والنهار للعمل.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في كيفية سلخ النهار من الليل .إنه يتم تدريجياً، بسبب دوران الأ رض، مما يبين دقة النظام الكوني.

**مثال تقريبي على سلخ النهار من الليل:

تخيل غرفة مظلمة تماماً، وفيها فتحة صغيرة يدخل منها نور الشمس، فيضيء بقعة على الأرض .ثم فجأة، تقوم بوضع غطاء سميك على الفتحة ببطء .ترى كيف ينسحب الضوء تدريجياً من البقعة حتى تغرق في الظلام .هذا مشهد مصغر لسلخ النهار من الليل .فالليل ليس شيئاً يأتي من خارج، بل هو إزالة الضوء وكشف الظلمة الأصلية.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الآية(38

بعد الليل، ينتقل السياق إلى الشمس، ذلك السراج الوهاج الذي يمد الأرض بالضوء والحرارة .والآية تخبرنا بحقيقة علمية كانت مجهولة زمن نزول القرآن.

**ماذا يعني جريان الشمس لمستقر لها؟

"تجري" تعني تتحرك وتنتقل .وقد أثبت العلم الحديث أن الشمس ليست ثابتة، بل تجري بسرعة هائلة)حوالي 220 كم/ثانية (في مدارها حول مركز مجرة درب التبانة، وتستغرق دورتها حوالي 250 مليون سنة! وهذا الجريان له "مستقر" أي نهاية محددة في علم الله، حيث ستنتهي شمسنا يوم القيامة، أو قد يعني "لمستقر لها" أي لمكان وزمان لا تتجاوزهما في مسيرها، تسير وفق نظام دقيق لا تحيد عنه.

**لماذا ختم الآية بـ "العزيز العليم"؟

اختيار هذين الاسمين الجليلين في هذا المقام له دلالة عميقة:

· العزيز: هو القوي الغالب الذي لا يعجزه شيء .فجريان الشمس بهذه الدقة والقوة دليل على عزة الله وقدرته الباهرة .هو الذي أمسكها وسيرها.
· العليم: هو الذي أحاط بكل شيء علماً .فهو يعلم مسار الشمس ومستقرها، ويعلم عدد ذراتها، ويعلم كل ما يتعلق بها .وهذا دليل على سعة علمه وإحاطته.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بالفعل المضارع "تجري": يدل على التجدد والاستمرار .فالشمس في جريان دائم لا يتوقف منذ خلقها الله.
· التعبير بـ "ذلك": اسم إشارة للبعيد، للدلالة على عظمة هذا الأمر وعلو شأنه.
· الجملة الاسمية "ذلك تقدير العزيز العليم": تفيد الثبات والتأكيد .فجريان الشمس هو تقدير ثابت لا يتغير من العزيز العليم.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة يقين: تملأ الآية القلب يقيناً بأن الله هو المدبر لهذا الكون، فلا شيء يسير عبثاً.
· رسالة في النظام والانضباط: الشمس تجري بأمر الله، ولا تحيد عن مسارها .وهذا يعلمنا أن نكون منضبطين في حياتنا، نؤدي أعمالنا في أوقاتها المحددة.
· رسالة عقلية: الإشارة إلى جريان الشمس قبل 1400 سنة هي إعجاز علمي، يدعو العقل للبحث و التدبر في آيات الله الكونية.

**مثال تقريبي على جريان الشمس:

تخيل أنك في طائرة تحلق على ارتفاع منخفض .تنظر إلى مدينة كبيرة، فترى آلاف السيارات تتحرك في شوارعها، كل منها له مساره ومستقره .لا أحد يراها كلها دفعة واحدة .هذا هو حال الشمس مع م لايين النجوم والكواكب في مجرتنا، كل يجري في فلكه بتقدير العزيز العليم .حركتها منظمة ودقيقة،

ولا يحدث تصادم أو خلل.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَالقمَرَ قدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتّىٰ عَادَ كَالعُرْجُونِ القدِيمِ﴾ الآية(39

بعد الشمس، يذكر الله القمر، ويبين لنا نظاماً دقيقاً آخر في خلقه.

**ما هي منازل القمر؟

"قدرناه منازل" أي جعلنا القمر يمر بمراحل ومنازل محددة في دورته الشهرية .يبدأ هلالا ً رفيعاً، ثم يكبر ليلة بعد ليلة حتى يصير بدراً منيراً، ثم يأخذ في التناقص حتى يعود "كالعرجون القديم".

والعرجون هو عود العذق) عنقود التمر (الذي يكون أصفر مقوساً دقيقاً بعد أن يشيخ وييبس .وتشبيه القمر في آخر الشهر بهذا العرجون القديم فيه غاية الدقة، فهو يشبهه في:

· الشكل: القوس والدقة.
· اللون: الاصفرار.
· الحجم: الصغر والضآلة.

**ما الحكمة من تقدير القمر منازل؟

لهذه المنازل حكم عظيمة:

.1معرفة المواقيت: بواسطة منازل القمر، يعرف الناس الأيام والشهور والسنين .قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ﴾ البقرة: .(189 فبها تضبط العبادات) الصوم، الحج(، و المعاملات) الديون، الإيجارات.(
.2التذكير بدورة الحياة: تطور القمر من الهلال إلى البدر ثم إلى المحاق، هو تذكير بدورة حياة الإ نسان: يولد ضعيفاً، ثم يشتد ويبلغ أشده، ثم يعود ضعيفاً شيخاً.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بـ "قدرناه": يدل على الدقة والإحكام .فمنازل القمر ليست عشوائية، بل مقدرة بتقدير إلهي دقيق.
· التشبيه البليغ "كالعرجون القديم": تشبيه رائع ينقل صورة بصرية دقيقة من بيئة العرب، مما يقرّب المعنى ويجعله محسوساً.
· استخدام "حتى": تفيد الغاية والتدريج .فهو يتغير تدريجياً حتى يصل إلى تلك الحالة.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في النظام والدقة: تعلمنا الآية أن كل شيء في الكون يسير بنظام دقيق، وهذا يحثنا على أن نكون منظمين في شؤون حياتنا.
· رسالة تذكير بالآخرة: رؤية القمر وهو يتضاءل بعد أن كان بدراً، تذكر الإنسان بأن العمر يمضي، وأن الدنيا فانية، فيستعد للآخرة.
· رسالة عقلية: منازل القمر كانت ولا تزال أساساً للتقويم القمري، الذي يعتمد عليه أكثر من مليار ونصف مسلم في عباداتهم.

**مثال تقريبي على منازل القمر:

تخيل أنك تنظر إلى ساعة حائط قديمة، ذات عقارب تتحرك ببطء .أنت ترى مرور الوقت من خلال حركة العقارب .كذلك القمر، هو "ساعة كونية" عظيمة، ترى من خلال مراحله مرور الأيام والشهور .كل ليلة تراه في منزلة جديدة، فهو تذكير دائم بأن الوقت يمضي، فلا تضيعه.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الآية(40

هذه الآية هي خاتمة المشهد الكوني، وهي تضع قاعدة عظيمة في النظام والتوازن .إنها تؤكد أن كل

جرم سماوي له مداره الخاص الذي لا يتجاوزه.

*"ماذا يعني عدم إدراك الشمس للقمر وعدم سبق الليل للنهار؟

· لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر: الشمس والقمر لا يلتقيان في مسارهما بحيث يطغى أحدهما على الآخر ويزيل سلطانه .لكل منهما وقت وسلطان منفصل .فالشمس تسلط في النهار، والقمر يظهر في الليل غالباً .وهذا الترتيب الإلهي يضمن التوازن على الأرض.
· ولا الليل سابق النهار: أي أن الليل لا يأتي قبل موعده المحدد، بل يأتي في أعقاب النهار مباشرة، و لا يمكن أن يسبقه أو يتقدم عليه .وهذا يضمن انتظام الحياة ودورة الزمن.
"وكل في فلك يسبحون"

هذه هي القاعدة الكلية: كل جرم سماوي) شمس، قمر، كواكب، نجوم (له "فلك" أي مدار خاص به، وهو "يسبح" أي يجري ويسير بسرعة وانتظام كالسابح في الماء .وهذا النظام المحكم يمنع التصادم، ويحافظ على توازن الكون .وهو من أعظم الأدلة على قدرة الخالق العظيم.

لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب النفي المؤكد: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أسلوب نفي قوي، يدل على استحالة وقوع هذا الأمر، لأنه خلاف تقدير العزيز العليم.
· التعبير بـ "ينبغي": يدل على أن هذا النظام ليس مجرد مصادفة، بل هو واجب ومقتضى الحكمة ا لإلهية.
· التعبير بـ "يسبحون": استعارة لطيفة، تشبه الأجرام السماوية بكائنات حية تسبح في بحر الفضاء . وهذا يضفي على المشهد جمالا ً وحيوية.
· استخدام صيغة الجمع "يسبحون": مع أن الفاعل "كل" مفرد لفظاً، إلا أن معناه الجمع، فجاء الفعل بصيغة الجمع للإشارة إلى كثرة هذه الأجرام.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة طمأنينة: النظام الكوني المحكم يبعث في النفس طمأنينة بأن الكون لم يخلق عبثاً، وأن هناك إلهاً حكيماً يدبره.
· رسالة في التوازن في الحياة: كما أن هناك توازناً بين الليل والنهار، والشمس والقمر، يجب أن يكون هناك توازن في حياتنا بين العمل والراحة، وبين الدنيا والآخرة.
· رسالة عقلية: هذه الآية تدعو العلماء للبحث في أفلاك النجوم والكواكب، وتدعو عامة الناس للتأمل في هذا النظام البديع.

مثال تقريبي على "كل في فلك يسبحون":

تخيل مطاراً دولياً كبيراً، فيه مئات الطائرات تحلق وتقلع وتهبط في نفس الوقت .هناك برج مراقبة يحدد لكل طائرة مسارها وارتفاعها ووقت هبوطها بدقة متناهية .لو أن طائرة واحدة خرجت عن مسارها، لحدثت كارثة .هذا هو حال الكون .الأفلاك والمدارات هي المسارات المحددة لكل جرم، والله هو "برج المراقبة" الأعظم الذي يدير هذا الكون الفسيح فلا يحدث تصادم ولا خلل .﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

اهم المواضيع

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نتفكر في آياته الكونية: يريد منا أن ننظر إلى الليل والنهار والشمس والقمر نظرة تأمل وتدبر، لا نظرة غفلة واعتياد.
2.أن نؤمن بقدرته وعلمه: يريد منا أن نوقن بأن الذي خلق هذا النظام البديع هو العزيز العليم، القادر على كل شيء.
3.أن نتعلم النظام والانضباط: يريد منا أن نستفيد من هذه الظواهر في تنظيم حياتنا، فنجعل لليل عمله وللنهار عمله.
4.أن نستثمر أوقاتنا في الطاعات: يريد منا أن نستغل الليل في العبادة والذكر، والنهار في السعي و العمل الصالح.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال التأمل في الكون: عندما أرى الليل يسلخ النهار، أو أرى القمر في منازله، هل أتذكر أن هذا من آيات الله، فأسبحه وأحمده؟ أم أني أمر بهذه المشاهد مروراً عابراً لا ألقي لها بالا ً؟
· سؤال استثمار الوقت: كيف أستثمر الليل والنهار؟ هل أضيع الليل في السهر على ما لا ينفع، وأضيع النهار في الكسل والنوم؟ أم أن لي ورداً في الليل من عبادة، ونشاطاً في النهار من عمل؟
· سؤال النظام في حياتي: هل أنا شخص منظم في مواعيد نومي واستيقاظي، وأوقات عملي وعبادتي، كما أن الشمس والقمر منضبطان في مسارهما؟ أم أن حياتي فوضى لا نظام فيها؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التأمل الكوني" كعبادة:
· اجعل لك وقتاً في الأسبوع تتأمل فيه في السماء ليلا ً، وترى النجوم والقمر، وتتذكر قول الله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.
· تمرين: عند رؤية الهلال أول الشهر، قل الدعاء المأثور: "اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله"، واستشعر عظمة الخالق.
· مفهوم "النظام والانضباط" كقيمة حياتية:
· ضع لنفسك جدولا ً يومياً، تحدد فيه أوقات النوم والاستيقاظ، والعمل والعبادة، والراحة و الترفيه.
· قاعدة ذهبية: "من استغرق نهاره في العمل الجاد، استحق ليله في الراحة والسكينة".
· مفهوم "التوازن بين الدنيا والآخرة":
· الليل والنهار آية على التوازن .فاجعل للدنيا عملا ً) في النهار(، وللآخرة عملا ً) في الليل .(لا تطغى إحداهما على الأخرى.
· تطبيق: صلاة الفجر في وقتها، ثم العمل، ثم صلاة الظهر والعصر، ثم الراحة، ثم قيام الليل.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في تنظيم اليوم:
· استيقظ مبكراً مع الفجر، واستثمر بركة الصباح في العمل والدراسة.
· نم مبكراً بعد العشاء، لتستريح وتستعد ليوم جديد، كما يسلخ الليل لينام الناس.
.2في العبادة:
· لا تجعل ليلك كله نوماً .قم ولو بركعتين في جوف الليل، فهي شرف المؤمن.
· تأمل في القمر وهو يتغير، وتذكر أن عمرك يتغير مثله، فبادر بالأعمال الصالحة قبل فوات الأ وان.
.3في العمل والدراسة:
· كن دقيقاً في مواعيدك .لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .تذكر أن الشمس لا تؤخر طلوعها، والقمر لا يؤخر منازله.
· اجعل لك أهدافاً محددة تسعى لتحقيقها، كما أن الشمس تجري لمستقر لها.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة التأمل والتدبر في آيات الله الكونية.
· قيمة النظام والانضباط في الحياة.
· قيمة التوازن بين العمل والراحة.
· قيمة الإيمان بعلم الله وقدرته وتقديره.
· قيمة استثمار الوقت وعدم تضييعه.
· قيمة الاتعاظ بدورة الأجرام السماوية والتذكير بالآخرة.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء حضارة منظمة: مجتمع يتعلم أفراده من الشمس والقمر النظام والدقة في المواعيد، هو مجتمع قوي منتج، تزدهر فيه الصناعة والتجارة والعلوم.
· بناء حضارة متوازنة: مجتمع يوازن بين العمل والراحة، وبين الدنيا والآخرة، هو مجتمع سعيد، يقل فيه الإرهاق والاكتئاب، وتكثر فيه البركة.
· بناء حضارة علمية: الحث على التأمل في الأفلاك والنجوم هو أساس علم الفلك، الذي تطور فغزا الإ نسان الفضاء، وكل ذلك داخل في إطار النظر في آيات الله.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أراك الله في هذه الآيات القصار مشهداً كونياً عظيماً، ودعاك إلى تأمل نظامه وبديع خلقه.

فلا تمر على الليل والنهار والشمس والقمر مرور الكرام .اجعلها تذكرك بخالقك العظيم .واجعل نظامها الدقيق قدوة لك في تنظيم حياتك .فالكون كله كتاب مفتوح يسبح بحمد الله، فكن أنت أيضاً من المسبحين.

واحذر أن تكون ممن يضيعون الليل في اللهو، والنهار في النوم، ثم يتحسرون على ما فات .استثمر وقتك، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.
رابعا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن أبحرنا في آفاق الكون مع الليل والنهار والشمس والقمر، ينتقل بنا الخطاب القرآني من فضاء السماء الواسع إلى عباب البحر العميق .إنه مشهد جديد من مشاهد القدرة الإلهية، ولكنه هذه المرة مشهد يتداخل فيه الفضل الإلهي مع الابتكار البشري، وتتجلى فيه نعمة التسخير والتقنية في أبهى صورها.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر آياته في الأنفس والآفاق:

·﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ يس:(41
·﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ يس:(42
·﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ يس:(43
·﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يس:(44

إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد تذكير بنعمة الفلك والنجاة من الغرق، بل هي "درس حضاري" في الهندسة واللوجستيات وإدارة المخاطر، و"تربية إيمانية" على الامتنان للتقنية والتواضع أمام قدرة الله . إنها ترسم لنا صورة المسلم الذي يركب سفن التكنولوجيا وطائراتها وقطاراتها، وقلبه معلق برحمة الله التي هي الضمان الوحيد للنجاة والاستدامة .دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نبني حضارة متقدمة متواضعة، آمنة مطمئنة.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1ربط القدرة الإلهية بالابتكار البشري: أن ترى يد الله خلف كل تقنية وصل إليها الإنسان، وأن تتعلم كيف تشكر الله على نعمة العقل الذي ابتكر هذه الوسائل.
.2فهم أسس هندسة النقل واللوجستيات في القرآن: أن تدرك أهمية الشحن والنقل الجماعي في بناء الحضارة، ومبدأ المحاكاة والتطوير في الصناعة.
.3ترسيخ الوعي بإدارة المخاطر والسلامة: أن تتعلم أن لكل تقنية مخاطرها، وأن الاعتماد الحقيقي ليس على الآلة وحدها، بل على رحمة الله.
.4تربية النفس على الامتنان والتواضع والتوكل: أن تشعر بالامتنان للتقنية بدل الاغترار بها، وأن تتواضع أمام قوة الله، وتتوكل عليه وحده.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتصبح مسلماً مواكباً للتقنية، مستثمراً لها في الخير، مع بقاء قلبك معلقاً برحمة الله.

تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً:
قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ الآية(41
هذه آية جديدة، ولكنها تتعلق بعالم البحار والمواصلات .إنها تذكرنا بسفينة نوح عليه السلام التي حملت ذرية آدم وأنجتهم من الطوفان، ولكنها في نفس الوقت إشارة إلى كل سفينة تمخر عباب البحر محملة بالبضائع والناس.

**دلالة الانتقال إلى عالم البحار والمواصلات والتقنيات البشرية؟

القرآن الكريم ينتقل بنا من التأمل في آيات الكون) الأرض، النبات، الليل، النهار، الشمس، القمر (إلى التأمل في نعمة التسخير والتقنية .إنه يذكرنا بأن الفلك) السفينة (التي يركبها الناس هي آية من آيات الله .لماذا؟
· لأن الله هو الذي ألهم الإنسان صنعها .قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود:.(37
· لأن الله هو الذي سخر البحر ليجري فيه الفلك بأمره.
· لأن الله هو الذي حمل الناس في هذا الفلك، وحفظهم من الغرق.

**مفهوم "الفلك المشحون" وأهميته في هندسة النقل والخدمات اللوجستية
"الفلك المشحون" هو السفينة المملوءة بالحمولة، سواء كانت بضائع أو أشخاصاً .وهذا يشير إلى مفهوم الشحن والنقل الجماعي الذي هو ركيزة التجارة والحياة العملية.
· في الماضي: كانت السفن هي الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع بين القارات، وتبادل الثقافات، وازدهار الحضارات.
· في الحاضر: تطورت وسائل النقل إلى بواخر عملاقة، وقطارات شحن، وطائرات نقل، وكلها تعمل بنفس المبدأ: حمل أكبر كمية ممكنة من البضائع أو الأشخاص بأمان وكفاءة.
هذه الآية تضع الأسس القرآنية لـ علم اللوجستيات، الذي هو عصب الاقتصاد الحديث .فبدون "فلك مشحون"، لا تتحرك التجارة، ولا تنتقل السلع، ولا تزدهر الأمم.

**لمسات بيانية وبلاغية
· التعبير بـ "آية لهم": للدلالة على أن الفلك المشحون هو دليل على قدرة الله ونعمته، يجب أن يتأمله الناس ويشكروا الله عليه.
· إسناد الحمل إلى الله "حملنا": مع أن البشر هم الذين يصنعون السفن ويقودونها، إلا أن الله نسب الحمل إليه، ليبين أن النجاة والسلامة في البحر هي بفضله وحده .فالسفينة مجرد وسيلة، والحافظ هو الله.
· وصف الفلك بـ "المشحون": يدل على عظمة النعمة، فالسفينة لا تسير فارغة، بل محملة بما ينفع الناس، مما يضاعف الأجر والشكر.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة امتنان للتقنية: تعلمنا الآية أن نشكر الله على نعمة وسائل النقل، فهي من تسخيره لنا .فلا نغتر بها، بل نرى يد الله خلفها.
· رسالة أمان وسكينة: التعبير بـ "حملنا" يوحي بالرعاية والحفظ الإلهي وسط أهوال البحر .فالمؤمن يركب السفينة والطائرة وقلبه مطمئن بأن الله هو الحامل الحافظ.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في كيفية تطور صناعة السفن من فلك نوح البسيط إلى البواخر العملاقة، وكيف أن المبدأ واحد، والتطور من فضل الله على العقول.
**مثال تقريبي على "الفلك المشحون" في العصر الحديث:
تأمل في إحدى سفن الحاويات العملاقة التي تعبر المحيطات .إنها تحمل آلاف الحاويات المليئة بـ البضائع: إلكترونيات، ملابس، غذاء، دواء ...إنها "فلك مشحون" بكل ما تحتاجه البشرية .هذا المشهد هو تجسيد حي لقول الله: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ .وعندما ترى هذه السفينة، تذكر أن الله هو الذي سخر البحر، وألهم الإنسان صنعها، وهو الذي يحفظها من الغرق.
ثانياً:
قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ الآية(42
هذه الآية تفتح آفاقاً واسعة للتطور والابتكار التقني .إنها تشير إلى أن الله لم يمنّ على البشر بالفلك)السفينة (فحسب، بل خلق لهم أيضاً من مثله وسائل أخرى يركبونها.

**مبدأ المحاكاة والتطوير في الصناعة "من مثله"

"من مثله" أي من مثل ذلك الفلك) السفينة .(فكما تعلم الإنسان صنع السفن، استطاع أن يطور وسائل نقل أخرى على نفس المبدأ، تحاكي السفينة في حملها ونقلها.
· القياس والمحاكاة: هذه الآية تؤسس لمبدأ القياس والمحاكاة في الصناعة والهندسة .فالإنسان رأى السفينة تطفو على الماء، فصنع ما يماثلها في وظيفتها) النقل (ولكن بمواد وتصاميم مختلفة تناسب البر أو الجو.
· وسائل النقل الحديثة: "ما يركبون" يشمل كل وسائل النقل التي ابتكرها الإنسان عبر التاريخ: العربات، القطارات، السيارات، الطائرات، وحتى الصواريخ والمركبات الفضائية .كلها "من مثله" في كونها وسائل حمل ونقل.
**تطوير وسائل النقل البري والجوي على نفس المبدأ

انظر كيف تطورت وسائل النقل:
· القطار: هو "فلك" يسير على قضبان حديدية، يشحن بالركاب والبضائع.
· السيارة والشاحنة: هي "فلك" صغير يسير على الطرقات.
· الطائرة: هي "فلك" يسبح في جو السماء كما تسبح السفينة في البحر.

كل هذه الوسائل هي من "مثله"، وقد سخرها الله لنا وخلقها لنا) بمعنى أنه خلق المواد والأصول التي صنعناها منها، وألهمنا كيفية صنعها.(
*لمسات بيانية وبلاغية
· استخدام "خلقنا": نسب الله خلق هذه الوسائل إلى نفسه، مع أنها من صنع البشر .وذلك لأن البشر صنعوها من مواد خلقها الله، وبعقول وقدرات منحها الله، ولأن الله هو الملهم والمعلم .قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ الأنبياء: .(80 فهذا تعظيم لشأن التقنية، وجعلها في سياق النعم الإلهية.
· التعبير بـ "من مثله": إشارة إلى مبدأ المحاكاة والقياس، وهو أساس التطور الهندسي.
· الفعل المضارع "يركبون": يدل على التجدد والاستمرار .فالإنسان سيظل يبتكر ويركب وسائل جديدة عبر الزمان.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحفيز على الابتكار: الآية تفتح آفاق العقل البشري للابتكار الدائم، وتؤكد أن التطور التقني هو من سنن الله في الكون، وأنه داخل في نعمه .فلا يجوز للمسلم أن يقف مكتوف اليدين أمام التقنية، بل يجب أن يكون في طليعة المبتكرين والمطورين.
· رسالة في التواضع: عندما نعلم أن كل هذه التقنيات هي من "خلق الله" بمعنى تسخيره وإلهامه، فإننا نتذكر أن العقل البشري ليس خالقاً مستقلا ً، بل هو مستخدم لما سخر الله .وهذا يكسر كبرياء القوة التقنية في النفس البشرية.
· رسالة في شكر النعم: تعلمنا الآية أن نشكر الله على كل وسيلة نقل نركبها، من أصغر دراجة إلى أعظم طائرة، فهي من نعمه التي لا تحصى.

*" مثال تقريبي على مبدأ المحاكاة "من مثله":
تخيل أنك رأيت لأول مرة في حياتك "مظلة") باراشوت .(كيف تطير وتهبط ببطء .ثم فكرت في تطبيق نفس المبدأ لصنع شيء آخر .فصنعت طائرة ورقية، ثم منطاداً، ثم طائرة شراعية، ثم طائرة نفاثة .كل هذه الاختراعات بدأت من ملاحظة "مثله" وتطويره .هذا هو معنى ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.
ثالثاً:
قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ الآية(43
بعد أن ذكر نعمة الفلك والوسائل، يأتي التحذير الإلهي بلطف .إنه يذكر الإنسان بضعفه أمام قوة الله، وبأن هذه الوسائل المتطورة لا تغني عنه شيئاً إذا أراد الله به سوءاً.
**مفهوم إدارة المخاطر والسلامة في ضوء الآية
الآية تشير بوضوح إلى أهمية إدراك المخاطر المصاحبة لأي تقنية، و وضع خطط السلامة والوقاية.
· الاعتراف باحتمالية الخطر: الإقرار بأن "نشأ نغرقهم" يعني أن خطر الغرق قائم، مهما كانت السفينة متطورة .هذا يدفع إلى عدم التهاون بقواعد السلامة.
· حدود التقنية: الآية تؤكد أن التقنية لا تمنع قدر الله .فقد تغرق سفينة حديثة جداً بسبب خطأ بشري أو ظروف جوية استثنائية .فلا ينبغي الاغترار بالتكنولوجيا والاعتماد عليها كلياً.
· "فلا صريخ لهم": أي لا مغيث ولا منقذ .هذه الكلمة تذكرنا أنه في لحظات الخطر الحقيقي، لا ينفع إ لا الله .لذا، يجب أن نضع خطط طوارئ وإغاثة، ولكن مع الاعتماد الأكبر على الله.
**كيف تحمي الآية من كبرياء القوة التقنية؟
عندما يمتلك الإنسان تكنولوجيا متطورة، قد يصيبه الغرور والكبرياء، ويظن أنه سيطر على الطبيعة .

فتأتي هذه الآية لتذكره بأنه لا يزال ضعيفاً أمام قوة الله .إنها تزرع في القلب التواضع لله، و الا عتماد عليه، وعدم الاغترار بالقوة المادية.
""لمسات بيانية وبلاغية
· أسلوب الشرط "إن نشأ": يدل على أن الأمر معلق بمشيئة الله وحده، فهو القادر على كل شيء.
· التعبير بـ "نغرقهم": نسبة الفعل إلى الله مباشرة، لبيان أن الغرق ليس مجرد حادث طبيعي، بل هو بقضاء الله وقدره.
· النفي المؤكد "فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون": أسلوب قصر ونفي قاطع، يبين أنه لا أحد يستطيع أن يغيثهم أو ينقذهم إذا أراد الله إغراقهم.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تذكير بالضعف البشري: تذكر الآية الإنسان بضعفه أمام قوى الطبيعة، ليكسر كبرياءه، ويزيد من توكله على الله.
· رسالة في الوعي بالمخاطر: تدعونا الآية إلى عدم الاستهانة بالمخاطر، واتخاذ أسباب السلامة في كل وسائل النقل .فربط حزام الأمان في السيارة أو الطائرة هو من الأخذ بالأسباب الذي أمرنا به.
· رسالة عقلية: تدفع الآية العقل البشري إلى تطوير أنظمة أمان أكثر تطوراً في وسائل النقل، كأجهزة الإنذار المبكر، وقوارب النجاة، وأنظمة الاتصالات.

**مثال تقريبي على أهمية إدراك المخاطر والاعتماد على الله:
تخيل أنك تركب طائرة حديثة جداً، مزودة بأحدث تقنيات الملاحة والأمان .ومع ذلك، في بداية الرحلة، تقدم لك المضيفة تعليمات السلامة، وكيفية استخدام سترة النجاة وأقنعة الأكسجين .هذا الإ جراء هو اعتراف ضمني بأن الخطر وارد، رغم كل التقدم التقني .والمؤمن عندما يسمع هذه التعليمات ، يأخذ بها، ثم يرفع يديه بالدعاء: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده" .إنه يجمع بين الأخذ بالأسباب) اتباع التعليمات (و التوكل على الله) الدعاء.(
رابعاً:
قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ الآية(44
هذه الآية تختم المقطع بالحقيقة الكبرى: السبب الوحيد لنجاة الناس من الغرق والمخاطر هو رحمة الله، وأن هذه الحياة الدنيا بما فيها من نعم وتقنيات هي متاع إلى حين.
**معنى "إلا رحمة منا"
"إلا رحمة منا" استثناء منقطع، يفيد أن نجاتهم ليست بسبب قوة سفنهم أو مهارة ملاحيهم، بل هي بسبب رحمة الله الخاصة بهم .فرحمته هي التي ألهمتهم صنع السفينة، ورحمته هي التي سخرت لهم البحر، ورحمته هي التي تحفظهم من الغرق في كل لحظة.

**قيمة الوقت المحدود "ومتاعاً إلى حين"
"ومتاعاً إلى حين" تذكير بأن كل هذه النعم) السفن، السيارات، الطائرات، الحياة نفسها (هي متاع مؤقت، وليست دائمة .فهي أدوات لمهمة محدودة في زمن محدود) الحياة الدنيا .(وهذا يستوجب:
· حسن استغلال هذه الوسائل فيما يرضي الله: استعمال وسائل النقل في السفر للعبادة، لطلب العلم، لصلة الرحم، لنشر الخير، وليس في المعاصي.
· عدم التعلق بالدنيا وزينتها: تذكر أن هذه الوسائل ستفنى، وأن الباقي هو ما قدمته من عمل صالح.

**لمسات بيانية وبلاغية
· الاستثناء بـ "إلا": يفيد حصر سبب النجاة في رحمة الله وحدها.
· التعبير بـ "رحمة منا": إضافة الرحمة إلى ضمير الجلالة "منا" تفيد العظمة والاختصاص .فهي رحمة عظيمة خاصة من الله.
· التعبير بـ "متاعاً إلى حين": يبين أن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار البقاء .وهذا يوجه القلب إلى الآخرة.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة طمأنينة وسكينة: الإيمان بأن النجاة هي برحمة الله يملأ القلب طمأنينة وسكينة، ويحرره من القلق الوجودي عند تعطل الأدوات المادية .فالمؤمن يعلم أن رحمة الله هي المنجي الحقيقي.
· رسالة في التوكل الإيجابي: المسلم يركب الفلك ويبذل الجهد) يأخذ بالأسباب(، لكن قلبه متعلق بـ الرحمة الإلهية .هذا هو التوكل الإيجابي المتوازن.
· رسالة في استثمار الوقت: تذكر أن هذه الوسائل هي "متاع إلى حين" يدفعك إلى استثمار وقتك في السفر والترحال بما ينفعك في آخرتك.
**مثال تقريبي على "إلا رحمة منا":
تخيل سفينة في عرض البحر، وهبت عليها عاصفة هوجاء، وارتفعت الأمواج كالجبال .كل من فيها

ييأس من النجاة، والتقنيات الحديثة عاجزة .وفجأة، تهدأ العاصفة، وتنجو السفينة بمن فيها .عندها يقول المؤمن: "هذه رحمة من الله" .إنه لا ينسب النجاة إلى قوة السفينة أو مهارة الربان، بل إلى رحمة الله التي أدركتهم .هذا هو معنى ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

اهم المواضيع المستنبطه من الايه

الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نشكره على نعمة التسخير والتقنية: يريد منا أن نرى يده في كل وسائل النقل التي نركبها، فنشكره عليها ونستخدمها في طاعته.
2.أن نبتكر ونطور في وسائل النقل: يريد منا أن نتعلم من مبدأ المحاكاة "من مثله" ونطور وسائل نقل أكثر أماناً وكفاءة.
3.أن ندرك أهمية إدارة المخاطر والسلامة: يريد منا أن نأخذ بأسباب الوقاية والسلامة في كل وسائل النقل، مع عدم الاغترار بها.
4.أن نتواضع أمام قدرة الله: يريد منا أن نكسر كبرياءنا التقني، ونتذكر ضعفنا، ونتوكل عليه وحده.
5.أن نستثمر متاع الدنيا في الآخرة: يريد منا أن نستخدم هذه الوسائل في أعمال صالحة تبقى لنا بعد فناء الدنيا.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال الامتنان للتقنية: عندما أركب سيارة أو طائرة أو سفينة، هل أتذكر أن هذه نعمة من الله، فأحمده عليها؟ أم أعتبرها أمراً عادياً من صنع البشر فحسب؟
· سؤال التواضع التقني: هل أصابني الغرور بقدراتي أو بقدرات التقنية التي أملكها، ونسيت أنني ضعيف أمام قوة الله؟
· سؤال إدارة المخاطر: هل ألتزم بقواعد السلامة عند ركوب وسائل النقل) حزام الأمان، إجراءات الطوارئ(؟ هل أعتبر ذلك من الأخذ بالأسباب الذي أمر به الله؟
· سؤال استثمار الوقت: هل أستعمل وسائل النقل في أسفار تنفعني في ديني ودنياي) صلة رحم، طلب علم، دعوة(، أم أني أضيعها في أسفار لا فائدة منها أو فيها معصية؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الامتنان للتقنية" بدل الاغترار بها:
· كلما ركبت وسيلة نقل حديثة، قل في نفسك: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون".
· تطبيق: علم أبناءك أن السيارة والطائرة من نعم الله، وليست مجرد آلات.
· مفهوم "التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله":
· عند السفر، التزم بكل إجراءات السلامة) فحص السيارة، ربط الحزام، اتباع تعليمات الطيار(، ثم ارفع يديك بالدعاء وقل: "توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله".
· قاعدة ذهبية: "اعقلها وتوكل" .الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.
· مفهوم "الوعي بحدود السيطرة البشرية":
· تذكر دائماً أن التقنية مهما تقدمت، تبقى ناقصة وعرضة للفشل .هذا الوعي يحميك من القلق الوجودي عندما تتعطل الأجهزة، ويجعلك تلجأ فوراً إلى الله.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

1.في استخدام وسائل النقل:
· اجعل دعاء السفر ورداً لازماً لك قبل كل سفر.
· لا تتهاون أبداً في إجراءات السلامة، وكن قدوة لغيرك في ذلك.
2.في المجال المهني والهندسي:

· إذا كنت مهندساً أو مصمماً، فاستلهم من "من مثله" لتطور وسائل نقل أكثر أماناً وكفاءة ورحمة بالبيئة.
· ضع في اعتبارك دائماً "البعد الإنساني" في التقنية: أن تكون وسائل النقل رحيمة بالركاب)مريحة، آمنة (ورحيمة بالبيئة) غير ملوثة.(
.3في تربية النفس والأبناء:
· عند مشاهدة فيلم وثائقي عن السفن أو الطائرات، توقف وقل لأبنائك: "انظروا كيف سخر الله لنا البحر والجو، وكيف ألهم الإنسان صنع هذه الأشياء .هذا من رحمة الله بنا".
· قص عليهم قصة سفينة نوح، وكيف كانت فلكاً مشحوناً أنقذ الله به المؤمنين.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة الامتنان للتقنية ورؤية يد الله فيها.
· قيمة الابتكار والمحاكاة في التطور الصناعي.
· قيمة إدارة المخاطر والالتزام بإجراءات السلامة.
· قيمة التواضع أمام قدرة الله والاعتراف بحدود القدرة البشرية.
· قيمة التوكل الإيجابي) الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.(
· قيمة استثمار المتاع الدنيوي) الوقت والوسائل (في الآخرة.
· قيمة البعد الإنساني في التقنية) الرحمة والسلامة.(

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة في الآيات

هذه الآيات تضع أسساً حضارية مهمة:

.1التواصل الحضاري: السفن ووسائل النقل هي أدوات نقل الثقافة والحضارة والتجارة بين الأمم، مما يؤدي إلى التبادل المعرفي والاقتصادي.
.2البنية التحتية للنقل: لا تنمية ولا حضارة بدون "فلك مشحون"؛ أي بدون بنية تحتية قوية للنقل)موانئ، مطارات، طرق (تيسر حركة الناس والبضائع.
.3الابتكار والتطوير التكنولوجي: مفهوم "من مثله" يشجع على الاستثمار في البحث والتطويرلإيجاد بدائل ووسائل نقل أكثر كفاءة وأماناً واستدامة.
.4التنمية القائمة على السلامة: الربط بين التمتع بالوسيلة وبين النجاة من المخاطر يوجه التنمية لتكون آمنة ومستدامة بيئياً وبشرياً .فالحضارة الراقية هي التي تحفظ حياة الإنسان وتصون كرامته.
.5البعد الإنساني للتقنية: التذكير بأن الغاية من التقنية هي "المتاع" و"الرحمة" بالإنسان، لا السيطرة و التدمير.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك
أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد نقلك الله من التأمل في الكون إلى التأمل في نعمة التسخير والتقنية .لقد أراك أن السفينة التي تحمل البضائع، والطائرة التي تخترق الأ جواء، والسيارة التي تنقلك بسرعة، كلها من نعمه التي تستوجب الشكر.
فلا تنظر إلى هذه الوسائل على أنها مجرد آلات جامدة .بل انظر إليها على أنها "آيات" من الله، تذكرك بقدرته ورحمته .استخدمها في طاعته، وخذ بأسباب السلامة فيها، ولا تغتر بقوتها، فإن رحمة الله هي المنجي الوحيد.
وكن مسلماً مواكباً للتقنية، مطوراً لها، مستثمراً فيها، ولكن بقلب معلق بالله، موقن بأن النجاة و السعادة في الدنيا والآخرة هي "إلا رحمة منا" .فاجعل رحمة الله غايتك، ومتاع الدنيا وسيلتك.
القسم الرابع
اولا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن طوف بنا القرآن في آفاق السماوات والأرض، وأرانا آياته الباهرة في إحياء الأرض الميتة، وفي خلق الأزواج، وفي تسخير الليل والنهار والشمس والقمر، وفي نعمة الفلك المشحون وما يماثله من وسائل النقل، يقف بنا الآن عند المشهد الأهم والأخطر: إنه مشهد النفس البشرية وهي تواجه هذه الآ يات الباهرة .إنه يكشف لنا عن الموقف النفسي والسلوكي للإنسان المعرض عن الحق، ليكون لنا عبرة ودرساً.

يقول الله تعالى بعد أن سرد تلك الآيات العظيمة:

.{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يس:(45

﴿وَمَا تأتِيهم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إلّا كانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يس:(46

إن هاتين الآيتين الكريمتين تمثلان نقلة نوعية في السورة الكريمة .لقد انتقل الخطاب من الاستعراض الموضوعي لآيات الله في الكون والتقنية، إلى التحليل النفسي العميق لموقف الإنسان منها .إنهما تكشفان عن مرض الإعراض الذي يصيب القلوب، و آلية الدفاع النفسي التي يلجأ إليها الغافلون للهروب من مواجهة الحقيقة .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونحلل أسباب هذا الإعراض، ونتعلم كيف نحمي أنفسنا من هذا الداء العضال.

**مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
.1فهم دلالة الانتقال من الآيات الكونية إلى الجانب السلوكي: أن تدرك أن الغاية من استعراض آيات الله هي دعوة الناس إلى التقوى والعمل الصالح، وليس مجرد المعرفة النظرية.
.2تحليل سيكولوجية "الإعراض" وأسبابه: أن تفهم الآليات النفسية التي تدفع الإنسان إلى الإعراض عن الحق بعد أن يتبين له، مثل الخوف من التغيير، واتباع الهوى، والاغترار بالدنيا.
.3إدراك خطورة رفض دعوة التقوى: أن تتعلم أن رفض دعوة التقوى هو سبب الحرمان من الرحمة، وأنه طريق إلى الهلاك.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتحاسب نفسك على موقفك من آيات الله، وتكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، لا ممن يعرضون ويدبرون.
تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما
أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الآية(45
بعد كل تلك الآيات الباهرة، وبعد إقامة الحجة الكاملة على البشر، تأتي الدعوة المباشرة والصريحة إلى التقوى .هذه الدعوة هي الثمرة المرجوة من عرض الآيات .فليس المطلوب من الإنسان أن يكون مجرد متأمل في الكون، بل أن يكون متقياً لله، عاملا ً بأوامره، مجتنباً لنواهيه.
**تحليل مضمون الدعوة: "اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم"
هذه الدعوة شاملة وواسعة، تشمل كل ما يحيط بالإنسان من أخطار وأهوال:
· ما بين أيديكم: يشير إلى عذاب الدنيا الذي قد يحل بهم في أي لحظة، كما حل بالأمم السابقة من قبلهم) مثل عاد وثمود وقوم لوط .(ويشير أيضاً إلى أمر الآخرة وما فيها من أهوال الحشر والحساب والنار، فهم مقبلون عليها.
· ما خلفكم: يشير إلى عذاب الأمم السابقة التي خلفوها وراءهم، فهي عبرة لهم .ويشير أيضاً إلى الذنوب والآثام التي خلفوها وراءهم ولم يتوبوا منها.
· المعنى الجامع: "اتقوا الله في كل شيء، خافوا عذابه في الدنيا والآخرة، واتعظوا بمن سبقكم، وتوبوا من ذنوبكم الماضية" .إنها دعوة إلى اليقظة الشاملة والحذر الدائم.
**التعليل ب- "لعلكم ترحمون"
هذا التعليل عظيم جداً .فالله لم يطلب منهم التقوى لحاجة منه إليهم، بل ليرحمهم .فالتقوى هي الطريق الوحيد لنيل الرحمة الإلهية .فمن اتقى الله، نال رحمته في الدنيا والآخرة .وهذا يبين لنا أن الله أرحم بعباده من الأم بولدها، فهو يدعوهم إلى ما يسعدهم وينجيهم.
**لمسات بيانية وبلاغية
· البناء للمجهول في "قيل": للدلالة على أن الدعوة إلى التقوى قد وصلتهم من كل جانب، من الأنبياء والرسل والعلماء والمصلحين .فلم تعد هناك حجة لأحد.
· الأمر "اتقوا": صيغة أمر تفيد الوجوب والإلزام .فالتقوى ليست أمراً اختيارياً، بل هي واجب على كل إنسان.
· التعبير ب- "لعل": للترجي والإطماع .فكأنه يقول: "اتقوا، فأنتم على رجاء عظيم من رحمة الله" . وهذا يفتح باب الأمل على مصراعيه.
*" الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحذير وإنذار: الآية تدعو الإنسان إلى الخوف من عاقبة ذنوبه، ومن عذاب الله الذي قد يأتي فجأة.
· رسالة تطمين ورجاء: في نفس الوقت، تفتح الآية باب الرجاء في رحمة الله، لمن اتقى وآمن وعمل صالحاً.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نكون دائمي اليقظة، نراقب الله في سرنا وعلانيتنا، ونتعظ بمن سبقنا.
**مثال تقريبي على "اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم":
تخيل أنك تسير في طريق جبلي وعر."ما بين أيديكم" هو الطريق أمامك، الذي قد يكون فيه حفر ومنزلقات وحيوانات مفترسة .فأنت تتقي ذلك بالنظر بحذر والسير بتمهل .و"ما خلفكم" هو الطريق الذي عبرته، والذي قد يكون فيه لصوص أو قطاع طرق يلحقون بك .فأنت تتقي ذلك بالالتفات أحياناً والحذر من أن يؤتى من خلفك .هذا هو معنى التقوى الشاملة: حذر دائم من كل ما يحيط بك من

أخطار.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَمَا تأتِيهم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إلّا كانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الآية(46
هذه الآية تكشف عن الاستجابة النفسية الحقيقية للكافرين أمام كل تلك الآيات الباهرة .لم تكن استجابتهم الإيمان والتقوى، بل كانت الإعراض والصدود.
**تحليل سيكولوجية "الإعراض" وأسبابه
"الإعراض" ليس مجرد تكذيب، بل هو رفض لسماع الحق، وعدم الالتفات إليه، وتجاهله تماماً .وهو أخطر من التكذيب في بعض الأحيان، لأن المكذب قد يبحث عن الحجة ليردها، أما المعرض فهو لا يعطي الحق فرصة ليصل إلى قلبه.
**فما هي الأسباب النفسية لهذا الإعراض بعد كل هذه الآيات الباهرة؟
.1اتباع الهوى: الهوى يجعل الإنسان لا يريد أن يسمع ما يخالف رغباته وشهواته .فهو كمن يسد أذنيه بيديه حتى لا يسمع صوت الحق.
.2الخوف من التغيير: الحق يتطلب تغييراً في السلوك والمعتقدات، وهذا صعب على النفس .فالإعراض هو أسهل طريقة لتجنب عناء التغيير.
.3الاغترار بالدنيا: التعلق بالدنيا وزينتها يجعل الإنسان لا يريد أن يفكر في الآخرة وما فيها من حساب.
.4الكبر والعناد: الكبر يمنع الإنسان من الانقياد للحق، خاصة إذا كان الحق على لسان من يراهم دونه.
**لماذا هذا الإعراض بعد كل الآيات؟
الآية تجيب: ﴿وَمَا تأتِيهم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إلّا كانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ .هذا أسلوب حصر وقصر، يفيد أن الإعراض هو حالهم الدائم و شأنهم المستمر .أي آية تأتيهم، سواء كانت آية كونية) في الأ رض أو السماء أو البحر (أو آية تقنية) في الفلك المشحون (أو آية قرآنية) في الدعوة إلى التقوى(، إ لا وكان رد فعلهم واحداً: الإعراض عنها.
**لمسات بيانية وبلاغية
· أسلوب النفي والاستثناء "ما ... إلا": يفيد الحصر، ويؤكد أن الإعراض هو كل ما لديهم، فلا تصديق ولا تدبر ولا شكر.
· التعبير بـ "آية من آيات ربهم": إضافة الآيات إلى "ربهم" فيها توبيخ لهم .فكيف يعرضون عن آيات ربهم الذي خلقهم ورزقهم؟!
· الوصف "معرضين": اسم فاعل يفيد الثبات والاستمرار .فالإعراض صار وصفاً لازماً لهم.
*الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحذيرية من داء الإعراض: تحذرنا الآية من أن نكون مثل هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله .فالإعراض هو أول خطوة في طريق الضلال.
· رسالة في أهمية التدبر والتفكر: تعلمنا الآية أن نستقبل آيات الله بالتدبر والتفكر، لا بالإعراض و الصدود.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتساؤل: لماذا يعرض الإنسان عن الحق الواضح؟ إنها دعوة لتحليل أسباب الإعراض في أنفسنا ومجتمعاتنا، ومعالجتها.
*مثال تقريبي على "الإعراض" عن الحق:
تخيل إنساناً في غرفته، وقد اشتعل حريق في المنزل، وبدأ الدخان يتصاعد، والناس يصرخون: "الحقوا ، أنقذوا أنفسكم!" .ولكنه غارق في مشاهدة فيلم على هاتفه، واضعاً سماعات في أذنيه .إنه لا يسمع صراخهم، ولا يرى الدخان .هذا هو حال المعرض .الحق واضح، والآيات باهرة، ولكنه مشغول عنها بلهو الدنيا وشهواتها.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟
يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:
.1أن نستجيب لدعوة التقوى: يريد منا أن نجعل التقوى شعار حياتنا، بأن نطيع أوامره ونجتنب نواهيه، خوفاً من عذابه ورجاءً لرحمته.
.2أن نكون يقظين غير غافلين: يريد منا أن نراقب ما بين أيدينا وما خلفنا، ونتعظ بأحداث الزمان وأحوال الأمم السابقة.
.3أن نستقبل آيات الله بالتدبر لا بالإعراض: يريد منا أن نفتح قلوبنا وعقولنا لآيات الله في الكون و القرآن، ونتفكر فيها، لا أن نمر عليها مرور الكرام.
.4أن نأمل رحمة الله ولا نيأس: يريد منا أن نرجو رحمته، فباب التقوى مفتوح، وباب التوبة مفتوح، ورحمته وسعت كل شيء.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(
والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال التقوى: هل أنا متقٍ لله حق تقاته؟ هل أخاف عذابه في الدنيا والآخرة؟ هل أتعظ بمن سبقني من الأمم والأفراد؟
· سؤال الاستجابة للحق: عندما أسمع آية من كتاب الله، أو نصيحة من داعية، أو أرى آية كونية، ما هو أول رد فعل لي؟ هل هو التدبر والتفكر، أم الإعراض والصدود؟
· سؤال الإعراض عن الحق: هل هناك آيات من آيات الله أعرض عنها في حياتي؟ هل أتجاهل بعض ا لأحكام الشرعية لأنها لا توافق هواي؟ هل أعرض عن التفكر في الكون لانشغالي بالدنيا؟
· سؤال رجاء الرحمة: هل أتقي الله وأرجو رحمته، أم أني عاصٍ وآمن من مكره؟
الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين
لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:
· مفهوم "التقوى" كحالة قلبية وسلوكية:
· في القلب: استشعار مراقبة الله في كل لحظة.
· في السلوك: فعل الأوامر واجتناب النواهي .ليس فقط في العبادات، بل في المعاملات والأخلاق.
· تمرين عملي: قبل أن تقدم على أي فعل، اسأل نفسك: "هل يرضى الله عن هذا الفعل؟ هل أستطيع أن أفعله وأنا أشعر أنه يراني؟".
· مفهوم "الاستجابة لآيات الله" كدليل على حياة القلب:
· اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن تقرؤه بتدبر، وتتوقف عند آياته، وتسأل نفسك: ما هو موقفي من هذه الآية؟
· قاعدة ذهبية: "القلب الحي هو الذي يتأثر بآيات الله، والقلب الميت هو الذي يعرض عنها".
· مفهوم "الرجاء في رحمة الله" كدافع للعمل:
· لا تجعل الخوف من الله يدفعك إلى اليأس .وازن بين الخوف والرجاء .خف من عذابه، وارجُ رحمته .فهذا التوازن هو الذي يدفعك للعمل الصالح بثبات.
· تطبيق: إذا وقعت في ذنب، فلا تيأس من رحمة الله، بل تب فورًا، وقل: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني".
الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟
هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:
.1في التعامل مع آيات الله:
· عندما ترى آية كونية) كسوف، خسوف، زلزال، مطر(، تذكر أن هذه آية من آيات الله، فسبحه واستغفره، ولا تمر عليها كحادثة عادية.
· عندما تقرأ آية في القرآن فيها أمر أو نهي، اسأل نفسك: "كيف سأطبق هذه الآية في يومي هذا ؟".
.2في تربية النفس على التقوى:
· ضع لنفسك هدفًا أسبوعيًا: أن تتجنب معصية معينة كنت تفعلها، وأن تفعل طاعة معينة كنت تهملها .هذه هي التقوى العملية.
· تذكر دائمًا الحديث: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".
.3في الدعوة إلى الله:
· لا تيأس إذا رأيت الناس يعرضون عن دعوتك .تذكر أن هذا هو حال أكثر الناس مع آيات الله . فاستمر في دعوتك بالحكمة والموعظة الحسنة، وادع لهم بالهداية.
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين
· قيمة التقوى والخوف من الله.
· قيمة رجاء رحمة الله.
· قيمة الاستجابة لآيات الله والتدبر فيها.
· قيمة التحذير من الإعراض عن الحق.
· قيمة اليقظة والحذر من عذاب الدنيا والآخرة.
· قيمة الاعتبار بالماضي والنظر في المستقبل.
الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيتين في البناء والتنمية والحضارة
هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:
· بناء مجتمع متقٍ راشد: مجتمع يخاف أفراده الله ويتقونه في كل أعمالهم، هو مجتمع يسوده العدل والأمانة والصدق، وهو أساس الحضارة الراشدة.
· بناء مجتمع متعظ متعلم: مجتمع لا يعرض عن آيات الله، بل يتدبرها ويتفكر فيها، هو مجتمع علمي منتج، يستفيد من آيات الله في الكون لبناء التقنية والعمران.
· بناء حضارة ترجو رحمة الله: حضارة المسلمين تقوم على التوازن بين الخوف والرجاء .الخوف يمنعهم من الظلم والطغيان، والرجاء يدفعهم إلى العمل والأمل، وهذا هو سر استدامتها وبركتها.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد انتقل بك الله من آفاق الكون الفسيحة إلى أغوار النفس البشرية .لقد أراك كيف أن كل تلك الآيات الباهرة لم تزد الكافرين إلا إعراضاً .وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس:.(101
فاحذر أن تكون منهم .اجعل قلبك حياً يتأثر بآيات الله .إذا سمعت الدعوة إلى التقوى، فاستجب بكل كيانك .قل: سمعاً وطاعة .واجعل حياتك كلها تطبيقاً عملياً لهذه الدعوة: "اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون".
واعلم أن رحمة الله قريبة من المحسنين .فاتق الله، وارجُ رحمته، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .ولا تكن من الذين يعرضون عن آيات ربهم، فتكون عاقبتهم حسرة وندامة.

ثانيا

أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب من ختام هذه الرحلة الإيمانية العظيمة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن عرض الله آياته الباهرة في الأنفس والآفاق، ودعا الناس إلى التقوى، وكشف عن مرض الإعراض الذي يعتري قلوب الغافلين، يأتي الآن مشهد جديد يكشف عن أخلاقهم وسلوكهم العملي، وعن عاقبة إعراضهم وجدالهم.
يقول الله تعالى عن هؤلاء المعرضين:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يس:(47)
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يس:(48)
﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يس:(49)
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يس:(50)
إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد حكاية عن أقوال الكافرين، بل هي "تشريح عميق" لأمراض اجتماعية واقتصادية ونفسية مدمرة، وهي "تحذير حضاري" من مغبة الانشغال بالخصومات عن المصير المحتوم .إنها تضع أمامنا أسس التنمية القائمة على العطاء، وتحذر من معوقات النهضة، وتربي فينا روح المبادرة والاستعداد الدائم .دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نبني مجتمعاً متماسكاً، وكيف نعيش حياتنا باستعداد دائم للقاء الله.

*"مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
.1فهم أهمية الإنفاق والعطاء في استقرار المجتمعات: أن تدرك أن تعطيل فريضة الزكاة والصدقة يؤدي إلى انهيار التكافل الاجتماعي واتساع الفوارق الطبقية.
.2تحليل آليات التبرير النفسي للهروب من المسؤولية: أن تكشف كيف يلجأ الإنسان إلى المغالطات المنطقية) مثل الاحتجاج بالقدر (ليتحلل من واجباته الأخلاقية.
.3إدراك خطورة الانشغال بالخصومات عن المصير الكبير: أن تتعلم كيف أن الصراعات الجانبية تستهلك طاقة المجتمع، وتجعله غافلا ً عن الأخطار المحدقة به.
.4تعلم دروس إدارة الأزمات والاستباقية: أن تفهم أن بعض الأحداث الكبرى لا تمنح وقتاً للترتيب، مما يستوجب العمل الجاد والاستعداد الدائم قبل فوات الأوان.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتكون منفقاً سخياً، متجنباً للجدل العقيم، مستعداً دائماً للقاء الله.

تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الآية(47
هذه الآية تنتقل بنا من الجانب العقدي) الإعراض عن آيات الله (إلى الجانب السلوكي والاجتماعي والاقتصادي .إنها تكشف عن مرض خطير يفتك بالمجتمعات: البخل والشح، والتبرير الفلسفي للهروب من المسؤولية.

**مفهوم التنمية القائمة على العطاء والإنفاق

عندما يُطلب من هؤلاء الكافرين أن ينفقوا مما رزقهم الله على الفقراء والمحتاجين، فإنهم لا يرفضون فقط، بل يردون بحجة فلسفية مغلوطة: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ .أي: "إذا كان الله لم يطعمهم وأفقرهم، فلماذا نطعمهم نحن؟".

*"هذه الحجة تكشف عن عقلية معطلة للتنمية:

· تعطيل الإنفاق يؤدي إلى اتساع الفجوة الطبقية: عندما يمتنع الأغنياء عن أداء حق الله في أموالهم، تزداد الفجوة بين الأغنياء والفقراء، مما يولد الحقد والكراهية، ويهدد استقرار المجتمع وتماسكه.
· التكافل الاجتماعي ركن حضاري أصيل: الحضارة الإسلامية تقوم على مبدأ "التكافل" .فالغني ينفق على الفقير، والقوي يساعد الضعيف .وهذا ما يجعل المجتمع كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .وتعطيل هذه السنة يؤدي حتماً إلى انهيار المجتمع.

"" *التحليل النفسي والفكري لمغالطتهم: الاحتجاج بالقدر على ترك المأمور
رد الكافرين: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ هو نموذج كلاسيكي لما يسمى في علم النفس بـ "الإسقاط" و "التبرير":
· الإسقاط: هو أن يلقي الإنسان بمسؤولية تقصيره على القدر أو على الله .فهو لا يريد أن يعترف ببخله وشحه، فيبرر ذلك بأن "هذه مشيئة الله".
· المغالطة المنطقية: هم يخلطون بين المشيئة الكونية) القدر (و المشيئة الشرعية) الأمر .(صحيح أن الله هو الرزاق، وأنه لو شاء لأغنى الفقير، ولكن الله في نفس الوقت أمر الغني بالإنفاق .فالمشيئة الشرعية) الأمر بالإنفاق (لا تتعارض مع المشيئة الكونية) وجود الفقراء .(بل إن الله يبتلي الأغنياء بـ الفقراء، لينظر كيف يتصرفون.
**كيف تربي هذه الآية المسلم على الإنفاق والتحرر من الشح؟
هذه الآية تعلم المسلم أن:
· الإيمان بأن الله هو الرزاق يحرره من الشح: المسلم يعلم أن ما في يده هو مال الله، استخلفه فيه، وأنه وسيط للخير .وهذا يحقق له الطمأنينة الروحية، ويدفعه للعطاء بسخاء.
· التمييز بين المشيئة الكونية والشرعية: المسلم يفهم أن الله أمره بالإنفاق، ولا يجوز له أن يحتج بـ القدر على ترك المأمور .فهو يعمل بشرع الله، ويترك النتائج لله.
**لمسات بيانية وبلاغية
· الاستفهام الإنكاري "أنطعم": فيه معنى التعجب والإنكار، كأنهم يستعظمون أن يطعموا من لم يطعمه الله.
· وصفهم بأنهم "قال الذين كفروا": إظهار أن هذا القول صادر عن كفرهم وجحودهم، لا عن عقل ومنطق.
· ردهم على المؤمنين "إن أنتم إلا في ضلال مبين": قلبوا الحقائق، فجعلوا المؤمنين المنفقين هم الضالين، وهم على الهدى! وهذا دليل على استكبارهم وعنادهم.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحذير من خطورة البخل: البخل والشح من صفات الكافرين، وهما دليل على مرض القلب وضعف الإيمان.
· رسالة في رفض المغالطات المنطقية: تعلمنا الآية أن نكون على وعي بالحيل النفسية والمغالطات الفكرية التي يستخدمها الناس للتهرب من الواجبات.
· رسالة في أهمية التكافل الاجتماعي: تدعونا الآية إلى أن نكون أمة متراحمة متكافلة، ينفق غنيها على فقيرها.
*" مثال تقريبي على مغالطة الاحتجاج بالقدر:
تخيل أن طبيباً قال لمريض مدخن: "يجب أن تقلع عن التدخين لأنه يضر بصحتك" .فرد عليه المريض: "إذا كان الله يريد أن يمرضني، فسأمرض، وإذا كان يريد أن يشفيني، فسيشفيني، سواء أقلعت عن التدخين أم لا!" .هذه مغالطة واضحة .الطبيب لم ينفِ قدر الله، ولكنه أمره بالأخذ بالأسباب) الإقلاع عن التدخين .(وكذلك الأمر بالإنفاق هو أمر شرعي، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على تركه.
**ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾) الآية(48
بعد أن بين الله موقفهم العملي البخيل، ينتقل إلى موقف فكري آخر: إنهم لا يكتفون بالبخل والجدال، بل يتحدون المؤمنين ويستهزئون بوعد الله بالعذاب والقيامة.
"*لماذا يسألون "متى هذا الوعد"؟
هذا السؤال ليس سؤال مستفسر يريد المعرفة، بل هو سؤال استهزاء واستبعاد .إنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً، ويريدون بهذا السؤال أن يظهروا للمؤمنين أن هذا الوعد لن يأتي أبداً .إنها عقلية مادية بحتة، لا تؤمن إلا بالمحسوس والمباشر، وترفض التفكير في الغيب والمآلات بعيدة المدى.
**لمسات بيانية وبلاغية
· حرف العطف "و": عطف هذا القول على ما قبله، لبيان أنهم جمعوا بين البخل والجحود والاستهزاء.
· الاستفهام "متى": استفهام استبعادي، لا استخباري.
· التعبير بـ "إن كنتم صادقين": فيه تحدي واستفزاز للمؤمنين.
**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في صفات الكافرين: الاستهزاء بيوم القيامة وبوعيد الله هو دأب الكافرين عبر التاريخ.
· رسالة تثبيت للمؤمنين: تعلمنا الآية أن هذا الاستهزاء هو من سنن المكذبين، فلا نحزن ولا نستغرب.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في أن إنكار الغيب هو قمة الجهل، فكم من شيء كان غيباً عنا ثم أصبح حقيقة واقعة!
**ثالثاً: قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾) الآية(49
هذه هي إجابة الله العملية على سؤالهم الاستهزائي "متى هذا الوعد؟" .إنها إجابة تحمل في طياتها أشد أنواع الإنذار والتحذير .العذاب سيأتيهم فجأة، في لحظة لا يتوقعونها، وهم في خضم الحياة

الدنيا منشغلون بخصوماتهم وجدالهم.
**مفهوم "الصيحة الواحدة" و"يخصمون"
· صيحة واحدة: تكرر هذا المفهوم في السورة) كما في إهلاك أصحاب القرية .(وهو يدل على أن أمر الله إذا جاء، فإنه يأتي بغتة وبسرعة هائلة، فلا يحتاج إلى مقدمات أو جيوش.
· وهم يخصمون: أي وهم في خصومة وجدال واشتغال بأمور الدنيا .وهذا هو بيت القصيد .إنها صورة دقيقة لحالهم وحال كثير من الناس: غارقون في الخصومات، في النزاعات على المال والجاه و السلطة، متناسين أن الموت قد يأتيهم فجأة.
**تحذير من الصراعات المعطلة للطاقة التنموية
قوله: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ هو تحذير حضاري خطير .الانشغال بالخصومات والمنازعات الداخلية والخارجية يستهلك طاقة المجتمع التنموية، ويجعله غافلا ً عن الأخطار المحدقة به، وغير قادر على مواجهة التحديات الكبرى.
· في المجتمعات: الأمم التي تنشغل بالصراعات الداخلية والجدل العقيم، تتخلف وتنهار، بينما تتقدم الأ مم المتحدة المتعاونة.
· في الأفراد: الإنسان الذي يقضي وقته في الجدال والخصام مع هذا وذاك، يضيع عمره، ولا ينجز شيئاً ذا قيمة.
**لمسات بيانية وبلاغية
· أسلوب القصر "ما ينظرون إلا": يفيد حصر ما ينتظرونه في هذه الصيحة فقط، فلا مفر منها.
· الفعل "يخصمون": بصيغة المضارع، يدل على أن الخصومة هي حالهم الدائمة وشغلهم الشاغل.
· المشهدية الحية: الآية ترسم مشهداً حياً: أناس في سوق أو مجلس، يتجادلون ويتخاصمون، وفجأة، تأتي الصيحة فتخرس ألسنتهم، وتقبض أرواحهم.
*"الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة تحذير من الانشغال بالدنيا: تحذرنا الآية من أن نكون مثل هؤلاء الذين يأتيهم الموت فجأة وهم في جدالهم وخصامهم .فعلينا أن نكون دائمي الاستعداد.
· رسالة في قيمة الوقت وعدم تضييعه في الجدال العقيم: تعلمنا الآية أن نستثمر وقتنا في العمل الصالح، لا في الخصومات التي لا طائل من ورائها.
· رسالة في إدارة الأزمات والاستباقية: الموت لا ينتظر حتى ننهي خصوماتنا ونرتب أوراقنا .لذا، فإن الاستباقية والعمل الجاد قبل فوات الأوان هما القاعدة الأساسية في حياة المؤمن.
**مثال تقريبي على "يخصمون":
تخيل مجلس إدارة شركة كبرى، وهم في خصام وخلاف حاد على توزيع الأرباح أو الحصص .الأ صوات ترتفع، والاتهامات تنهال .وفجأة، يحدث زلزال مدمر، أو يعلن عن حريق هائل في المبنى .في تلك اللحظة، ينسى الجميع خصومتهم، ولا يفكرون إلا في النجاة بأنفسهم .ولكن هل سينجون؟ هذا هو حال من يأتيهم الموت وهم يخصمون .فلا وقت للوصية، ولا وقت للرجوع إلى الأهل.
*"رابعاً: قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾) الآية(50
هذه الآية تصور عاقبة هذه الصيحة المفاجئة .إنهم لا يستطيعون حتى أن يوصوا بوصية، أو أن يرجعوا إلى أهلهم ليودعوهم .كل شيء ينتهي في لحظة.
"" دلالة "فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون"
· لا يستطيعون توصية: الوصية هي آخر ما يتمناه الإنسان قبل الموت، ليرتب شؤون دنياه ويوصي بما في ذمته .ولكن هؤلاء يحرمون حتى من هذه الفرصة.
· ولا إلى أهلهم يرجعون: كانوا في أسواقهم ومجالسهم يختصمون، فماتوا هناك، ولم يستطيعوا الرجوع إلى بيوتهم وأهاليهم ليودعوهم ويلقوا عليهم النظرة الأخيرة.
هذا المشهد يؤكد أن بعض الأحداث الكبرى لا تمنح وقتاً لترتيب الأوراق .وهذا يستوجب الاستباقية في العمل، وعدم التأجيل.
**لمسات بيانية وبلاغية
· الفاء في "فلا يستطيعون": للتعقيب السريع والمباشر .فما إن تأتي الصيحة، حتى تنتفي قدرتهم على أي شيء.
· النفي بـ "لا" و"ولا": نفي قاطع لأي فرصة للتدارك.
· عطف "ولا إلى أهلهم يرجعون" على "لا يستطيعون توصية": جمع لهم بين حرمانهم من الوصية) أمر معنوي (ومن الرجوع إلى الأهل) أمر عاطفي(، مما يضاعف من هول المصيبة.
*" الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· رسالة في الاستعداد الدائم: تعلمنا الآية أن نعيش حياتنا وكأننا في حالة استعداد دائم للموت .فلا نؤجل التوبة، ولا نؤجل أداء الحقوق، ولا نؤجل الوصية.
· رسالة في التحرر من الغرور بالدنيا: تذكرنا الآية بأن الدنيا ومشاغلها) كالخصومات (قد تنتهي في لحظة، فلا نغتر بها، ولا نجعلها أكبر همنا.
· رسالة في فقه الأولويات: ما دام الموت قد يأتي فجأة، فعلينا أن نرتب أولوياتنا: نبدأ بالأهم) حقوق

الله، حقوق العباد (قبل المهم.
**مثال تقريبي على عدم استطاعة التوصية:
تخيل أنك تريد السفر إلى بلد بعيد، وقد أهملت في تجهيز حقائبك وأوراقك .وفي اللحظة الأخيرة، وأنت في طريقك إلى المطار، تكتشف أنك نسيت جواز سفرك في البيت، ولا يوجد وقت كافٍ للعودة . تفوتك الطائرة، وتضيع عليك فرصة السفر .هذا هو حال من يؤجل التوبة والعمل الصالح حتى يفاجئه الموت .لا وقت للعودة، ولا وقت للتوصية .{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ}.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟
يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:
.1أن ننفق مما رزقنا الله بسخاء: يريد منا أن نكون أمة تكافل وعطاء، لا أمة بخل وشح.
.2أن نرفض المغالطات المنطقية في التهرب من الواجبات: يريد منا أن نكون واعين، فلا نحتج بـ القدر على ترك المأمور.
.3أن نتجنب الخصومات والجدال العقيم: يريد منا أن نستثمر طاقاتنا في البناء والتنمية، لا في الهدم والمعارك الجانبية.
.4أن نكون دائمي الاستعداد للقاء الله: يريد منا أن نعيش حياتنا بطاعة وعبادة، ولا نؤجل التوبة و العمل الصالح، فالعمر قصير، والموت قد يأتي فجأة.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(
والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:
· سؤال الإنفاق والعطاء: هل أنا من المنفقين في سبيل الله بسخاء؟ هل أؤدي زكاة مالي طيبة بها نفسي؟ هل أتصدق على الفقراء والمساكين؟ أم أني ممن يبررون بخلهم بحجج واهية؟
· سؤال الانشغال بالخصومات: كم من وقتي أضيعه في جدال وخصام لا فائدة منه؟ هل أنا ممن ينشغلون بعيوب الناس وخلافاتهم، متناسين عيوبي وعلاقتي بالله؟
· سؤال الاستعداد للموت: هل أنا مستعد للموت في هذه اللحظة؟ هل كتبت وصيتي؟ هل أعددت لدخول القبر زاداً من العمل الصالح؟ أم أني ممن يؤجلون التوبة إلى "الغد" المجهول؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات
لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:
· مفهوم "التنمية القائمة على التكافل":
· في الأسرة: تعليم الأبناء قيمة العطاء، وإشراكهم في التصدق على المحتاجين.
· في المجتمع: دعم مشاريع التنمية الاجتماعية، والتطوع في الجمعيات الخيرية.
· مفهوم "المبادرة وعدم التأجيل":
· في العمل الصالح: إذا هممت بفعل خير، فبادر به فوراً، ولا تقل: "سأفعله غداً" .فغداً قد لا يأتي.
· في التوبة: لا تؤجل التوبة .إذا أذنبت، فتب فوراً، واستغفر الله.
· مفهوم "الاستباقية في إدارة الأزمات":
· في الحياة اليومية: التخطيط المسبق، والاستعداد للطوارئ) مالياً، صحياً، عائلياً.(
· في الآخرة: الاستعداد ليوم القيامة بالعمل الصالح، فهو اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟
هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:
.1في المال والإنفاق:
· احسب زكاتك بدقة وأخرجها في وقتها.
· خصص مبلغاً شهرياً للصدقة، ولو كان قليلا ً .قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة".
.2في إدارة الوقت والعلاقات:
· تجنب الدخول في جدالات عقيمة على وسائل التواصل الاجتماعي .استثمر وقتك في قراءة كتاب نافع، أو تعلم مهارة جديدة.
· إذا دخلت في خصومة مع أحد، فبادر بالصلح والعفو .لا تجعل الخصومة تأخذ كل وقتك وتفكيرك.
.3في الاستعداد للآخرة:
· اكتب وصيتك اليوم قبل غد.
· ضع لك برنامجاً يومياً للطاعة والذكر، واستمر عليه حتى يأتيك اليقين وأنت على خير حال.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات
· قيمة الإنفاق والعطاء والتكافل الاجتماعي.
· قيمة رفض المغالطات المنطقية والتحايل على القيم.
· قيمة تجنب الخصومات والجدال العقيم.
· قيمة المبادرة وعدم التأجيل.
· قيمة الاستعداد الدائم للقاء الله.
· قيمة الوعي بحتمية الموت وسرعته.
· قيمة الاستباقية في العمل والتخطيط.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات
هذه الآيات تضع أسساً حضارية مهمة:
· التراحم المادي) التكافل(: الحضارة الإسلامية لا تقوم على "البقاء للأقوى"، بل على "إطعام من رزقه الله" .التكافل ركن حضاري أصيل، يحقق الاستقرار والتماسك الاجتماعي.
· استقامة المنطق ورفض المغالطات: نقد الآيات لمنطق الكفار يؤسس لعقلية حضارية ترفض التحايل على القيم الأخلاقية، وتقوم على الصدق الفكري والمنطقي.
· الانضباط الزمني والوعي بالأجل: الوعي بأن لكل أمة ولكل فرد أجلا ً محتوما) صيحة واحدة(، يدفع نحو العمل الجاد والمنجز قبل فوات الأوان .فالزمن في المفهوم الإسلامي طاقة وثروة يجب استثمارها، لا إهدارها في الخصومات.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك
أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أراك الله فيها نموذجاً من البشر اختاروا البخل على العطاء، والجدال على العمل، والاستهزاء على اليقين .وكشفت لك عن عاقبتهم الوخيمة: صيحة واحدة تأخذهم وهم يختصمون، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون.
فاحذر أن تكون مثلهم .كن من الذين ينفقون مما رزقهم الله، سراً وعلانية .كن من الذين يستثمرون أوقاتهم في الخير، لا في الجدال والعقيم .وكن من الذين يعيشون في هذه الدنيا كأنهم غرباء أو عابرو سبيل، مستعدين دائماً للرحيل إلى الدار الآخرة.
لا تقل: "سأتصدق غداً، سأتوب غداً، سأصلح علاقاتي غداً" .فالغد قد لا يكون لك .بادر اليوم، فالموت يأتي بغتة، والصيحة قد تأخذك وأنت في غمرة انشغالك بخصوماتك الدنيوية.
القسم الخامس
اولا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب من ختام هذه الرحلة الإيمانية العظيمة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد الغفلة والإعراض والإنكار، وعلى نماذج من البشر الذين استهزأوا بوعد الله، وانشغلوا بالخصومات عن الاستعداد للمصير، نأتي الآن إلى المشهد الذي طالما أنذرهم به القرآن وحذرهم منه .إنه المشهد الذي تتجلى فيه قدرة الله المطلقة، وتتحقق فيه عدالته الكاملة، وينكشف فيه الغطاء عن أعين الغافلين.
يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يس:(51
﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس:(52
﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس:(53
﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يس:(54
إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد وصف لأحداث يوم القيامة، بل هي "هزة عنيفة" للقلب الغافل، و "إعلان إلهي" عن نهاية المطاف، و"ترسيخ قاطع" لمبدأ العدالة المطلقة .إنها تنتقل بنا من عالم الغيب المحجوب إلى عالم الشهادة الذي سنراه رأي العين .دعنا نعيش هذه الآيات بكل جوارحنا، ونستعد لذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
**مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:
1.ترسيخ الإيمان بالبعث والنشور: أن ترى من خلال التصوير القرآني البديع حقيقة البعث وكأنها ماثلة أمام عينيك، فيزداد يقينك بها.
2.استشعار هول الموقف وعظمته: أن تشعر في قلبك برهبة ذلك اليوم، فتدفعك هذه الرهبة إلى العمل الصالح والاستعداد له.
3.إدراك مبدأ العدالة الإلهية المطلقة: أن توقن بأن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة، وأن الجزاء سيكون وفق العمل، مما يجعلك تراقب أعمالك وتزنها بميزان العدالة.
4.التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتعيش في الدنيا زاهداً فيها، راغباً في الآخرة، عاملا ً للقاء الله.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ الآية(51
بعد أن انتهى مشهد الموت الفجائي للغافلين المختصمين، تأتي هذه الآية لتفتح لنا مشهد البعث ."نفخ في الصور" هي النفخة الثانية، نفخة البعث والنشور .إنها لحظة فارقة في تاريخ البشرية، حيث يتحول العدم إلى وجود، والسكون إلى حركة.

**تحليل مشهد النفخ في الصور والخروج من الأجداث

· ونفخ في الصور: "الصور" هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام .والنفخة هنا هي النفخة الثانية التي تعقب النفخة الأولى) نفخة الصعق .(إنها إيذان ببدء الحياة الآخرة .واستخدام الفعل الماضي "نفخ" مع أن الحدث مستقبلي، للدلالة على تحقق وقوعه حتماً .قال ابن كثير: "هذه النفخة هي نفخة البعث والنشور".
· فإذا هم من الأجداث: "الأجداث" هي القبور ."فإذا" للمفاجأة، تدل على سرعة استجابتهم للأمر الإلهي . فبمجرد النفخة، يخرجون من قبورهم مسرعين.
· إلى ربهم ينسلون: "ينسلون" أي يسرعون في المشي، كالناسل في مشيته) الذئب أو الثعلب .(إنهم لا يمشون الهويني، بل يسرعون مذعورين خائفين، يدركون أنهم ذاهبون إلى لقاء ربهم للحساب .هذا المشهد يصور لنا هول الموقف و انخلاع القلوب من شدة الفزع.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التعبير بـ "فإذا هم": "إذا" الفجائية ترسم صورة حية لسرعة البعث، فكأنهم في لمح البصر تحولوا من رفات إلى كائنات حية تسعى.
· الفعل "ينسلون": استعارة تصريحية، حيث شبه سرعة مشيهم في حرصهم على تلبية النداء بسرعة النسلان .وفيه إشارة إلى الذلة والانقياد، فهم لا يملكون من أمرهم شيئاً.
· الإضافة في "ربهم": إضافة الرب إليهم لتذكيرهم بأنهم عبيده، وأنهم راجعون إلى خالقهم ومالك أمرهم.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة يقظة: توقظ هذه الآية القلب الغافل من سباته .فإذا كان هذا هو مصيرنا المحتوم، فكيف نغفل عنه وننشغل بخصومات الدنيا؟
· رسالة في سرعة تحقق وعد الله: "فإذا هم" تؤكد أن وعد الله آتٍ بغتة وبسرعة لا يتصورها العقل.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في قدرة الله على إحياء الموتى .فمن خلقهم أول مرة من نطفة، قادر على إعادتهم.

**مثال تقريبي على مشهد البعث:

تخيل جندياً في معسكر، نائماً في خيمته، ثم فجأة يدوي صوت صافرة الإنذار إيذاناً بهجوم مفاجئ . تراه يقفز من فراشه مذعوراً، ويسرع في الخروج من الخيمة، وهو يجمع ملابسه، وينظر حوله بفزع، لا يدري أين يذهب .هذا المشهد المصغر يعطيك لمحة عن حال الناس عند النفخ في الصور .إنهم يخرجون من قبورهم مسرعين، في فزع وذعر، إلى أين؟ إلى ربهم للحساب.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ا
لآية(52

هذه الآية تنقل لنا الحوار الدائر بين أهل المحشر، إنه حوار ممزوج بالدهشة والندم والاعتراف ب الحقيقة.

**تحليل أقوالهم: من الدهشة إلى الاعتراف

.1الدهشة والندم: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾:
· "يا ويلنا" كلمة تحسر وندم.
· "من بعثنا من مرقدنا" سؤال دهشة واستنكار .يسمون قبورهم "مرقدنا"، لأن ما بين النفختين)الموت إلى البعث (كان بمثابة نومة قصيرة بالنسبة لهم .لقد نسوا أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ب البعث .فجاءتهم المفاجأة المذهلة.
· وفي هذا السؤال إقرار منهم بأنهم كانوا نائمين في قبورهم، وأن أحداً أيقظهم.
.2الاعتراف بالحقيقة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾:

· ثم سرعان ما تتبدد دهشتهم، ويأتيهم الجواب من الملائكة أو من المؤمنين، أو يستيقنون هم بأنفسهم: "هذا ما وعد الرحمن" .فيتذكرون أن الرسل حذروهم من هذا اليوم، وكذبوا به .والآن يرونه عياناً.
· "وصدق المرسلون": اعتراف مؤلم بصدق الرسل الذين كذبوهم وسخروا منهم في الدنيا .ولكن هذا الاعتراف لا ينفعهم الآن، لأنه جاء بعد فوات الأوان.

**لماذا سموا قبورهم "مرقدنا"؟

لأن عذاب القبر ونعيمه رفع عنهم ما بين النفختين) على أحد الأقوال(، أو لأنهم في ذلك الوقت شعروا أن مدة مكثهم في القبور كانت قصيرة جداً كأنها نومة .وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ النازعات: .(46 فالحياة الدنيا وما بعدها من برزخ ستبدو يوم القيامة وكأنها لحظات قصيرة.

**لمسات بيانية وبلاغية

· النداء "يا ويلنا": أسلوب نداء للويل وكأنه شخص يحضر، للدلالة على شدة التحسر والحزن.
· الاستفهام "من بعثنا": استفهام دهشة، لا استفهام حقيقي عن الفاعل، فهم يعلمون أنه الله.
· ذكر اسم "الرحمن": في هذا المقام، فيه تذكير برحمة الله التي وسعت كل شيء، ورحمته التي أرسل بها الرسل لينذروهم .وفيه تحسر على رحمة ضيعوها.
· التعبير بـ "وصدق المرسلون": فيه إقرار بحقيقة طالما أنكروها.

"" *الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تذكير بقصر الدنيا: تعلمنا الآية أن الدنيا مهما طالت، فهي قصيرة كحلم أو نومة .فلا نغتر بها ، ولا نؤثرها على الآخرة.
· رسالة تحذير من الندم: تحذرنا الآية من أن نكون ممن يندمون يوم القيامة، ويعترفون بالحق بعد فوات الأوان .فالفرصة متاحة الآن في الدنيا.
· رسالة تثبيت للمؤمنين: عندما يرى المؤمنون اعتراف الكفار بصدق الرسل، يزدادون إيماناً ويقيناً، وتطمئن قلوبهم.

**مثال تقريبي على الاعتراف بعد فوات الأوان:

تخيل طالباً أهمل دروسه طوال العام، وكان أساتذته ووالديه ينصحونه ويحذرونه من عاقبة الإهمال . وكان هو يستهزئ بهم، ويقول: "الامتحان سهل، سأنجح" .ثم جاء يوم الامتحان، ورأى الأسئلة الصعبة، فصرخ مندهشاً: "يا ويلتي! من أتى بهذه الأسئلة؟!" .ثم يتذكر نصائح أساتذته، ويعترف في نفسه: "لقد صدقوا، وكانوا على حق" .ولكن هيهات! لقد ضاعت الفرصة .هذا هو حال المكذبين يوم القيامة.

**ثالثاً: قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ الآية(53

هذه الآية تكرر التأكيد على أن البعث ليس بالأمر الصعب على الله، بل هو أمر يسير جداً: مجرد "صيحة واحدة".

**لماذا تكرر ذكر "صيحة واحدة"؟

تكرر هذا التعبير في السورة في أكثر من موضع) في إهلاك أصحاب القرية، وفي إهلاك المختصمين، وهنا في البعث .(وهذا التكرار له حكم عظيمة:

.1إظهار كمال القدرة الإلهية: الله لا يحتاج إلى أسباب معقدة أو جيوش ليبعث الخلق .أمره كله في كلمة "كن فيكون" .فصيحة واحدة كافية لإحيائهم جميعاً.
.2الرد على منكري البعث: الذين يستبعدون أن يعيد الله خلقهم بعد أن يصبحوا تراباً، يخبرهم الله أن الأمر أهون من ذلك بكثير .إنها صيحة واحدة فقط.
.3تحقيق الردع والترهيب: تكرار "الصيحة" يملأ القلوب رهبة وخوفاً من سرعة وقوع العذاب والبعث.

**معنى "جميع لدينا محضرون"

"جميع" أي كل الخلق، الأولين والآخرين، من الإنس والجن.
"لدينا" أي عندنا، في موقف الحساب بين يدي الله.
"محضرون" أي مجموعون للحساب، لا يتخلف منهم أحد .وهذا يؤكد على شمولية الحشر و حتمية الحضور .لا استثناء لأحد، ولا مهرب.

**لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب القصر ب- "إن" و"إلا": ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يفيد حصر سبب البعث في هذه الصيحة فقط، مما يدل على سهولته على الله.
· "إذا" الفجائية: ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ تفيد المفاجأة وسرعة التجمع.
· التعبير ب- "محضرون": اسم مفعول يدل على الإجبار والإحضار قسراً .لا أحد يستطيع أن يتخلف أو يهرب.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تعظيم لله: تملأ الآية القلب تعظيماً لله القادر على جمع الخلائق بصيحة واحدة.
· رسالة في اليقين بالحشر: لا مجال للشك في أننا سنحضر جميعاً بين يدي الله .هذا اليقين هو محرك العمل الصالح.
· رسالة في المساواة: الجميع سيحضر: الملك والوزير، الغني والفقير، القوي والضعيف .الكل سواسية أمام الله في ذلك اليوم.

**مثال تقريبي على سرعة الجمع:

تخيل حشداً هائلا ً من الناس في ملعب كبير، يتفرقون بعد انتهاء المباراة .يستغرق خروجهم ساعات .ولكن، إذا دوى صوت انفجار أو إنذار حريق مفاجئ، فإنهم جميعاً يتوقفون ويتجهون بأنظارهم إلى مصدر الصوت في نفس اللحظة، وكأنهم جيش واحد .هذا يعطيك فكرة مصغرة عن كيف أن صيحة واحدة تجمع الخلائق كلهم في لمح البصر.
رابعاً: قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآية(54)

هذه الآية هي إعلان المبدأ الأعظم الذي يقوم عليه الحساب في ذلك اليوم: العدالة المطلقة.

**تجسيد مفهوم العدالة الإلهية المطلقة

· لا تظلم نفس شيئاً: أي لا تنقص من ثوابها ولا تزاد في عقابها .فالظلم منفي نفياً مطلقاً .حتى مثقال الذرة من الخير أو الشر سيجازى به صاحبه .قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء:.(47
· ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون: هذا هو مبدأ الجزاء من جنس العمل .فالجزاء هو نتيجة حتمية ومنطقية للأعمال التي قدمها الإنسان في الدنيا .وهذا يرسخ مبدأ المسؤولية الفردية .كل إنسان مجزي بعمله، لا يحمل أحد وزر أحد.

**كيف تحفز هذه الآية على العمل الصالح؟

عندما يستقر في قلب المؤمن أنه لن يظلم، وأنه سيجزى على كل صغيرة وكبيرة من عمله، فإنه سيكون حريصاً كل الحرص على:

· فعل الخيرات: لأنه يعلم أن كل حسنة ستجده مضاعفة عند الله.
· اجتناب المنكرات: لأنه يعلم أن كل سيئة ستجده محسوبة عليه، إلا أن يعفو الله.
· مراقبة النية والعمل: لأنه يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء، وأن ميزانه دقيق لا يخطئ.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الفاء في "فاليوم": للتفريع على ما سبق من الحشر .أي بعد أن جمعناكم، فهذا هو قانون هذا اليوم: العدل المطلق.
· أسلوب النفي "لا تظلم": نفي قاطع ومؤكد للظلم عن الله.
· أسلوب القصر في "ولا تجزون إلا": حصر الجزاء في الأعمال فقط، فلا يجزى أحد بعمل غيره.

· التعبير بـ "نفس" نكرة: للعموم والشمول .كل نفس، أي إنسان، صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً أم أنثى.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة طمأنينة للمظلوم: تمنح هذه الآية المظلوم في الدنيا طمأنينة وراحة نفسية عظيمة .فهو يعلم أن له يوماً سينتصف فيه من ظالمه، وأن الله لن يضيع حقه.
· رسالة رهبة للظالم: تملأ الآية قلب الظالم رهبة وخوفاً من ذلك اليوم الذي سيقتص فيه من كل مظلوم.
· رسالة في تحمل المسؤولية: تعلمنا الآية أن نتحمل مسؤولية أعمالنا، فلا نلقي باللوم على غيرنا . فكل إنسان مجزي بعمله.

**مثال تقريبي على عدالة الجزاء:

تخيل أنك في مسابقة، ووضع المنظمون كاميرات دقيقة جداً ترصد كل حركة للمتسابقين .بعد انتهاء المسابقة، يتم عرض لقطات الفيديو على لجنة تحكيم نزيهة جداً، لا تحابي أحداً .كل خطأ صغير أو مخالفة للقواعد سيتم رصدها وخصم نقاط عليها .وكل إنجاز أو التزام بالقواعد سيتم مكافأته .لن يظلم أحد .سينال كل متسابق ما يستحقه بالضبط .هذا هو معنى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نؤمن إيماناً جازماً بالبعث والنشور: يريد منا أن نوقن بأننا سنبعث من قبورنا ونساق إلى ربنا للحساب.
2.أن نستعد ليوم القيامة: يريد منا أن نجعل هذا اليوم نصب أعيننا، فنعمل له ونجتهد، ولا نغفل عنه بخصومات الدنيا ومتاعها.
3.أن نوقن بعدالة الله المطلقة: يريد منا أن نطمئن إلى أن الله لن يظلمنا، وأن كل عمل سنلقاه.
4.أن نتحمل مسؤولية أعمالنا: يريد منا أن ندرك أننا سنجزى بأعمالنا وحدها، فلا نتعلق بغير عملنا الصالح.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال الاستعداد للبعث: لو أن "الصيحة الواحدة" دوت الآن، وخرجت من قبرك "تنسل" إلى ربك، فما هو أول ما ستفكر فيه؟ هل أنت مستعد لهذه اللحظة؟ هل أنت راضٍ عن عملك الذي ستلقى الله به؟
· سؤال الندم على التفريط: هل أنت ممن سيصيحون يوم القيامة: "يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا"؟ أم أنك ممن يستبشرون بلقاء الله؟ ما هي الذنوب التي تخشى أن تكون سبباً في ندمك ذلك اليوم؟
· سؤال الإيمان بالعدالة الإلهية: هل تثق ثقة مطلقة بأن الله لن يضيع لك حقاً عند أحد؟ هل هذه الثقة تجعلك تعفو عن الناس وتحتسب أجرك عند الله؟
· سؤال تحمل المسؤولية: هل أنت من النوع الذي يلقي باللوم على الظروف والآخرين، أم أنك تتحمل مسؤولية أخطائك وتصلح منها؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الاستعداد ليوم المعاد" كهدف أسمى:
· اجعل هدفك الأكبر في الحياة هو الفوز في الآخرة .رتب أولوياتك على هذا الأساس.
· تمرين عملي: في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك: "ما الذي قدمته هذا الأسبوع ليوم معادي؟".
· مفهوم "العدالة" كقيمة حياتية:
· كما أن الله عادل معك، كن عادلا ً مع نفسك ومع غيرك .لا تظلم أحداً في قول أو فعل.
· تطبيق: إذا اختلفت مع أحد، فكن عادلا ً في حكمك عليه .لا تأخذك العاطفة فتبخسه حقه.
· مفهوم "المسؤولية الفردية" كأساس للمحاسبة الذاتية:

· لا تشغل نفسك بأعمال غيرك .ركز على عملك أنت .حاسب نفسك قبل أن تحاسب.
· قاعدة ذهبية: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في تعزيز الإيمان بالآخرة:
· اقرأ سورة الواقعة كل ليلة، فهي تذكر بأهوال القيامة وأحوال الناس فيها.
· قم بزيارة المقابر دورياً، وتذكر أنك ستكون يوماً ما ساكناً فيها، ثم ستبعث منها إلى ربك.
.2في ترسيخ مبدأ العدالة:
· إذا كان لك حق عند أحد، فطالب به بالحسنى، ولكن لا تكن ظالماً في مطالبتك.
· إذا ظلمك أحد، فاعف عنه إن استطعت، وادع الله أن يقتص لك منه يوم القيامة بعدل.
.3في تحمل المسؤولية:
· لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة الإيمان الجازم بالبعث والنشور.
· قيمة اليقين بقدرة الله المطلقة على الإحياء والإماتة والجمع.
· قيمة العدالة الإلهية المطلقة.
· قيمة تحمل المسؤولية الفردية.
· قيمة الاستعداد ليوم القيامة بالعمل الصالح.
· قيمة التحرر من الغرور بالدنيا وزينتها.

الموضوع السادس: دور مفاهيم الآيات في البناء والتنمية والحضارة

هذه القيم ليست فردية فقط، بل هي أسس لبناء مجتمع وحضارة:

· بناء مجتمع عادل: مجتمع يؤمن أفراده بأن هناك يوماً للحساب والعدالة الإلهية، سيكونون أكثر حرصاً على إقامة العدل في دنياهم، خوفاً من حساب الآخرة .وهذا هو أساس استقرار الحضارات.
· بناء مجتمع منتج وفاعل: الإيمان بأن الإنسان سيجزى بعمله، يدفع كل فرد إلى الإتقان والإنتاج، لأنه يعلم أن عمله مرصود وسيحاسب عليه .وهذا يؤدي إلى نهضة اقتصادية وعلمية.
· بناء مجتمع مسؤول: الإيمان بالمسؤولية الفردية يجعل كل فرد حريصاً على أداء واجبه، فلا يتكل على غيره، ولا يتهرب من مسؤولياته .وهذا هو سر قوة المجتمع وتماسكه.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أسمعك الله صيحة البعث، وأراك مشهد الخروج من الأجداث، وأنطقك بلسان حال النادمين، ووعدك بعدالة لا تظلم فيها نفس شيئاً.

فهل بعد هذا البيان من عذر؟ هل بعد هذا الإنذار من غفلة؟

استعد لذلك اليوم .اجعله نصب عينيك .تخيل نفسك وأنت تنسل من قبرك إلى ربك .ماذا تريد أن يكون في صحيفتك؟ ماذا تريد أن تقدم بين يديك؟ العمل الصالح هو زادك، والتقوى هي راحلتك.

لا تكن ممن يقولون يوم القيامة: "يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا"، بل كن ممن يقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تعْمَلُونَ﴾.
ثانيا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب من ختام هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد البعث والحشر، وهول الموقف، وعدالة الجزاء، ينتقل بنا الخطاب القرآني من مشهد الرهبة والهيبة إلى مشهد الطمأنينة والنعيم .إنه المشهد الذي طالما وعد الله به عباده المؤمنين، والذي طالما اشتاقت إليه قلوب الصالحين .إنه مشهد أهل الجنة.

يقول الله تعالى وهو يصف حال الفائزين في ذلك اليوم:
﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ يس:(55

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ يس:(56
﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ يس:(57
﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ يس:(58
إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد وصف لمتع حسية في الجنة، بل هي "رحلة وجدانية" إلى عالم السعادة الأبدية، و"تربية نفسية" على معاني النعيم الحقيقي والأمن والسلام .إنها ترسم لنا صورة متكاملة عن المجتمع الفاضل الذي لا شقاء فيه ولا نصب، والذي يقوم على العلاقات الزوجية السعيدة والظلال الوارفة والتحية بالسلام من الرب الرحيم .دعنا نعيش هذه الآيات بكل مشاعرنا، ونشتاق إلى ذلك النعيم المقيم.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1استشعار حلاوة النعيم وأثره في التحفيز على العمل الصالح: أن تتذوق بقلبك شيئاً من لذة ما وعد الله به عباده، فيدفعك ذلك للاجتهاد في الطاعة.
.2فهم مفهوم "الشغل الفاكه" والسعادة الحقيقية: أن تدرك أن شغل أهل الجنة ليس كشغل أهل الدنيا ، بل هو شغل مُفرح وممتع، يملأ القلب سروراً.
.3إدراك قيمة العلاقات الأسرية والاجتماعية في الجنة: أن ترى كيف تجتمع الأسر في نعيم وظلال وأرائك، مما يعزز قيمة الأسرة في الدنيا.
.4التعلق بأعظم نعيم: سلام الله ورضوانه: أن تتعلم أن أعظم ما في الجنة ليس فقط متاعها الحسي ، بل سلام الرب الرحيم، وهذا هو قمة الأمن والطمأنينة.
.5التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتسعى في الدنيا إلى بناء أسرة سعيدة، وإشاعة السلام، والعمل لما يدخل السرور على قلبك وقلوب من حولك.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ الآية(55

هذه الآية تفتح لنا نافذة على حياة أهل الجنة، وتخبرنا أنهم في "شغل" .ولكن أي شغل هذا؟ إنه شغل من نوع خاص جداً، لا يشبه شغل الدنيا الممل أو المرهق.

**مفهوم "الشغل الفاكه" والتحرر من هموم الدنيا

"شغل" أي انشغال وانهماك في شيء .و"فاكهون" أي متنعمون، متلذذون، مسرورون، يتفكهون بما هم فيه من نعيم .فما هو هذا الشغل الذي هم فيه؟

لقد وردت أقوال للمفسرين في تفسير هذا الشغل:

.1شغل عن هموم الدنيا: هم في شغل بنعيم الجنة عن كل ما كان يؤرقهم في الدنيا من هموم وأحزان ومصائب .لا يذكرون فقراً ولا مرضاً ولا خوفاً.
.2شغل بالملذات المباحة: هم مشغولون بالتمتع بما أحل الله لهم من أنواع النعيم: الطعام، الشراب، الحور العين، الرياض، الأنهار .وهو شغل لا يملون منه أبداً.
.3شغل بأعلى النعيم: هم مشغولون بالنظر إلى وجه الله الكريم، والتلذذ بسماع كلامه، وزيارة بعضهم بعضاً في الجنة.

المهم أن هذا "الشغل" ليس كشغل الدنيا الذي يكون فيه كد وتعب وهم .إنه شغل مفرح للنفس، منعش للقلب، ممتع للروح .إنها حالة من السعادة الدائمة التي لا يعكر صفوها شيء.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التوكيد بـ "إن": لتأكيد هذه الحقيقة وإثباتها للمؤمنين، ولتكون بشارة لهم.
· التعبير بـ "أصحاب الجنة": إضافة الجنة إليهم) أصحاب (تدل على اختصاصهم بها وملكهم لها، وكرامتهم فيها.
· كلمة "فاكهون": صيغة اسم فاعل تفيد الثبات والدوام .فهم دائمون في حالة من الفكاهة والسرور و النعيم، لا يعتريهم نصب ولا حزن.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة طمأنينة وبشارة: تملأ هذه الآية قلب المؤمن راحة وسعادة، لأنه يعلم أن له يوماً سيكون فيه في شغل من النعيم عن كل ما ينغص عليه حياته في الدنيا.
· رسالة في مفهوم السعادة الحقيقية: تعلمنا الآية أن السعادة الحقيقية ليست في كثرة الأموال والأولا د، بل في راحة البال وانشغال القلب بما يرضي الله في الدنيا، وبما ينعم به في الآخرة.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نحرص على أن يكون شغلنا في الدنيا "فاكهاً" بالطاعات والقربات، لا "شغلا ً" متعباً بالمعاصي والذنوب.

**مثال تقريبي على "الشغل الفاكه":

تخيل أنك في إجازة طالما حلمت بها، في مكان خلاب، مع أحب الناس إليك .أنت مشغول طوال اليوم، ولكن شغلك هو السباحة، وتناول الطعام اللذيذ، والضحك مع الأصدقاء، والاستمتاع بالمناظر الطبيعية .هذا الشغل لا تشعر فيه بالتعب، بل بالمتعة والسرور .هذا مثال بسيط جداً ومصغر لمعنى "في شغل فاكهون" .شغل دائم لا ينقطع، ومتعته لا تنفد.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ الآية(56

هذه الآية ترسم صورة تفصيلية لمجلس من مجالس النعيم في الجنة .إنها صورة تجمع بين الراحة الجسدية) ظلال وأرائك واتكاء (و السعادة العاطفية والاجتماعية) هم وأزواجهم.(

**قيمة العلاقات الزوجية والأسرية في الجنة

"هم وأزواجهم" يدل على أن العلاقات الزوجية السعيدة التي كانت في الدنيا، تستمر في الآخرة بشكل أرقى وأكمل .وهذا يبين أهمية الأسرة في الإسلام، فهي ليست مجرد علاقة دنيوية تنتهي بالموت، بل هي رباط يمتد إلى الجنة بإذن الله.

· الأزواج: تشمل الزوجات المؤمنات من نساء الدنيا، وكذلك الحور العين.
· الاجتماع على النعيم: هم يجتمعون معاً في مجالس الأنس والسرور، يتحدثون ويتضاحكون، في جو عائلي حميم، لا يكدره خلاف ولا فراق.

**عناصر الرفاهية والراحة: ظلال وأرائك واتكاء

· في ظلال: الظل الدائم الذي لا تنسخه شمس، ولا يزول .وهو رمز للراحة والأمان من حر الشمس ووهجها .قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ الواقعة:.(30
· على الأرائك: الأريكة هي السرير العالي المزين بالفرش والوسائد الفاخرة .وهي رمز للراحة والاستقرار والترف.
· متكئون: الاتكاء هو جلوس المتمكن المطمئن، الذي لا يعمل ولا يتعب، بل يسترخي ويستمتع .وهذا يدل على انتهاء زمن العمل والتعب، وبدء زمن الراحة والجزاء.

**لمسات بيانية وبلاغية

· العطف بـ "الواو": عطف "أزواجهم" على "هم" ليبين أن النعيم شامل للرجال والنساء، وأنهم شركاء فيه.
· التعبير بـ "ظلال": جمع "ظل"، للدلالة على كثرة الظلال وتنوعها وامتدادها.
· الوصف "متكئون": صيغة اسم فاعل تفيد الدوام والاستمرار .فهم في حالة اتكاء وراحة دائمة.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تعزيز للعلاقات الأسرية: تحثنا الآية على الاهتمام بأسرتنا في الدنيا، والعمل على إصلاح ذات البين بين الزوجين، والحرص على تربية الأبناء، ليكون ذلك سبباً في اجتماعنا في الجنة.
· رسالة في الراحة النفسية: صورة الظلال والأرائك والاتكاء تبعث في النفس شعوراً بالراحة والسكينة، وتجعل القلب يتطلع إلى ذلك النعيم.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في أن نعيم الجنة ليس نعيماً فردياً أنانياً، بل هو نعيم اجتماعي يشارك فيه الأحبة والأهل.

**مثال تقريبي على مشهد الظلال والأرائك:

تخيل أمسية صيفية جميلة، بعد يوم حار طويل .تجلس مع زوجتك وأبنائك في حديقة منزلك، تحت شجرة ظليلة، على أريكة وثيرة، والنسيم العليل يهب عليكم .تشعر براحة وسعادة وطمأنينة .هذا الشعور، ولكنه مضاعف أضعافاً مضاعفة، وبلا نهاية، هو جزء من معنى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾.

**ثالثاً: قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾) الآية(57

بعد أن وصف مجالسهم واتكاءهم، يذكر القرآن طعامهم وشرابهم وتلبية رغباتهم .إنها وفرة هائلة، وتلبية لكل طلب.

**رمزية الفاكهة و"ما يدعون"

· لهم فيها فاكهة: ذكر الفاكهة خصوصاً، لأنها تدل على الرفاهية والتنوع واللذة .فالفاكهة في الدنيا ليست من ضروريات الطعام الأساسية، بل هي من النعم التي يتمتع بها المترفون .وفي الجنة، الفاكهة متوفرة بأصناف لا حصر لها، وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
· ولهم ما يدعون: أي ولهم كل ما يطلبونه ويشتهونه ويتمنونه ."يدعون" من الدعاء بمعنى الطلب . فكل ما يخطر ببالهم من رغبة، وكل ما تدعو إليه أنفسهم من شهوة مباحة، يجدونه حاضراً بين أيديهم .قال مجاهد: "كل ما اشتهوا وتدعوا به ألسنتهم".

**دلالة الآية على كمال النعيم والحرية المسؤولة

هذه الآية تدل على أن نعيم الجنة لا حد له ولا نهاية .فهو نعيم يلبي كل الرغبات، ويحقق كل الآمال .وهذه الحرية في طلب ما يشتهون، لا تقيدهم بحدود، لأن الجنة دار الكمال والطهارة، فلا يوجد فيها ما هو محرم أو مكروه.

**لمسات بيانية وبلاغية

· تكرار "لهم": للتأكيد على اختصاصهم بهذا النعيم، وتملكهم له.
· التعبير بـ "ما يدعون": "ما" موصولة تفيد العموم والشمول .أي كل شيء يطلبونه، مهما كان، فهو مهيأ لهم.
· البناء للمجهول في "يدعون": للدلالة على أن طلباتهم مجابة دون أن يتكلفوا عناء الطلب أو السعي.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة توسيع الأمل والرجاء: تفتح هذه الآية أمام المؤمن آفاقاً واسعة من الأمل، فتجعل قلبه يتعلق بالجنة، ويشتاق إليها.
· رسالة في غنى الله وكرمه: تعلمنا الآية أن الله غني كريم، لا تنفد خزائنه، وهو يعطي عباده فوق ما يتمنون.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نكثر من الدعاء والطلب من الله في الدنيا، فهو القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .ولكن مع العمل الصالح.

*" مثال تقريبي على "لهم ما يدعون":

تخيل أنك في مطعم فخم جداً، وقائمة الطعام مفتوحة، ليس فيها أسعار .تستطيع أن تطلب أي شيء تشتهيه، وكل ما تطلبه يحضر لك فوراً بأجمل صورة وألذ طعم .بل إن النادل يأتيك ويقول: "تفضل، تمنّ، وسنقدم لك ما تريد" .هذا مثال ضئيل جداً، لأنك في الدنيا مقيد بقدرات المطعم .أما في الجنة، فالأمر أعظم: "ولهم ما يدعون" كل ما تخطر ببالك، وكل ما تشتهيه نفسك، ستجده حاضراً.
رابعاً: قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾) الآية(58

هذه الآية هي ذروة النعيم و أعظم ما في الجنة .بعد أن ذكر النعيم الحسي) الفاكهة والأرائك والأزواج(، يذكر النعيم الروحي والمعنوي الأكبر: سلام الرب الرحيم.

**لماذا كان "سلام من رب رحيم" أعظم نعيم؟

· السلام هو الأمن المطلق: كلمة "سلام" تشير إلى الأمن من كل مكروه، والنجاة من كل خوف، ودوام العافية والراحة .فهو سلام من الله على عباده، يتضمن سلامتهم من كل سوء.
· "من رب رحيم": المصدر هو الرب الرحيم .فليس السلام من ملك أو مخلوق، بل من الله نفسه .وهذا أعظم شرف وأكبر تكريم .فأن يسلم عليك ربك الرحيم، فهذا نعيم لا يوصف، وهو دليل على الرضا التام.
· رفع الحواجز: هذا السلام هو إيذان بأن الحواجز قد زالت، وأن الله راضٍ عنهم كل الرضا، وأنهم أصبحوا في جواره وأمنه.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التنكير في "سلام": للتعظيم والتفخيم .فهو سلام عظيم لا يعلم كنهه إلا الله.
· النصب على المصدر "قولا ً": لتأكيد المعنى، أي أن الله يقول لهم قولا ً هو "سلام".
· وصف الرب بـ "رحيم": لأن رحمته هي التي أوصلتهم إلى هذا النعيم، وهي التي تجلت في تحيتهم بالسلام .وفيه إشارة إلى أن كل هذا النعيم هو من رحمة الله، وليس بعملهم وحده.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة أمان وطمأنينة مطلقة: لا شيء يبعث في النفس الأمان والطمأنينة مثل أن تعلم أن ربك راضٍ عنك، وأنه يسلم عليك .هذه الآية هي دواء للقلق والخوف.
· رسالة في السعي لرضا الله: تجعلنا هذه الآية نسعى بكل جهدنا لنيل رضا الله في الدنيا، لعلنا نكون ممن ينالون شرف سلامه في الآخرة.
· رسالة في إشاعة السلام في الدنيا: كما أن الله يسلم على عباده في الجنة، ينبغي أن نكون ممن يشيعون السلام في الأرض، فنلقي السلام على من عرفنا ومن لم نعرف.

**مثال تقريبي على أثر السلام من الرب الرحيم:

تخيل موظفاً بسيطاً في شركة، عمل بجد وإخلاص، وكان مديره العام صارماً جداً ولا يكلمه أحد .في حفل التكريم السنوي، يأتي المدير العام بنفسه إلى هذا الموظف، ويصافحه بحرارة، ويقول له مبتسماً: "أنت موظف ممتاز، أنا فخور بك" .كيف سيكون شعور هذا الموظف؟ سينسى كل تعب السنين، ويشعر بسعادة غامرة .فكيف بمن يسلم عليه رب العالمين، الرحيم به؟ إنها سعادة لا توصف.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نشتاق إلى الجنة ونعيمها: يريد منا أن نقرأ هذه الأوصاف، فتتحرك قلوبنا شوقاً إلى الجنة، مما يدفعنا للعمل الصالح.
2.أن نحرص على بناء أسر سعيدة في الدنيا: يريد منا أن نتمثل صورة الأسر في الجنة، فنسعى لإ صلاح علاقاتنا الزوجية والعائلية، ونجعل بيوتنا جنة في الدنيا.
3.أن نتعلم التوازن بين المادة والروح: يريد منا أن ندرك أن النعيم الحسي في الجنة) فاكهة، أرائك (مكتمل بالنعيم الروحي) سلام الرب .(فعلينا في الدنيا ألا نغرق في الماديات وننسى غذاء الروح.
4.أن نسعى لنيل رضا الله وسلامه: يريد منا أن يكون هدفنا الأسمى هو رضا الله، والفوز بسلامه يوم القيامة.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال الشوق إلى الجنة: عندما أقرأ أوصاف الجنة، هل أشعر بشوق حقيقي إليها؟ هل هذا الشوق يدفعني لترك المعاصي وفعل الطاعات؟
· سؤال العلاقات الأسرية: كيف هي علاقتي بزوجي/زوجتي وأبنائي؟ هل أسعى لأكون سبباً في سعادتهم، وأن نجتمع معاً في الجنة؟
· سؤال النعيم الروحي: هل أهتم بغذاء روحي) القرآن، الذكر، الدعاء (كما أهتم بغذاء جسدي؟ هل

أتطلع إلى "سلام من رب رحيم" وأعمل له؟
· سؤال إشاعة السلام: هل أنا ممن يبدؤون الناس بالسلام؟ هل أساهم في إشاعة جو من الأمان و المحبة في محيطي؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "السعادة الحقيقية" كشغل فاكه:
· في العمل: حاول أن تحب عملك، وتجد فيه متعة .وإذا كان عملك شاقاً، فاستحضر أن تعبك في الدنيا سيعقبه "شغل فاكه" في الآخرة.
· في العبادة: اجعل عبادتك ممتعة لقلبك .تدبر القرآن، واستمتع بمناجاة الله في السجود.
· مفهوم "الأسرة السعيدة" كظل ظليل:
· اجعل بيتك ظلا ً ظليلا ً لأهلك، مكاناً للراحة والأمان والمحبة .تجنب الصراخ والخصام، وأشع جو السلام.
· تمرين عملي: خصص وقتاً أسبوعياً للجلوس مع أسرتك في جو مريح، تتحدثون وتضحكون، بدون هواتف أو مشتتات.
· مفهوم "السلام" كقيمة حياتية:
· كن رسول سلام .ألق السلام على من تعرف ومن لا تعرف .ابتسم في وجه الناس .اعفُ عمن ظلمك.
· قاعدة ذهبية: "أفشوا السلام بينكم" .فالسلام هو مفتاح القلوب.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في تربية النفس على الشوق للجنة:
· اقرأ أوصاف الجنة في القرآن والسنة بتأمل .تخيل نفسك وأنت فيها.
· قل في دعائك: "اللّهم إني أسألك الجنة ونعيمها، وما يقرب إليها من قول أو عمل".
.2في تربية الأسرة:
· اجتمع مع أسرتك واقرأ لهم هذه الآيات، واسألهم: "ما هو أكثر شيء يعجبكم في وصف الجنة؟".
· اعمل مع أسرتك على مشروع خيري مشترك) كفالة يتيم، توزيع طعام(، ليكون سبباً في اجتماعكم في الجنة.
.3في نشر السلام والمحبة:
· اجعل لك وردا يومياً: أن تلقي السلام على عشرة أشخاص لا تعرفهم.
· إذا دخلت بيتك، فسلم على أهلك بصوت مسموع.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة الشوق إلى الجنة والعمل لها.
· قيمة السعادة والراحة النفسية كشغل فاكه.
· قيمة الأسرة واجتماع الأحبة في النعيم.
· قيمة الرفاهية والراحة الجسدية كجزء من النعيم.
· قيمة كرم الله ووفرة عطائه) لهم ما يدعون.(
· قيمة السلام والأمن، وكونهما من أعظم النعم.
· قيمة رضا الله وسلامه كذروة النعيم الروحي.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الآيات ترسم ملامح المجتمع الفاضل الذي ينبغي أن نبنيه في الدنيا:

· مجتمع تسوده السعادة والراحة: حضارة المسلمين تسعى لتحقيق الرفاهية والراحة للناس، في حدود شرع الله، وليس الشقاء والتعب.
· مجتمع قائم على الأسرة المتماسكة: الأسرة هي نواة المجتمع، وقوتها من قوته .الحضارة الإسلامية تهتم ببناء الأسرة السعيدة المستقرة.

· مجتمع ينعم بالعدالة والأمن) السلام(: سلام الرب في الآخرة هو النموذج الأعلى لما يجب أن يكون عليه المجتمع في الدنيا: مجتمع آمن، يأمن فيه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.
· مجتمع متوازن بين المادة والروح: الحضارة الإسلامية لا تغفل الجانب المادي والرفاهية، ولكنها تجعل الجانب الروحي) القرب من الله ونيل رضاه (هو الأساس والغاية.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أراك الله فيها لمحة من نعيم الجنة . لقد أسمعك وصف "الشغل الفاكه"، وأجلسك في "الظلال على الأرائك" مع الأزواج، وأطعمك "الفاكهة"، ووعدك بـ "ما تدعو" به نفسك .ثم توج كل ذلك بأعظم نعمة: "سلام من رب رحيم".

فهل تشتاق إلى ذلك اليوم؟

اجعل هذه الآيات حية في قلبك .كلما شعرت بتعب الدنيا ونصبها، تذكر أن هناك راحة أبدية تنتظرك . كلما شعرت بوحشة أو خلاف في أسرتك، تذكر أن هناك اجتماعاً أبدياً في ظلال الجنة .وكلما شعرت بالخوف والقلق، تذكر أن هناك "سلاماً" من ربك الرحيم ينتظرك.

فاعمل لهذا اليوم .اسعَ في الدنيا لتكون من "أصحاب الجنة" .أصلح قلبك، وأصلح أسرتك، وانشر السلا م، واطلب من الله أن يختم لك بخاتمة السعادة، وأن يسلم عليك يوم تلقاه.
ثالثا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب من ختام هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد البعث والحشر، وعلى نعيم أهل الجنة وسلام الرب الرحيم عليهم، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى المشهد المقابل، مشهد الفريق الآخر .إنه المشهد الذي ط الما حذر الله منه عباده، والذي يملأ القلوب رهبة وخشية .إنه مشهد المجرمين وهم يواجهون مصيرهم المحتوم.

يقول الله تعالى وهو يخاطب هؤلاء المجرمين في ذلك اليوم العصيب:

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يس:(59
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ يس:(60
﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يس:(61
﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ يس:(62
﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يس:(63
﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يس:(64

إن هذه الآيات الست ليست مجرد تهديد ووعيد، بل هي "نداء صحوة" و"تذكير بعهد الفطرة" و"تحذير من عدو مبين" .إنها تكشف لنا عن سبب الشقاء الأبدي، وتضع أمامنا خارطة النجاة الوحيدة: عبادة الله وحده واتباع الصراط المستقيم .دعنا نقف مع هذه الآيات بخشوع، ونستمع إلى هذا النداء الإلهي، ونتعلم كيف ننجو بأنفسنا من هذا المصير الرهيب.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1استشعار هول موقف المجرمين يوم القيامة: أن ترى بعين قلبك مشهد تميزهم عن المؤمنين، وإلقاء الحجة عليهم، وزجهم في جهنم، فتمتلئ نفسك رهبة وخوفاً من هذا المصير.
.2فهم مضمون "العهد الإلهي" وأهميته: أن تدرك أن الله أخذ على البشر عهداً بالفطرة ألا يعبدوا الشيطان، وأن يعبدوه وحده، وأن تجديد هذا العهد هو مفتاح النجاة.
.3الوعي بعداوة الشيطان ومكائده: أن تتعرف على عدوك الحقيقي، وتفهم أساليبه في الإضلال، لتكون على حذر دائم منه.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتجدد عهدك مع الله، وتعبد الله وحده، وتلتزم الصراط المستقيم، وتحذر من وساوس الشيطان، وتستخدم عقلك الذي وهبك الله إياه لتمييز الحق من الباطل.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ الآية(59

بعد أن انتهى مشهد أهل الجنة ونعيمهم، يأتي الأمر الإلهي الفاصل: "وامتازوا" .إنه أمر بالتمييز والفصل بين فريقين كانا مختلطين في الدنيا.

**دلالة "الامتياز" والفرقة بين الفريقين

"امتازوا" أي انعزلوا وتميزوا عن المؤمنين .لقد كان المجرمون في الدنيا يختلطون بالمؤمنين، يعيشون معهم، ويشاركونهم في الأسواق والمجالس .ولكن في ذلك اليوم، لا مكان للاختلاط .يُفرز المجرمون ويُعزلون عن المؤمنين، إهانةً لهم وتحقيراً، وليذوقوا العذاب وحدهم دون أن يشاركهم المؤمنون في شيء من ألمهم .قال ابن كثير: "أي تميزوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، واهبطوا إلى مقركم من النار".

**لماذا هذا الأمر؟ وما أثره النفسي؟

الأمر "وامتازوا" يحمل في طياته معاني عديدة:

· الخزي والفضيحة: إنه إعلان على رؤوس الأشهاد بأنهم المجرمون، فيتميزون بعلامات سوداء في وجوههم، أو يساقون ذلة ومهانة.
· تحقيق العدالة: لا يمكن أن يكون المجرم في نفس مكان المتقي .هذا هو العدل الإلهي.
· زيادة الحسرة: عندما يرون المؤمنين يساقون إلى الجنة وهم يساقون إلى النار، تزداد حسرتهم وندمهم.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الأمر "وامتازوا": صيغة أمر تفيد الإهانة والتحقير، وليس مجرد طلب .فهو أمر قسري لا يمكنهم رفضه.
· النداء "أيها المجرمون": نداء بالوصف الذي يكرهونه) الإجرام(، لزيادة توبيخهم وتذكيرهم بسبب هذا المصير.
· الظرف "اليوم": تحديد ليوم القيامة، لبيان أنه يوم الفصل والجزاء.

" *الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة رهبة وتحذير: تملأ هذه الآية القلب رهبة من أن يكون الإنسان من جملة "المجرمين" الذين يؤمرون بالامتياز إلى النار.
· رسالة في خطورة الاختلاط بأهل الباطل: تدعونا الآية إلى أن نحرص على صحبة الصالحين، وألا ننجرف وراء المجرمين في الدنيا، لأن هذا الانجرار قد يؤدي إلى أن نكون معهم في الآخرة.
· رسالة عقلية: تذكرنا الآية بأن هناك يوماً للفصل والتمييز، فليس من الحكمة أن نعيش في الدنيا متشبهين بالمجرمين.

**مثال تقريبي على مشهد الامتياز:

تخيل حفلا ً كبيراً، وبعد انتهاء الحفل، يتم الإعلان عن أسماء الفائزين بالجوائز الكبرى .الفائزون يصعدون إلى المنصة في سعادة، ويصفق لهم الجمهور .أما الذين خالفوا القوانين، فيُطلب منهم أن يقفوا في زاوية محددة، ويتم استدعاؤهم واحداً واحداً لتسليمهم للشرطة، وسط نظرات الحاضرين . هذا هو معنى "وامتازوا" .يوم القيامة، المؤمنون يساقون إلى الجنة مكرمين، والمجرمون يمازون إلى النار مهانين.
**ثانياً: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾) الآية 60)

بعد أن أمروا بالامتياز، تأتي هذه الآية لتذكيرهم بالعهد الإلهي الذي قطعوه على أنفسهم .إنها إقامة للحجة عليهم، وبيان لسبب استحقاقهم هذا العذاب.

**ما هو "العهد الإلهي" الذي ذكرهم الله به؟

العهد الإلهي هنا يشمل:

.1عهد الفطرة: الذي فطر الله الناس عليه من الإقرار بربوبيته وتوحيده .قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الأعراف:.(172
.2عهد الرسل والكتب: ما جاءت به الرسل وأُنزلت به الكتب من الأمر بعبادة الله وحده ونهي عن عبادة الشيطان.

**لماذا خص الله النهي عن عبادة الشيطان؟

لأن عبادة الشيطان هي أصل كل معصية وضلال .وعبادته لا تعني فقط السجود له، بل تشمل:

· طاعته في معصية الله.
· اتباع وساوسه وخطواته.
· التحاكم إلى شرائعه وقوانينه المخالفة لشرع الله.

ووصف الشيطان بأنه "عدو مبين" أي واضح العداوة .فعداوته للإنسان ليست خفية، بل ظاهرة جلية منذ أن أبى السجود لآدم، وأقسم على إغوائه.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الاستفهام التقريري "ألم أعهد": الغرض منه التوبيخ والتذكير، وليس الاستفهام الحقيقي .فهو يقررهم بأن العهد قد بلغهم، فلماذا نقضوه؟
· النداء "يا بني آدم": نداء تكريم وتذكير بأصلهم الإنساني، وبأنهم من ذرية أبيهم آدم الذي جعله الله خليفة في الأرض .وفيه تذكير بعداوة الشيطان لأبيهم آدم.
· التعبير بـ "عدو مبين": وصف الشيطان بهذا الوصف القوي لتحذيرهم منه.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تذكير بالمسؤولية: تذكرنا الآية بأننا مسؤولون عن العهد الذي أخذه الله علينا، وأننا سنسأل يوم القيامة: هل عبدتم الشيطان أم الله؟
· رسالة في معرفة العدو: تعلمنا الآية أن نعرف عدونا الحقيقي) الشيطان (وعداوته الواضحة لنا، فلا نأمن مكره، ولا نتبعه.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية لاستخدام عقولنا لتمييز عدو الله، ومعرفة أن طاعته تؤدي إلى الهلاك.

مثال تقريبي على العهد الإلهي وعبادة الشيطان:

تخيل أن والدك الحنون قال لك: "يا بني، احذر هذا الرجل الفلاني، إنه عدو لك، يريد بك السوء، فلا تتبعه ولا تسمع كلامه" .ثم بعد فترة، وجدك والدك قد وقعت في مشكلة كبيرة بسبب أنك اتبعت نصائح ذلك الرجل العدو .سيقول لك والدك متحسرا: "ألم أقل لك إنه عدو مبين؟!" .هذا هو حال بني آدم مع الشيطان .الله حذرنا منه، وأخبرنا أنه عدو مبين، فمن يتبعه فقد عصى الله واستحق العقاب.
ثالثا: قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الآية(61

بعد النهي عن عبادة الشيطان، يأتي الأمر الإلهي بعبادة الله وحده، ويبين أن هذه العبادة هي "الصراط المستقيم".

**لماذا كانت عبادة الله هي "الصراط المستقيم"؟

"الصراط المستقيم" هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، والذي يوصل إلى الله والجنة .وعبادة الله وحده هي هذا الطريق للأسباب التالية:

.1لأنها الحق الذي خلق الله الناس لأجله: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 56).
.2لأنها تجمع كل معاني الخير والهداية: فمن عبد الله وحده، أطاع أوامره واجتنب نواهيه، وهذا هو جوهر الصراط المستقيم.
.3لأنها تحرر الإنسان من عبودية كل ما سوى الله: من عبودية الشيطان، والهوى، والمال، والجاه.

لمسات بيانية وبلاغية

· عطف الأمر "أن اعبدوني" على النهي "أن لا تعبدوا الشيطان": وهذا يبين أن التوحيد يقوم على ركنين: النفي) لا إله (و الإثبات) إلا الله .(فلا يكفي نفي عبادة الشيطان، بل لا بد من إثبات عبادة الله وحده.
· الإشارة بـ "هذا": للإشارة إلى أن عبادة الله هي عين الصراط المستقيم، لا تفارقه.
· التعبير بـ "صراط مستقيم": تعريف الصراط بالإضافة) صراط الله (أو تعريفه بـ "ال" للعهد، يدل على أنه الطريق الوحيد.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في وضوح الطريق: تعلمنا الآية أن طريق النجاة واضح وبسيط: اعبد الله وحده .ليس فيه غموض أو تعقيد.
· رسالة في حصر النجاة: لا طريق إلى الله وإلى الجنة إلا عبادة الله وحده واتباع شرعه.
· رسالة تربوية: تعلمنا الآية أن نربي أنفسنا وأبناءنا على عبادة الله، فهي الصراط المستقيم الذي يضمن لنا السعادة في الدارين.

مثال تقريبي على "الصراط المستقيم":

تخيل أنك في غابة موحشة، ووجدت طريقاً واحداً ممهداً، مضاءً، عليه إشارات واضحة تقول: "هذا الطريق إلى المدينة الآمنة" .ووجدت طرقاً أخرى ملتوية، مظلمة، مليئة بالأشواك والأخطار .أي طريق ستسلك؟ العاقل يسلك الطريق الواضح المستقيم .هذا هو الصراط المستقيم: طريق عبادة الله وطاعته.
رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ الآية(62

بعد بيان العهد والطريق، يذكرهم الله بأن الشيطان الذي نهوا عن عبادته، قد أضل منهم خلقاً كثيراً . فلماذا لم يعتبروا بهم؟

**دلالة "أضل منكم جبلا ً كثيرا"

· أضل: أي أغوى وأبعد عن طريق الحق.
· جبلا ً كثيراً: "جبلا ً" أي خلقاً وأمماً كثيرة لا يحصيها إلا الله .قال ابن عباس: "يعني أمماً كثيرة" . وهذا يدل على كثرة من انخدع بالشيطان واتبعه.
· أفلم تكونوا تعقلون: استفهام توبيخي وإنكاري .أي: ألم تروا مصارع الأمم السابقة التي اتبعت الشيطان فأهلكها الله؟ ألم تسمعوا أخبارهم؟ أين عقولكم التي تميزون بها بين النافع والضار؟

**أهمية استخدام العقل في تمييز الحق من الباطل

هذه الآية تؤكد على دور العقل في الهداية .فالله أعطانا العقل لنميز به بين طريق الله وطريق الشيطان .فمن عطل عقله واتبع هواه، ضل وأضل .ومن استخدم عقله وتدبر آيات الله، اهتدى.

**لمسات بيانية وبلاغية

· التوكيد بـ "لقد": لتأكيد كثرة من أضلهم الشيطان.
· التعبير بـ "جبلا ً": للدلالة على العدد الهائل والضخم من الضالين.
· الاستفهام "أفلم تكونوا تعقلون": استفهام إنكاري يوبخهم على تعطيل عقولهم وعدم الاعتبار بمن سبقهم.

**الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تحذير من اتباع الهوى: تحذرنا الآية من أن نكون إمعة، نتبع ما عليه الأكثرية دون تفكير .فـ الكثرة ليست دليلا ً على الحق .قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأ نعام:.(116
· رسالة في قيمة العقل: تعلمنا الآية أن نستخدم عقولنا في التفكر والتدبر، وألا نعطلها بالتقليد الأ عمى.

· رسالة عقلية: تدعونا الآية للاعتبار بالماضي .فدراسة التاريخ ومعرفة أسباب هلاك الأمم هي من عمل العقل.

مثال تقريبي على "أضل منكم جبلا ً كثيراً":

تخيل أنك في شارع مزدحم، ورأيت لافتة كبيرة مكتوب عليها: "طريق مسدود، انعطف يميناً" .ومع ذلك، ترى أفواجاً من الناس تتجه نحو الطريق المسدود، وتتجاهل اللافتة .أنت تقف وتفكر: "لماذا كل هؤلاء يذهبون إلى هناك؟! اللافتة واضحة!" .ثم يأتي رجل عاقل فيقول لك: "لا تتبعهم، هؤلاء لا يقرؤون اللافتة .اتبعني أنا، فأنا أعرف الطريق الصحيح" .هذا هو حال المؤمن مع أتباع الشيطان .لا تنخدع بالكثرة، واستخدم عقلك، واتبع الطريق الواضح.
خامساً: قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الآية(63

بعد إقامة الحجة عليهم وتوبيخهم، تأتي اللحظة الحاسمة: تقاد جهنم، ويقال لهم: هذه هي النار التي كنا نعدكم بها في الدنيا.

**مشهد تقديم جهنم للمجرمين

"هذه" إشارة تحقير وتقريب .فهي حاضرة أمامهم، يرونها بأعينهم ."جهنم" هي اسم من أسماء النار، يدل على البعد والتجهم والعبوس.
"التي كنتم توعدون" أي التي وعدكم بها الرسل في الدنيا، فكذبتموها واستهزأتم بها .والآن، هاهي أمامكم، ترونها رأي العين.

لمسات بيانية وبلاغية

· الإشارة بـ "هذه": للتقريب، مما يزيد من الرهبة والهلع .فهي ليست غائبة بعيدة، بل حاضرة مشهودة.
· الوصف "التي كنتم توعدون": تذكير لهم بكفرهم وتكذيبهم، مما يضاعف من عذابهم النفسي.
· صيغة "توعدون": الفعل المضارع يدل على أن هذا الوعيد كان متكرراً ومستمراً في الدنيا.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تصديق الوحي: تملأ هذه الآية قلب المؤمن تصديقاً لكل ما جاء في القرآن والسنة عن جهنم وعذابها.
· رسالة رادعة: تجعل هذه الآية المؤمن يرتدع عن المعاصي، خوفاً من أن يرى هذه النار يوم القيامة.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى أن نصدق بالغيب قبل أن نراه، فالإيمان بالغيب هو أساس التقوى.

مثال تقريبي على مشهد تقديم جهنم:

تخيل أن طبيباً أخبر مريضاً بأنه إذا استمر في التدخين، فسيصاب بسرطان الرئة، ووصف له أعراض المرض وألمه .والمريض يستهزئ بالطبيب ولا يصدقه .وبعد سنوات، دخل المريض إلى غرفة الكشف، فإذا بالطبيب يعرض عليه صورة أشعة لرئته وقد تآكلت بسبب السرطان، ويقول له: "هذا هو المرض الذي حذرتك منه" .تخيل شعور المريض في تلك اللحظة! هذا هو حال المجرمين عندما يرون جهنم: "هذه جهنم التي كنتم توعدون".
سادساً: قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الآية(64

هذا هو الأمر الأخير، وهو الأمر بالإهانة والعذاب .إنه أمر بأن يقاسوا حرها وعذابها.

**معنى "اصلوها" وعلة العذاب "بما كنتم تكفرون"

· اصلوها: أي ادخلوها وقاسوا حرها الشديد ."الصلي" هو الإذاقة المباشرة لحر النار وألمها.
· اليوم: يوم القيامة، يوم الجزاء.
· بما كنتم تكفرون: أي بسبب كفركم بالله ورسله وآياته ولقائه .هذا هو السبب الوحيد للعذاب .ولم يقل "بما كنتم تعملون" فقط، لأن الكفر هو أم المعاصي وأساسها.

لمسات بيانية وبلاغية

· الأمر "اصلوها": أمر إهانة وعذاب، لا أمر تكليف.
· الباء في "بما": باء السببية، تبين أن العذاب ليس ظلماً، بل هو نتيجة حتمية لأعمالهم.
· التعبير بـ "تكفرون": بصيغة المضارع، للدلالة على استمرارهم على الكفر في الدنيا.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة عدل: تعلمنا الآية أن عذاب الله ليس عبثاً، بل هو عدل محض .كل إنسان يجازى بعمله.
· رسالة تحذير من الكفر: الكفر هو أخطر الذنوب وأعظمها، وهو الذي يوجب الخلود في النار .فعلينا أن نحذر من كل ما يؤدي إليه من أقوال وأفعال واعتقادات.
· رسالة في المسؤولية الفردية: تذكرنا الآية بأننا سنعذب بسبب أعمالنا نحن، فلا نلومن إلا أنفسنا.

مثال تقريبي على "اصلوها بما كنتم تكفرون":

تخيل أن متهوراً قاد سيارته بسرعة جنونية، متجاهلا ً كل إشارات المرور وكل التحذيرات .وأخيراً، وقع حادث مروع .وعندما جاء رجال الإسعاف، قالوا له: "تحمل ألم كسورك، فهذا بسبب تهورك واستهتارك" .إنه لا يلوم إلا نفسه .وكذلك المجرمون في النار، يعذبون بسبب كفرهم وعنادهم.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نخاف من يوم الفصل والتمييز: يريد منا أن نستحضر مشهد "وامتازوا" دائماً، لنحرص على أن نكون مع فريق المؤمنين.
2.أن نجدد العهد مع الله: يريد منا أن نعبد الله وحده، وألا نعبد الشيطان، كما عاهدنا الله على ذلك في فطرتنا.
3.أن نلتزم الصراط المستقيم: يريد منا أن نعرف أن عبادة الله وطاعته هي الطريق الوحيد للنجاة، فلا نزيغ عنه.
4.أن نستخدم عقولنا ونعتبر بالماضي: يريد منا أن نتعظ بمن أضلهم الشيطان من الأمم السابقة، وألا نكون مثلهم.
5.أن نصدق بوعد الله ووعيده: يريد منا أن نؤمن بأن جهنم حق، وأن نعمل بجد لنجاة أنفسنا منها.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال العهد مع الله: هل جددت عهدك مع الله اليوم؟ هل تعبد الله حق عبادته، أم أنك تعبد الشيطان بطاعته في المعاصي؟
· سؤال الصراط المستقيم: هل أنا أسير على الصراط المستقيم حقاً؟ هل أعمالي وأقوالي موافقة لشرع الله؟
· سؤال الاعتبار بالماضي: هل أقرأ قصص الأمم السابقة وأتعظ بها، أم أمر عليها مرور الكرام؟
· سؤال استخدام العقل: هل أستخدم عقلي في تمييز الحق من الباطل، أم أني أتبع ما عليه الناس بلا تفكير؟
· سؤال الخوف من جهنم: عندما أقرأ وصف جهنم، هل يزداد خوفي من الله، ويدفعني ذلك لترك المعاصي؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التمييز بين الحق والباطل" كمنهج حياة:
· تعلم أن تفرق بين الخير والشر، والحلال والحرام، والصديق والعدو .لا تجعل الأمور تتشابه عليك.
· تمرين عملي: إذا واجهت أمراً مشتبهاً، اسأل نفسك: "هل هذا يرضي الله أم يرضي الشيطان؟".
· مفهوم "تجديد العهد مع الله" يومياً:
· جدد إيمانك كل صباح بقول: "أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً".
· قاعدة ذهبية: "من جدد عهده مع الله في كل لحظة، حفظه الله في كل لحظة".
· مفهوم "استخدام العقل في التدين":
· لا تقلد أحداً في دينك تقليداً أعمى .تعلم العلم الشرعي، واسأل أهل الذكر، وافهم الحكمة من الأحكام.
· تطبيق: إذا سمعت فتوى أو رأياً، فاسأل عن دليله من الكتاب والسنة.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في علاقتنا مع الله:
· حافظ على الصلوات الخمس، فهي عماد الصراط المستقيم.
· أكثر من قول: "لا إله إلا الله"، فهي كلمة الإخلاص التي تنجيك من النار.
.2في علاقتنا مع الشيطان:
· استعذ بالله من الشيطان الرجيم عند كل وسوسة أو هم بمعصية.
· تجنب الأماكن والأعمال التي يحضرها الشيطان) كالمعازف، والمجالس التي تخلو من ذكر الله.(
.3في تربية أنفسنا على الخوف من الآخرة:
· اقرأ سورة تبارك) الملك (كل ليلة، فهي تنجي من عذاب القبر.
· تذكر نار الدنيا عندما تراها، وقل في نفسك: "هذه تذكرني بنار جهنم، اللهم أجرني منها".

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة الخوف من الله ومن عذابه.
· قيمة الوفاء بالعهد الإلهي.
· قيمة عبادة الله وحده ونبذ عبادة الشيطان.
· قيمة الالتزام بالصراط المستقيم.
· قيمة الاعتبار بالماضي واستخدام العقل.
· قيمة التصديق بالوعد والوعيد.
· قيمة العدالة الإلهية المطلقة.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الآيات ترسم ملامح المجتمع الفاضل الذي ينبغي أن نبنيه في الدنيا:

· مجتمع قائم على التوحيد الخالص: حضارة المسلمين تقوم على عبادة الله وحده، مما يحررهم من عبودية الأصنام والأهواء والبشر.
· مجتمع عقلاني واع: الحضارة الإسلامية تشجع على استخدام العقل والتفكر والاعتبار بالماضي، مما يؤدي إلى التقدم العلمي والفكري.
· مجتمع يحذر من أسباب الهلاك: الأمة التي تعرف عدوها) الشيطان (ومصائده، وتعتبر بمصارع الأمم السابقة، هي أمة حكيمة لا تقع في نفس الأخطاء.
· مجتمع قائم على العدالة والمسؤولية: الإيمان بأن الجزاء من جنس العمل يرسخ قيم العدالة و المسؤولية الفردية، مما يبني مجتمعاً متماسكاً.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أسمعك الله فيها الأمر بالامتياز، وذكرك بالعهد، وأمرك بعبادته، وحذرك من الشيطان، ودعاك لاستخدام عقلك، وأراك جهنم التي كنت توعد.

فأين أنت من كل هذا؟

لا تكن من "المجرمين" الذين يمازون إلى النار .كن من "أصحاب الجنة" الذين سمعت عن نعيمهم .جدد عهدك مع الله الآن .اعبد الله وحده، واسلك صراطه المستقيم .احذر عدوك الشيطان، واستخدم عقلك لتمييز طرقه الملتوية .واجعل هذه الآيات رادعاً لك عن كل معصية، ودافعاً لك إلى كل طاعة.

فإنك لا تدري متى تقوم قيامتك الصغرى) الموت(، وحينها سترى مصيرك، فإن كنت على الصراط المستقيم، فسترى الجنة، وإن كنت ممن اتبع الشيطان، فسترى جهنم .فاختر لنفسك الآن، قبل فوات ا لأوان
خامسا.
أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب من ختام هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد الامتياز والحشر، ونعيم أهل الجنة، وعذاب المجرمين، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى مشهد جديد، مشهد تتجلى فيه قدرة الله المطلقة في إقامة الحجة على المجرمين من خلال جوارحهم نفسها، ثم ينتقل إلى تهديد عظيم وتحذير بليغ، ويختم بآية كونية في الأنفس يعتبرها الناس كل يوم ولكنهم يمرون عليها غافلين.

يقول الله تعالى بعد أن بين مصير المجرمين في جهنم:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾) يس:(65
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾) يس:(66
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾) يس:(67
﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾) يس:(68
إن هذه الآيات الأربع ليست مجرد إخبار عن أحداث يوم القيامة أو تهديدات، بل هي "دروس بليغة" في العدالة الإلهية، و حقيقة الضعف البشري، و قيمة الوقت والعمر .إنها تنتقل من مشهد الحساب في الآخرة إلى مشهد القدرة في الدنيا، لتربط بين الدارين، وتوقظ القلب الغافل .دعنا نقف مع هذه الآ يات بخشوع، ونستمع إلى ما فيها من عبر وعظات.
مقاصد وأهداف هذا التفسير
في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1استشعار عظمة العدالة الإلهية يوم القيامة: أن ترى كيف أن جوارح الإنسان نفسها تشهد عليه، مما يجعلك تراقب جوارحك في الدنيا.
.2إدراك قدرة الله المطلقة في الدنيا والآخرة: أن توقن بأن الله قادر على أن يطمس على أعيننا أو يمسخنا في أي لحظة، ولكن رحمته سبقت غضبه.
.3فهم دلالة "النكسة" في الخلق مع تقدم العمر: أن تتعظ بحال الإنسان عندما يبلغ أرذل العمر، وتعلم أن القوة والشباب متاع زائل.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتحفظ جوارحك عن المعاصي، وتشكر الله على نعمة البصر والهداية، وتستثمر شبابك وقوتك في طاعة الله قبل أن ينكسك في الخلق.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾) الآية 65)

بعد أن دخل المجرمون النار، وأقيمت عليهم الحجة، تأتي هذه الآية لتصف مشهداً مهولا ً من مشاهد الحساب .إنه مشهد شهادة الجوارح على صاحبها.

**دلالة الختم على الأفواه وكلام الجوارح

· اليوم نختم على أفواههم: "الختم" هو الطبع والغلق المحكم .وفي ذلك اليوم، ترفض أفواههم أن تنطق بالكذب والإنكار، فتُختم فلا تستطيع الكلام .هذا فيه إيذان بأن وقت الجدال والخصام قد انتهى .قال ابن كثير: "إذا جحدوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا، ختم الله على أفواههم، فلا يقدرون على الكلام".
· وتكلمنا أيديهم: فتتكلم أيديهم وتشهد بما اكتسبت من أفعال، كالسرقة، والضرب، والقتل، والكتابة، و المعاملات المحرمة.
· وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون: تشهد أرجلهم بالمشي إلى المعاصي، كالمشي إلى البارات، أو إلى مجالس الغيبة والنميمة، أو إلى قطع الرحم.

**لماذا تشهد الجوارح؟ وما الحكمة من ذلك؟

هذا المشهد يحقق عدة حكم عظيمة:

.1كمال العدالة الإلهية: حتى لا يبقى للمجرم عذر .فإذا أنكر بلسانه، شهدت عليه يداه ورجلاه .وهذا

أبلغ في إقامة الحجة.
.2إظهار قدرة الله: فالله الذي أنطق الألسنة، قادر على أن ينطق الأيدي والأرجل.
.3زيادة الخزي والفضيحة: أن تشهد جوارحه عليه على رؤوس الأشهاد، هو قمة الإهانة والتوبيخ.

**دلالة الالتفات من الخطاب المباشر إلى الغائب

لاحظ أيها القارئ الكريم أن الآيات السابقة كانت خطاباً مباشراً للمجرمين: "امتازوا"، "ألم أعهد إليكم"، "اصلوها" .أما هنا، فجاء الخطاب عنهم بصيغة الغائب: "نختم على أفواههم"، "تكلمنا أيديهم"، "تشهد أرجلهم" .هذا الالتفات له دلالة بلاغية ونفسية عظيمة:

· الاستغناء عنهم وإهانتهم: بعد أن تم إقامة الحجة عليهم وإدخالهم النار، صاروا في حكم المنتهى منهم، فلا يستحقون خطاباً مباشراً بعد الآن .الخطاب الآن موجّه للسامعين) لنا نحن (لنعتبر بحالهم . فكأن الله يعرض علينا مشهدهم ونحن ننظر.

لمسات بيانية وبلاغية

· إسناد الكلام والشهادة إلى الجوارح: فيه استعارة مكنية رائعة، حيث شُبهت الجوارح بكائنات حية عاقلة تنطق وتشهد.
· الترتيب في ذكر الجوارح: بدأ بالأيدي لأنها أكثر الجوارح عملا ً واكتساباً، ثم ذكر الأرجل لأنها وسيلة السعي إلى تلك الأعمال.
· التعبير بـ "يكسبون": الفعل المضارع يدل على استمرارهم في اكتساب المعاصي في الدنيا.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة رقابة ذاتية: عندما تعلم أن يدك ستشهد عليك يوم القيامة، فهل تجرؤ على أن تمدها إلى حرام؟ عندما تعلم أن رجلك ستشهد عليك، فهل تمشي بها إلى معصية؟ هذه الآية تربي فينا الحياء من الجوارح.
· رسالة في خطورة الذنوب: الذنوب لا تموت، بل تُسجل وتُحفظ، وستنطق بها الجوارح يوم القيامة . فعلينا أن نكثر من الاستغفار والتوبة.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في أن إنطاق الجوارح هو من قدرة الله المطلقة، التي لا يعجزها شيء.

مثال تقريبي على شهادة الجوارح:

تخيل أنك في محكمة، وأنت متهم بجريمة .تنكر التهمة بشدة، وتقول: "لم أفعلها!" .وفجأة، يقوم الدليل القاطع: كاميرات المراقبة التي صورتها وأنت ترتكب الجريمة، وبصمات أصابعك التي رفعت من مسرح الجريمة .هذه الكاميرات والبصمات هي "جوارح" صامتة في الدنيا، ولكنها تنطق بالحق .فكيف إذا كانت يداك ورجلاك نفسها هي التي تنطق وتشهد عليك؟!
ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ الآية(66

بعد أن بين ما سيفعله بالمجرمين في الآخرة، ينتقل إلى بيان قدرته عليهم في الدنيا .إنه تهديد عظيم: "لو نشاء لأعميناهم في الدنيا".

تحليل مشهد الطمس على الأعين

· ولو نشاء: تعليق الأمر على المشيئة الإلهية، فهو قادر على ذلك.
· لطمسنا على أعينهم: أي لأعميناها وأذهبنا نورها، وجعلناها كالسطح المستوي الذي لا شق فيه . "الطمس" هو المحو والإزالة.
· فاستبقوا الصراط: أي تسابقوا إلى الطريق الذي كانوا يسلكونه في أسفارهم وتصرفاتهم، ليهربوا أو ليدركوا شيئاً.
· فأنى يبصرون: أي كيف يبصرون الطريق وقد طمست أعينهم؟ إنهم لا يستطيعون ذلك.

**الربط بين نعمة البصر في الدنيا والهداية

هذه الآية تذكرنا بأن نعمة البصر هي من أجل النعم .ولكن الأهم من بصر العين هو بصيرة القلب .

فهؤلاء كانت أعينهم سليمة في الدنيا، ولكن بصائرهم كانت عمياً عن الحق .فهددهم الله بأنه لو شاء لذهب ببصر عيونهم أيضاً، عقوبة لهم على عدم شكرهم للنعمة، وعدم استخدامها في طاعته.

لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب الشرط "لو نشاء": يدل على الامتناع، أي أن الله لم يشأ ذلك، ولكنه قادر عليه .وهذا أسلوب تهديد ووعيد.
· الفاء في "فاستبقوا": تدل على سرعة وقوع الفعل بعد المشيئة.
· الاستفهام الإنكاري "فأنى يبصرون": للدلالة على استحالة الإبصار بعد الطمس.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة شكر على نعمة البصر: تذكرنا الآية بأن نبصرنا هو نعمة من الله، لو شاء لسلبها منا .فعلينا أن نشكره عليها، ونستخدمها في طاعته) قراءة القرآن، التفكر في الكون، غض البصر عن المحارم.(
· رسالة تحذير من عمى البصيرة: الأعمى الحقيقي هو أعمى البصيرة .فعلينا أن نخاف من أن يطمس الله على بصائرنا بسبب ذنوبنا.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في أن الهداية بيد الله .فكما أنه يهدي الأبصار، يهدي القلوب.

مثال تقريبي على الطمس على الأعين:

تخيل أنك في طريق مظلم جداً، وتعتمد على مصباح يدوي .وفجأة، ينطفئ المصباح .تجد نفسك في ظلام دامس، تتخبط ولا تدري أين تذهب .هذا هو حال من طمس الله على عينيه .أما حال من طمس الله على بصيرته، فهو في نور الدنيا ولكنه في ظلام الجهل والضلال، يتخبط في حياته ولا يصل إلى الحق.
ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ الآية(67

بعد التهديد بالطمس على الأعين، يأتي تهديد أشد: المسخ على المكان.

**معنى المسخ ودلالته

· لمسخناهم: أي لغيرنا خلقهم من صورة الإنسان إلى صورة أخرى مشوهة) كالقردة والخنازير و الحجارة .("المسخ" هو تحويل الخلقة إلى صورة أقبح.
· على مكانتهم: أي في أماكنهم التي هم فيها، دون أن يتحركوا.
· فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون: أي بعد أن يمسخوا، لا يستطيعون التقدم إلى الأمام، ولا الرجوع إلى الخلف .يصبحون عاجزين عن الحركة تماماً.

**الفرق بين المسخ هنا ومسخ الأمم السابقة

مسخ الأمم السابقة) كأصحاب السبت (كان عقاباً واقعاً بهم في الدنيا .أما هنا فهو تهديد للمشركين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه إشارة إلى قدرة الله على فعل ذلك بهم لو شاء .وهو تحذير لكل عاصٍ في كل زمان ومكان.

لمسات بيانية وبلاغية

· عطف "ولو نشاء لمسخناهم" على ما قبله: للدلالة على تنوع قدرة الله وتعدد أشكال عقوباته.
· التعبير بـ "على مكانتهم": يفيد أن المسخ يقع فجأة وهم في أماكنهم، فلا فرصة للهرب.
· النفي في "فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون": نفي قاطع لأي حركة أو تدارك.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة رهبة من بطش الله: تملأ هذه الآية القلب رهبة من قدرة الله التي لا حدود لها .فهو قادر على أن يغير خلقنا في لحظة.
· رسالة في عدم الأمن من مكر الله: تعلمنا الآية ألا نأمن من عذاب الله، فما حدث للأمم السابقة يمكن أن يحدث لنا.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في نعمة الخلقة الإنسانية السوية، وشكر الله عليها.

مثال تقريبي على المسخ على المكانة:

تخيل أنك تشاهد فيلماً، وفجأة، يتجمد المشهد . الشخصيات في الفيلم تتوقف تماماً، لا تتحرك للأمام ولا للخلف .هذا تجميد للصورة .أما المسخ فهو تغيير الصورة إلى صورة قبيحة مع التجميد .إنه عذاب أشد، لأنهم يرون أنفسهم في صورة مشوهة، ولا يستطيعون حتى الهرب من هذا المنظر.
رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية(68

بعد تلك التهديدات العظيمة، تأتي هذه الآية لتقرع القلوب بحقيقة كونية يشاهدها الناس كل يوم، ولكنهم لا يعقلونها .إنها حقيقة تقدم العمر والنكسة في الخلق.

**معنى "ننكسه في الخلق" ودلالته على فناء الدنيا

· ومن نعمره: أي من نطل عمره ونمد له في الحياة حتى يصل إلى أرذل العمر.
· ننكسه في الخلق: "النكس" هو قلب الشيء وجعل أعلاه أسفله ."ننكسه في الخلق" أي نرده إلى الحالة التي بدأ منها: الضعف بعد القوة، والجهل بعد العلم، والنسيان بعد الذكر .قال ابن عباس: "يرد إلى أرذل العمر، فيصير كالصبي في عقله وجسمه" .قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ الحج:.(5

**"أفلا يعقلون": دعوة للتفكر في العمر والعمل قبل فواته

هذه الجملة هي زبدة الآية .إنها تدعو الإنسان إلى أن يستخدم عقله وهو في قوته وشبابه، قبل أن ينكس في الخلق .في ذلك العمر المتقدم، لا يستطيع الإنسان أن يعمل صالحاً، ولا أن يتوب توبة نصوحاً، لأن عقله قد ضعف .فهذا هو وقت العمل، قبل أن يأتي وقت الضعف والعجز.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الربط بين طول العمر والنكسة: لبيان أن طول العمر ليس نعمة مطلقة إذا لم يستثمر في الطاعة.
· التعبير بـ "ننكسه": استعارة تصريحية، حيث شبه حال الشيخوخة بحال الشيء المنكوس المقلوب.
· الاستفهام الإنكاري "أفلا يعقلون": توبيخ لهم على عدم استخدام عقولهم للاعتبار بهذه الحقيقة.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في قيمة الوقت والشباب: تحثنا الآية على استثمار فترة الشباب والقوة في طاعة الله، قبل أن نصل إلى مرحلة العجز والضعف .قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".
· رسالة في التواضع: تذكرنا الآية بأن القوة والشباب والعلم الذي نتمتع به الآن هو إلى زوال .فلا نتكبر على أحد، ولا نغتر بما نحن فيه.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى النظر إلى كبار السن من حولنا، والاعتبار بحالهم، والاستعداد لتلك المرحلة بالعمل الصالح.

مثال تقريبي على "ننكسه في الخلق":

انظر إلى طفل صغير في بداية حياته: ضعيف الجسد، قليل العقل، لا يعرف القراءة والكتابة، يحتاج إلى من يقوم على خدمته .ثم انظر إلى شاب في مقتبل العمر: قوي البدن، متقد الذهن، مثقف واعٍ . ثم انظر إلى رجل طاعن في السن: عاد ضعيفاً، نسي كثيراً مما تعلمه، أصبح مرة أخرى بحاجة إلى من يعينه .هذا هو "النكس في الخلق" .الإنسان يعود إلى الحالة التي بدأ منها .فأين ذهبت القوة و العلم؟ لقد ذهبت، وبقي العمل الصالح هو الزاد.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1أن نراقب جوارحنا ونحفظها من المعاصي: يريد منا أن نستحضر أن أيدينا وأرجلنا ستشهد علينا يوم القيامة.

2.أن نشكر الله على نعمة البصر والبصيرة: يريد منا أن نستخدم أبصارنا في طاعته، وألا نأمن من أن يسلبها منا.
3.أن نخاف من بطش الله وقدرته: يريد منا أن نرهب قدرته على المسخ والطمس، فلا نغتر بأمنه وعافيته.
4.أن نستثمر شبابنا وقوتنا قبل فوات الأوان: يريد منا أن نعمل الصالحات في وقت القدرة، قبل أن ننكس في الخلق فلا نستطيع عملا ً.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال مراقبة الجوارح: لو أن يدي تكلمت اليوم، فماذا ستقول؟ هل ستشهد لي بخير أم بشر؟ ماذا كتبت يدي؟ من صافحت؟ من ضربت؟ أين مشت رجلاي؟ إلى مسجد أم إلى سوق فيه منكرات؟
· سؤال شكر نعمة البصر: هل أشكر الله على نعمة البصر؟ كم مرة نظرت إلى حرام؟ وكم مرة نظرت إلى مصحف أتلوه؟ هل أستخدم بصري في التفكر في آيات الله؟
· سؤال اغتنام العمر: هل أشعر أن عمري يمضي؟ هل أنا مستثمر لشبابي وقوتي في طاعة الله؟ أم أني مؤجل للتوبة والعمل الصالح إلى أن أكبر؟
· سؤال الاعتبار بحال الكبار: عندما أرى كبيراً في السن منكوساً في خلقه، هل أعتبر به وأعلم أني سأكون مثله يوماً ما؟ هل يدفعني ذلك للعمل؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "رقابة الجوارح" كتطبيق عملي للإيمان:
· تمرين يومي: في نهاية كل يوم، حاسب جوارحك: ماذا فعلت يداي اليوم؟ أين مشت رجلاي؟ ماذا نظرت عيناي؟ ثم استغفر الله من السيئات، واحمده على الحسنات.
· تطبيق: إذا هممت بمعصية، قل لنفسك: "يداي ستشهدان عليّ بهذا يوم القيامة!".
· مفهوم "اغتنام الشباب" كاستثمار رابح:
· ضع لك برنامجاً للطاعات وأنت في سن الشباب والقوة: صلاة، صيام، قرآن، صدقة، بر والدين.
· قاعدة ذهبية: "شبابك قبل هرمك" .لا تقل: "سأفعل الخير عندما أكبر" .فالكبير لا يستطيع أن يفعل ما يفعله الشاب.
· مفهوم "الشكر العملي على النعم":
· لا تكتفِ بقول "الحمد لله" على نعمة البصر، بل استخدم بصرك في قراءة القرآن، وفي غض الطرف عن الحرام.
· لا تكتفِ بقول "الحمد لله" على نعمة القوة، بل استخدم قوتك في مساعدة الضعفاء، وفي العبادة.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

1.في حفظ الجوارح:
· ضع مصحفاً في مكان عملك أو في سيارتك، لتقرأ فيه بدلا ً من الانشغال باللغو.
· إذا وجدت نفسك في مكان فيه منكر، فأسرع بالخروج منه، وقل: "رجلاي، لا تشهدا عليّ بهذا".
2.في استثمار العمر:
· اكتب وصيتك الآن، فهي عبادة وتذكير بالموت.
· ضع لك هدفاً أسبوعياً في العبادة، وتحدى نفسك لتحقيقه وأنت في قوتك.
3.في الاعتبار بالآخرين:
· قم بزيارة دار للمسنين، وانظر إلى حالهم، واخدمهم، وادع لهم، واعتبر بحالهم.
· تحدث مع كبير في السن من أهلك، واسأله عن حاله، وكيف يشعر بتقدم العمر، وتعلم منه.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة مراقبة الله في السر والعلن.
· قيمة الحياء من الجوارح أن تشهد علينا.

· قيمة الشكر العملي على نعمة البصر والقوة.
· قيمة الخوف من قدرة الله وبطشه.
· قيمة اغتنام فترة الشباب والقوة قبل زوالها.
· قيمة الاعتبار بحال كبار السن.
· قيمة استخدام العقل في التفكر والاعتبار.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الآيات ترسم ملامح المجتمع الفاضل الذي ينبغي أن نبنيه في الدنيا:

· مجتمع قائم على الرقابة الذاتية: مجتمع أفراده يراقبون جوارحهم خوفاً من شهادتها يوم القيامة، هو مجتمع آمن، يقل فيه الفساد والجريمة.
· مجتمع مستثمر للطاقات: مجتمع يشجع شبابه على استثمار قوتهم في العمل والإنتاج والعبادة قبل فوات الأوان، هو مجتمع قوي ومنتج.
· مجتمع متعظ بحقائق الحياة: مجتمع ينظر أفراده إلى كبار السن فيعتبرون بهم، ويستعدون لتلك المرحلة، هو مجتمع واعٍ حكيم، لا يغتر بقوته وشبابه.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أسمعك الله فيها شهادة الجوارح، وأراك قدرته على الطمس والمسخ، وذكرك بحقيقة العمر والنكسة في الخلق.

فهل آن لقلبك أن يخشع؟ وهل آن لعقلك أن يعقل؟

لا تنتظر حتى تشهد عليك جوارحك يوم القيامة، بل اجعلها تشهد لك اليوم بالخير والطاعة .لا تنتظر حتى يطمس الله على بصرك أو بصيرتك، بل استخدمهما اليوم في طاعته .ولا تنتظر حتى تنكس في الخلق فلا تستطيع عملا ً، بل بادر الآن، واستثمر شبابك وقوتك فيما يرضي الله.

فإن العمر قصير، والموت يأتي بغتة، والجوارح ستشهد، والحساب حق .فكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، واجعل هذه الآيات نبراساً لك في حياتك.

المقطع الاخير
اولا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نصل إلى ختام هذه الرحلة الإيمانية العظيمة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن طوف بنا القرآن في مشاهد الكون والنفس والتاريخ، وأرانا مصارع الغابرين، ونعيم المؤمنين، وعذاب المجرمين، يأتي بنا إلى خاتمة تليق بهذا القلب النابض .إنها آيتان كريمتان تجمعان بين تنزيه النبي الكريم عما يصفه به أعداؤه، و بيان حقيقة القرآن ووظيفته العظمى.

يقول الله تعالى وهو يبدأ هذا الختام بهذا البيان الجليل:
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ يس:6
﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يس:70
إن هاتين الآيتين ليستا مجرد خاتمة للسورة، بل هما "إعلان إلهي" بحقيقة هذا الكتاب الذي بين أيدينا، و "تزكية سماوية" للنبي الأمي الذي حمله إلينا، و "تحديد واضح" لمهمته ووظيفته .إنهما تردان على افتراءات المشركين الذين قالوا إنه شاعر وإن ما جاء به شعر، وتقطعان الطريق على كل من يحاول أن يخلط بين كلام الخالق وكلام المخلوقين .دعنا نقف مع هاتين الآيتين بخشوع، ونستمع إلى هذا الإعلان الختامي المهيب.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

1.تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتبرئته من تهمة الشعر: أن تدرك أن وصف النبي بالشاعر هو اتهام باطل، لأن الشعر يتنافى مع مقام النبوة وعظمة الرسالة.
2.فهم حقيقة القرآن واختلافه الجوهري عن الشعر: أن تتعلم الفرق بين كلام الله) القرآن (الذي هو ذكر وهداية، وكلام البشر) الشعر (الذي يتبع فيه الغاوون أهواءهم.
3.إدراك وظيفة القرآن العظمى: الإنذار والإحياء: أن تفهم أن القرآن جاء ليوقظ القلوب الحية، ويقيم الحجة على الكافرين.
4.التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتعظم القرآن وتجعله ذكراً لك وهداية، وتقبل على تلاوته وتدبره بقلب حي.
تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ الآية(69

كان المشركون يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، وأن ما جاء به هو شعر مفترى .فأراد الله تعالى أن ينزه نبيه وينفي عنه هذه التهمة نفياً قاطعاً.

**لماذا نفى الله الشعر عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

نفى الله عن نبيه تعلم الشعر وقوله، ليس انتقاصاً من الشعر في ذاته، فالشعر الحسن كلام حسن، ولكن لمقام النبوة و لطبيعة القرآن:

1.لأن مقام النبوة أسمى وأعلى: النبي صلى الله عليه وسلم هو رسول الله إلى الناس كافة، مهمته تبليغ وحي السماء، لا نظم القريض وافتعال الكلام .فتعليمه الشعر لا يناسب جلال منصبه وعظمة رسالته .قال قتادة: "نزهه الله عن ذلك، وما كان ينبغي له أن يكون شاعراً، قد علم الله أنه لم يكن شاعراً".
2.لأن القرآن ليس من جنس الشعر: الشعر يعتمد على الخيال والعاطفة والوزن والقافية، وقد يخلطه الكذب والمبالغة .أما القرآن فهو "ذكر" يذكر بالله والدار الآخرة، و"قرآن مبين" واضح في معانيه وأحكامه، لا مكان فيه للكذب أو العبث.
3.لتكون الحجة أبلغ: لو كان النبي شاعراً لكان للمشركين عذر في اتهامهم، ولكن الله اختار نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يقول الشعر، ليكون إعجاز القرآن أظهر، وحجته أبلغ .قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت:.(48

**ما هو الفرق الجوهري بين "الذكر" و"الشعر"؟

الآية تضع يديها على الفرق الجوهري: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾.

· الذكر: هو التذكير بالله، وباليوم الآخر، وبما يصلح القلوب والأحوال .والقرآن كله ذكر .قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: .(50 فغايته تذكير الغافلين وإيقاظهم.
· الشعر: غايته الأولى الإمتاع الفني والتعبير عن المشاعر الإنسانية .وإن كان فيه حق وباطل، وخير وشر.
· القرآن المبين: هو الواضح في ذاته، الموضِح لغيره .آياته بينات، لا تحتاج إلى تأويلات بعيدة .وهو يبين للناس ما أشكل عليهم من أمر دينهم ودنياهم.

لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب النفي المؤكد: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾، ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا﴾ .كلها أساليب نفي وحصر قوية، تؤكد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الشعر، وتأكيد حصر القرآن في كونه ذكراً ومبيناً.
· الوصف بـ "مبين": صفة مشتقة من الإبانة والوضوح .وهو وصف ذاتي للقرآن، فهو واضح في نفسه، وموضح لغيره.
· الترتيب المنطقي: نفي التعليم أولا ً، ثم نفي المناسبة واللياقة ثانياً، ثم إثبات الحقيقة ثالثاً .وهذا ترتيب في غاية الإقناع والبلاغة.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة طمأنينة للمؤمن: تملأ هذه الآية قلب المؤمن يقيناً بأن ما يتلوه هو كلام الله حقاً، وليس من كلام البشر .فهو ذكر وقرآن مبين، يهدي للتي هي أقوم.
· رسالة في تعظيم القرآن: تعلمنا الآية أن نفرق بين كلام الله وكلام البشر .فلا نخلط بينهما، ولا نجعل للقرآن منزلة كمنزلة الشعر أو النثر الأدبي .هو أسمى وأعلى.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في إعجاز القرآن، وكيف أن أمياً لا يقرأ ولا يكتب أتى بهذا الكلام الذي أعجز الفصحاء والبلغاء.

مثال تقريبي على الفرق بين الذكر والشعر:

تخيل أنك جائع، وأمامك كتابان: أحدهما كتاب طبخ يحتوي على وصفات شهية ومصورة بشكل جميل ، ولكنه لا يشبع جوعك .والآخر هو طبق طعام حقيقي، مملوء بالعناصر الغذائية التي يحتاجها جسدك . كتاب الطبخ) في هذا المثال (هو مثل الشعر: كلام جميل، ولكنه لا يغني من جوع الروح .أما القرآن فهو "الذكر"، وهو الطعام الحقيقي للقلب والعقل، هو الذي يغذي الروح ويهديها .الشعر قد يطرب الأذن، أما القرآن فهو يحيي القلوب.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكافِرِينَ﴾ الآية(70

بعد أن بين حقيقة القرآن، بين وظيفته وغايته العظمى .إنه لم ينزل ليكون كتاب شعر وأدب فقط، بل له مهمة عظيمة: الإنذار و إقامة الحجة.

**من هو "الحي" الذي ينتفع بالإنذار؟

قوله: ﴿لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيًّا﴾ فيه دقة بالغة .ليس المقصود بالحياة الحياة الجسدية فقط، فكل الناس أحياء بالأجساد .بل المقصود هو حياة القلب والعقل.

· الحي حقاً: هو من كان له قلب يعقل به، وعين تبصر بها، وأذن تسمع بها .هو الذي ينتفع بالذكر وا لإنذار .قال ابن عباس: "يريد من كان حي القلب، عاقلا ً يتدبر".
· الميت قلباً: هو الكافر المعاند الذي لا ينتفع بالذكر .قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ النمل: .(80 فالقرآن يوقظ الأحياء، ولا ينفع في الأموات.

**معنى "ويحق القول على الكافرين"

هذه هي الوظيفة الثانية للقرآن: إقامة الحجة على المعاندين ."يحق القول" أي يثبت ويجب العذاب على الكافرين، لأنهم بعد أن سمعوا هذا القرآن المبين، وقامت عليهم الحجة، لم يعد لهم عذر .فكان القرآن سبباً في نجاتهم لو آمنوا، وسبباً في إحقاق العذاب عليهم حين كفروا.

لمسات بيانية وبلاغية

· لام التعليل في "لينذر": لتبين الغاية من إنزال القرآن .فهو لم ينزل عبثاً، بل لينذر ويبشر.
· التعبير بـ "من كان حياً": فيه استعارة مكنية، حيث شبه المؤمن العاقل بالحي، وشبه الكافر الجاحد بالميت .وهذا أسلوب بليغ في التعبير عن حقيقة الانتفاع بالذكر.
· المقابلة بين "من كان حياً" و"الكافرين": هذه المقابلة توضح أن الكافرين هم في حكم الأموات، لأنهم لا ينتفعون بالإنذار.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في فقه الدعوة: تعلمنا الآية أن نركز دعوتنا على "الأحياء"، أي على من في قلوبهم استعداد للهداية .ولا نضيع وقتنا في جدال المعاندين الذين لا يريدون الحق.
· رسالة في إحياء القلوب بالقرآن: تدعونا الآية إلى أن نقرأ القرآن بقلب حي حاضر، نتدبر آياته، ونتأثر بمواعظه .فلا نكون ممن يقرؤون القرآن وقلوبهم ميتة لا تتأثر.
· رسالة في العدالة الإلهية: تثبت الآية أن الله لا يظلم أحداً .فالكافرون بعد أن سمعوا القرآن وأعرضوا، حق عليهم العذاب بعدالة.

مثال تقريبي على "الحي" الذي ينتفع بالإنذار:

تخيل أرضاً خصبة، وأرضاً سبخة .ينزل المطر على الأرضين .الأرض الخصبة تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، فتنتفع بالمطر .أما الأرض السبخة فلا تنبت إلا نكداً، لا تنتفع بالمطر .كذلك القلوب: قلب المؤمن كالأرض الخصبة، ينتفع بالقرآن وينبت فيه الإيمان والعمل الصالح .وقلب الكافر كالأرض السبخة، يسمع القرآن ولا ينتفع به .فالمؤمن هو "الحي" الذي ينتفع بالإنذار.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن ننزه النبي صلى الله عليه وسلم ونعرف قدره: يريد منا أن نعتقد أنه رسول الله حقاً، وأن ما جاء به هو وحي من عند الله، وليس شعراً أو كهانة.
2.أن نعظم القرآن ونجعله ذكراً لنا: يريد منا أن نتعامل مع القرآن على أنه كلام الله، فنتلوه ونتدبره ونتعظ به.
3.أن نكون من "الأحياء" الذين ينتفعون بالقرآن: يريد منا أن نقرأ القرآن بقلب حاضر وعقل متدبر، فنكون ممن يهتدون بهديه.
4.أن نحذر أن نكون من "الكافرين" الذين يحق عليهم القول: يريد منا أن نخاف من أن نسمع القرآن ثم نعرض عنه، فيحق علينا العذاب.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال تعظيم القرآن: هل أتعامل مع القرآن على أنه "ذكر وقرآن مبين"؟ هل هو عندي أعظم من كل كتاب؟ هل أجعله مرجعي الأول في كل أموري؟
· سؤال حياة القلب: هل قلبي "حي" ينتفع بالقرآن؟ عندما أتلو آية وعيد، هل أرتعد خوفاً؟ وعندما أتلو آية وعد، هل أشتاق وأرجو؟ أم أني أتلو القرآن وكأني أقرأ أي كتاب آخر؟
· سؤال الخوف من إحقاق القول: هل أخشى أن أكون ممن يسمعون القرآن ثم يعرضون، فيحق عليهم القول؟ هل أعمل بما أعلم من القرآن؟
· سؤال تنزيه النبي: هل أعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم هو رسول الله حقاً، وأنه معصوم من أن يقول الشعر في مقام النبوة؟ هل أذود عن عرضه وأرد على من يتهمه؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الذكر" كحالة قلبية دائمة:
· اجعل تلاوة القرآن وتدبره جزءاً من برنامجك اليومي، لا ينقطع.
· تمرين عملي: إذا شعرت بغفلة أو قسوة في قلبك، فافتح المصحف واقرأ بتدبر، وقل: "اللهم اجعل

هذا القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني".
· مفهوم "الحي" الذي ينتفع بالإنذار:
· قبل أن تبدأ في تلاوة القرآن، استحضر قلبك .قل: "اللهم إني أقرأ كلامك، فأحي قلبي به".
· قاعدة ذهبية: "القرآن حياة للقلوب، فمن جعله إمامه، أحياه الله به".
· مفهوم "إحقاق القول" كرادع:
· إذا قرأت آية فيها أمر أو نهي، فسارع إلى تطبيقها، وقل: "سمعاً وطاعة، اللهم لا تجعلنا من الذين يحق عليهم القول".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:

.1في علاقتنا مع القرآن:
· لا تهجر القرآن أبداً .اجعل لك ورداً يومياً منه، ولو كان آيات قليلة، ولكن بتدبر.
· استمع إلى القرآن بصوت شيخ متقن، وتأثر بآياته .فالاستماع بتدبر يحيي القلب.
.2في الدعوة إلى الله:
· ركز دعوتك على "الأحياء"، أي على من ترى فيهم خيراً واستعداداً للهداية .لا تجادل المعاندين جهادلا ً لا طائل منه.
· استخدم القرآن في دعوتك .اقرأ آية، واشرح معناها ببساطة.
.3في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم:
· تعلم سيرته، واعرف عظمته، وادفع عنه الشبهات التي يثيرها أعداؤه.
· اتبع سنته في كل شؤون حياتك، فهذا أكبر دليل على محبته وتوقيره.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين

· قيمة تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة قدره.
· قيمة تعظيم القرآن وتوقيره.
· قيمة التمييز بين كلام الله وكلام البشر.
· قيمة حياة القلب والانتفاع بالذكر.
· قيمة العدالة الإلهية وإقامة الحجة.
· قيمة الحذر من أن نكون ممن يحق عليهم القول.
· قيمة جعل القرآن ذكراً وهداية في حياتنا.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيتين

هذه الآيتان تضعان أسساً حضارية مهمة:

· حضارة قائمة على الوحي لا على الشعر: الحضارة الإسلامية قامت على القرآن، كتاب الله الذي هو ذكر وقرآن مبين، لا على أشعار الجاهلية وأساطيرها .هذا هو أساس الفكر والعقيدة.
· حضارة تحيي القلوب: الحضارة الإسلامية لا تهدف فقط إلى التقدم المادي، بل إلى إحياء القلوب و العقول بالذكر والهداية .فالإنسان فيها هو المحور.
· حضارة تقوم على العدل وإقامة الحجة: من مبادئ هذه الحضارة إقامة الحجة على الناس بالقرآن المبين، فلا يعذب أحد إلا بعد أن تقوم عليه الحجة.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات الخواتم من سورة يس، لقد ختم الله هذه السورة العظيمة بإعلان واضح: إن هذا الذي تتلوه ليس شعراً، بل هو ذكر وقرآن مبين، جاء لينذر من كان حياً، و ليحق القول على الكافرين.

فأي الفريقين أنت؟

هل أنت من "الأحياء" الذين ينتفعون بهذا الذكر، فيخبتون لآياته، وتقشعر منه جلودهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله؟
أم أنك من "الكافرين" الذين يسمعونه ثم يعرضون عنه، فيحق عليهم القول، ويصير القرآن حجة عليهم لا لهم؟

اختر لنفسك .اجعل القرآن ربيع قلبك، ونور صدرك، وشفيعك يوم القيامة، لا خصيمك .اقرأه بتدبر، واجعله إمامك ودليلك .واشهد أن محمداً رسول الله، ليس بشاعر، بل هو النبي الأمي الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق.

ثانيا

أيها القارئ الكريم، ها نحن فى الايات الاخيره من هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة «يس»، قلب القرآن النابض. بعد أن وقفنا على مشاهد الكون والنفس والتاريخ، وعلى مصارع المكذبين ونعيم المؤمنين، وبيان حقيقة القرآن ووظيفته، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى مشهد جديد من مشاهد النعم الظاهرة التي تحيط بنا، والتي نمر عليها كل يوم وليلة دون أن نتفكر فيها حق تفكرها. إنها نعمة الأنعام، تلك المخلوقات المسخرة لنا، والتي تحمل في طياتها دروساً عظيمة في التمكين و التسخير والشكر.

يقول الله تعالى وهو يعرض علينا هذه الآية الباهرة:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ يس:(71)
﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ يس:(72)
﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس:(73)

إن هذه الآيات الثلاث ليست مجرد تعداد للنعم، بل هي "مدرسة إلهية" في التأمل في نعم الله الظاهرة، و"درس حضاري" في التسخير والتمكين، و"دعوة ملحة" إلى الشكر العملي. إنها تذكرنا بأن كل ما حولنا من خيرات هو من فضل الله وحده، وأن وظيفتنا هي أن نكون شاكرين، مستثمرين لهذه النعم في طاعته وعمارة أرضه. دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نعيش حياتنا شاكرين، وكيف نبني حضارتنا على أسس متينة من التسخير والامتنان.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1استشعار نعمة تسخير الأنعام للإنسان: أن ترى في هذه المخلوقات آية من آيات الله، ونعمة تستوجب الشكر.
.2فهم مفهوم "التمكين" و"الملكية" في ضوء الآية: أن تدرك أن الإنسان مالك للأنعام بتمكين من الله، لا بقوته الذاتية.
.3إدراك منافع الأنعام المتعددة وأثرها في الحضارة الإنسانية: أن تتعرف على الأبعاد الاقتصادية والا جتماعية والحضارية لهذه النعمة.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتشكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة، وتستثمر ما سخر لك في طاعته وعمارة أرضه، وتتعامل مع هذه النعم برفق ومسؤولية.

تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (الآية 71)

هذه الآية تفتح أعيننا على نعمة عظيمة، نعمة الأنعام (الإبل، البقر، الغنم، الماعز). إنها تذكرنا بأن هذه المخلوقات ليست وليدة الصدفة، بل هي خلق الله و صنع يديه، وأنه سخرها لنا وجعلنا مالكين لها.

*دلالة "مما عملت أيدينا" و"فهم لها مالكون"

· أولم يروا: استفهام تقريري وتوبيخي، أي: ألم ينظروا بأعينهم وقلوبهم إلى هذه النعمة الجليلة؟ إنهم يرونها كل يوم، ولكنهم لا يتفكرون فيها.
· أنا خلقنا لهم: إضافة الخلق إلى الله بضمير العظمة، لتعظيم هذه النعمة، وللتذكير بأنها من عند الله وحده.
· مما عملت أيدينا: هذا التعبير فيه تشريف عظيم للأنعام، حيث أضاف الله عملها إلى يديه .قال ابن عباس: "يعني مما صنعنا" .وفيه إشارة إلى أنها خلقت بغير واسطة أب وأم، كآدم عليه السلام، أو أنه خلقها بقدرته الباهرة.
· فهم لها مالكون: أي هم متصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، يذبحون، ويركبون، ويحلبون، ويستخدمون .وهذا التمليك هو من فضل الله وتسخيره.

لمسات بيانية وبلاغية

· الاستفهام "أولم يروا": استفهام إنكاري توبيخي، يدفعهم إلى الاعتراف بأنهم قد رأوا هذه النعم، فلماذا لا يشكرون؟
· إضافة الخلق إلى ضمير الجلالة: ﴿خَلَقْنَا﴾ لبيان عظم النعمة وجلالة الخالق.
· التعبير بـ "مما عملت أيدينا": فيه إضافة تشريف وتكريم لهذه المخلوقات، وبيان أنها من بديع صنع الله.
· الفاء في "فهم": للتعقيب والترتيب، فبمجرد خلق الله لها، صاروا مالكين متصرفين فيها.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تذكير بالنعم: توقظ هذه الآية القلب الغافل من نومته، وتذكره بأن كل ما حوله من نعم هو من خلق الله وتسخيره.
· رسالة في مفهوم الملكية الحقيقية: تعلمنا الآية أن ملكيتنا للأشياء هي ملكية استخلاف وتسخير من الله .المالك الحقيقي هو الله، ونحن مستخلفون .هذا الفهم يحررنا من التعلق المفرط بالماديات.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في خلق الأنعام، وكيف أنها مسخرة لنا مع قوتها وعظم أجسامها . ألا يدل ذلك على قدرة الله وتسخيره لنا؟

مثال تقريبي على ملكية الإنسان للأنعام:

تخيل أن صديقاً غنياً أعطاك سيارته الفارهة وقال لك: "هذه سيارتي، أضعها تحت تصرفك، استخدمها كما تشاء، ولكن تذكر أنها أمانة عندك". أنت الآن "مالك" للتصرف، ولكنك تعلم أن الملك الحقيقي لصديقك، وأنه سيسألك عنها يوم القيامة. هذا هو حالنا مع الأنعام وكل النعم. نحن مالكو تصرف، ولكن الله هو المالك الحقيقي.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (الآية 72)

بعد أن ذكر أصل النعمة (الخلق والتمليك)، يذكر حالها وكيف سخرها الله للإنسان: إنها مذللة منقادة، لا تستعصي عليهم.

**تحليل مفهوم "التذليل" والتسخير

· وذللناها لهم: أي جعلناها منقادة مسخرة، لا تستعصي على الإنسان، مع عظم أجرامها وقوتها .فالجمل العظيم يقوده طفل صغير .والثور القوي ينقاد لصاحبه .وهذا من أعجب آيات التسخير .قال قتادة: "ذل الله لابن آدم الأنعام، حتى إن البعير لينقاد للصبي".
· فمنها ركوبهم: أي فبعضها يركبونه في أسفارهم وحوائجهم، كالإبل والخيل والبغال والحمير.
· ومنها يأكلون: أي وبعضها يأكلون لحومها وشحومها، كالغنم والبقر والإبل.

**التذليل كنموذج للتسخير الإلهي المستمر

التذليل هنا ليس خاصاً بالأنعام فقط، بل هو نموذج لكل ما سخر الله لنا في هذا الكون. فالسفن ذللت لنا في البحر، والسيارات والطائرات ذللت لنا في البر والجو. كلها من تسخير الله لنا، فيجب أن نذكر هذه النعمة ونشكرها.

**لمسات بيانية وبلاغية

· الفعل "ذللناها": بصيغة الماضي، للدلالة على أن هذا التذليل أمر واقع ومستمر منذ خلقها.
· التقسيم بـ "فمنها ... ومنها": لبيان تنوع منافعها وعدم قصرها على جانب واحد.
· التعبير بـ "ركوبهم" و"يأكلون": جمع بين أهم منفعتين ضروريتين: النقل والغذاء.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في عظمة التسخير: تملأ هذه الآية القلب عظمة لله الذي سخر لنا هذه المخلوقات القوية . فكيف لا نشكره؟
· رسالة في التواضع: تعلمنا الآية أن قوتنا وسيطرتنا على هذه المخلوقات ليست بذاتنا، بل بتسخير الله لنا .فعلينا أن نتواضع ولا نتكبر.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتأمل في كيفية تذليل هذه الحيوانات .إنه تذليل فطري خلقي، لا يحتاج

إلى تدريب طويل .وهذا دليل على أن الله هو الذي فطرها على ذلك.

مثال تقريبي على التذليل:

تخيل أنك تملك سيارة ضخمة جداً وقوية، وتستطيع أن تقودها بسهولة بمجرد مفتاح صغير وحركة بسيطة من يدك. هذه السيارة القوية "مذللة" لك. فمن ذللها لك؟ إنه صانعها. وكذلك الأنعام، ذللها لك خالقها.
ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (الآية 73)

بعد ذكر منافع الركوب والأكل، يأتي التعميم ليشمل كل المنافع الأخرى، ثم يختم الآية بسؤال تقريعي: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

**منافع ومشارب الأنعام: اقتصاد ورعاية

· ولهم فيها منافع: أي منافع أخرى كثيرة غير الركوب والأكل .فمنها: الأصواف والأوبار والأشعار التي يصنعون منها ملابسهم وبيوتهم .ومنها: الجلود التي يدبغونها ويصنعون منها الأحذية والأوعية .ومنها: استخدامها في الحرث والسقاية.
· ومشارب: أي من ألبانها يشربون .فالألبان ومشتقاتها) الزبدة، الجبن، اللبن (هي من أعظم النعم التي سخرها الله لنا في هذه الأنعام .قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾) النحل:.(66

**"أفلا يشكرون": ذروة الدعوة القرآنية

هذه الجملة هي خاتمة المقطع، وهي دعوة صريحة إلى الشكر. ولكن ليس الشكر باللسان فقط، بل الشكر العملي الذي يتمثل في:

· الاعتراف بالمنعم: وهو الله وحده.
· استعمال النعمة في طاعة المنعم: لا في معصيته.
· التحدث بالنعمة: ونسبها إلى الله.

لمسات بيانية وبلاغية

· التنكير في "منافع": للتعميم والتكثير .أي لهم فيها منافع كثيرة لا تحصى.
· الاستفهام الإنكاري "أفلا يشكرون": استفهام توبيخي، يوبخهم على ترك الشكر مع عظم النعم.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تحفيز على الشكر: تجعلنا هذه الآية نراجع أنفسنا: هل نحن من الشاكرين حقاً؟ هل نستخدم هذه النعم في طاعة الله؟
· رسالة في التنمية الاقتصادية: تشير الآية إلى أن الأنعام ليست مجرد حيوانات، بل هي ثروة اقتصادية هائلة، يجب استثمارها وتنميتها.
· رسالة في الرفق بالحيوان: بما أن هذه الأنعام سخرها الله لنا وجعل لنا فيها منافع، فعلينا أن نرفق بها، ونحسن إليها، ونشكر الله عليها.

مثال تقريبي على منافع الأنعام والشكر:

تخيل أنك تعمل في مزرعة للأبقار. أنت ترى يومياً كيف تنتج هذه الأبقار الحليب الطازج، الذي يصنع منه الجبن والزبدة. وترى كيف تنتج الجلود والصوف. وترى كيف تسمد الأرض بروثها. كل هذه منافع لا تحصى. فهل تنسى أن تحمد الله على هذه النعمة؟ وهل تنسى أن ترفق بهذه البهائم وتطعمها وتسقيها؟ هذا هو الشكر العملي.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

.1أن نتفكر في نعم الله الظاهرة: يريد منا أن نفتح أعيننا وقلوبنا لنرى نعمه التي تحيط بنا، ولا نمر عليها غافلين.
.2أن نعترف بأن الملك الحقيقي لله: يريد منا أن نعلم أننا مستخلفون في هذه النعم، فلا نبخل بها، ولا نستخدمها في معصيته.
.3أن نستثمر ما سخر لنا في الخير والعمران: يريد منا أن نستخدم الأنعام وكل المسخرات في عمارة الأرض وتحقيق التنمية.
.4أن نكون من الشاكرين: يريد منا أن نترجم شكرنا لله إلى عمل صالح، ورفق بمخلوقاته، وإحسان إلى عباده.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال التفكر في النعم: عندما أركب سيارة، أو آكل لحماً، أو أشرب لبناً، هل أتذكر أن هذه نعمة من الله؟ هل أحمده عليها؟ أم أني آخذها كأمر مسلم به؟
· سؤال الشكر العملي: هل شكري لله على نعمه هو مجرد كلمة "الحمد لله" باللسان؟ أم أني أترجم هذا الشكر إلى عمل بطاعة الله، وإطعام الطعام، ومساعدة المحتاجين؟
· سؤال الرفق بالحيوان: هل أرعى حقوق الحيوان الذي سخر لي؟ هل أطعمه وأسقيه ولا أحمله ما لا يطيق؟ أم أني أقسو عليه وأهمله؟
· سؤال استثمار النعم: هل أستثمر ما أعطاني الله من نعم) مال، علم، صحة، وقت (في طاعته وعمارة أرضه؟ أم أني أبذرها وأضيعها؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التسخير" كأساس للعلاقة مع الكون:
· انظر إلى كل ما حولك على أنه مسخر من الله لك .هذا الشعور يمنحك طمأنينة وثقة، ويدفعك لاستخدام هذه المسخرات بمسؤولية.
· تمرين عملي: كلما استخدمت شيئاً) سيارة، هاتف، حاسوب(، قل في نفسك: "الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين".
· مفهوم "الشكر" كمنهج حياة متكامل:
· الشكر بالقلب: الاعتراف بأن النعمة من الله.
· الشكر باللسان: الثناء على الله وحمده.
· الشكر بالجوارح: استخدام النعمة في طاعة الله وخدمة خلقه.
· قاعدة ذهبية: "الشكر يزيد النعم، والكفر يزيلها".
· مفهوم "الملكية المسؤولة":
· أنت مالك لما في يدك، ولكن ملكيتك مقيدة بشرع الله .فلا تبذر، ولا تحتكر، ولا تمنع حق الله في مالك) الزكاة والصدقة.(
· تطبيق: إذا كان عندك مال، فأنفقه في الحلال، وتصدق منه، ولا تبذر.

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في العلاقة مع النعم:
· قم بعمل قائمة بسيطة بأهم النعم التي تتمتع بها يومياً) الصحة، البصر، السمع، الطعام، الشراب، المسكن، وسائل النقل .(واحمد الله عليها كل يوم.
· إذا أكلت طعاماً، فقل: "الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة".
.2في التعامل مع الحيوان والبيئة:
· إذا كنت تربي حيواناً، فأطعمه واسقه وارفقه به .قال النبي صلى الله عليه وسلم: "في كل كبد رطبة أجر".
· حافظ على البيئة، فالنعم التي سخرها الله لنا تستوجب الحفاظ عليها وعدم الإفساد فيها.
.3في الاقتصاد والتنمية:
· ادعم المشاريع التي تعتمد على الثروة الحيوانية والزراعية، فهي من صميم ما سخر الله لنا.

· تعلم مهارة أو حرفة تستفيد بها من الموارد الطبيعية التي حولك، وكن منتجاً لا مستهلكاً فقط.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة التفكر والاعتبار بنعم الله.
· قيمة الشكر العملي لله.
· قيمة التسخير الإلهي وتمكين الإنسان.
· قيمة الملكية المسؤولة.
· قيمة الرفق بالحيوان والحفاظ على النعم.
· قيمة الاستثمار والتنمية الاقتصادية من الموارد المسخرة.
· قيمة التواضع وعدم الاغترار بالقوة.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الآيات تضع أسساً حضارية مهمة:

· حضارة قائمة على التسخير والتمكين: الحضارة الإسلامية تنطلق من فهم أن الله سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض، وهذا يحفز على الابتكار والاستفادة من الموارد.
· حضارة قائمة على الشكر لا على الكفران: المجتمعات الشاكرة هي التي تدوم نعمها وتزدهر .فالشكر يحقق الاستدامة والبركة في الموارد.
· حضارة قائمة على الاقتصاد المتوازن: الاهتمام بالثروة الحيوانية والزراعية هو أساس الأمن الغذائي والاقتصاد المتين .فالحضارة الإسلامية لا تهمل الجانب المادي والاقتصادي.
· حضارة قائمة على الرفق والرحمة: حتى في تعاملها مع الحيوان، تظهر رحمة هذه الحضارة وإنسانيتها، مما يجعلها حضارة أخلاقية متكاملة.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أراك الله فيها بعض نعمه الظاهرة عليك. لقد ذكرك بأن هذه الأنعام التي تراها كل يوم، والتي تأكل من لحومها وتشرب من ألبانها وتركب ظهورها، هي من خلقه وتسخيره لك.

فهل تذكرت نعمة الله عليك؟ هل شكرته بقلبك ولسانك وجوارحك؟

لا تكن ممن يأكلون ويشربون ويتمتعون بالنعم، ثم ينسون المنعم. كن عبداً شكوراً. استخدم هذه النعم في طاعة الله، وفي خدمة عباده، وفي عمارة أرضه. ارفق بالحيوان، وحافظ على البيئة، وكن منتجاً نافعاً.

واعلم أن الشكر هو مفتاح المزيد، والكفر هو سبب الزوال. فاختر لنفسك طريق الشاكرين، تكن من الفائزين.
ثالثا
أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب خطوة أخرى من ختام هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن استعرضنا نعم الله الظاهرة في تسخير الأنعام، وما فيها من منافع ومشارب تستوجب الشكر، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى مشهد آخر، مشهد الغفلة والجهل، مشهد من تركوا عبادة الخالق الرازق، واتجهوا إلى عبادة مخلوقات عاجزة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً .إنه مشهد يكشف عن تناقض الفطرة مع اختيار الهوى، وعن ضعف الإنسان و حاجته الماسة إلى نصر الله.
يقول الله تعالى وهو يصف حال هؤلاء المشركين:
﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ يس:(74)
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ يس:(75)
﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يس:(76)
إن هذه الآيات الثلاث ليست مجرد وصف لموقف المشركين من آلهتهم، بل هي "تحليل نفسي" لمركب النقص الذي يعيشه من يتعلق بغير الله، و"كشف واقعي" لعجز تلك الآلهة، و"تسلية إلهية" للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل داعية صادق .إنها تضع النقاط على الحروف: لا ناصر إلا الله، ولا معين سواه . دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستلهم منها كيف نتحرر من التعلق بغير الله، وكيف نجد العزاء في علم الله وإحاطته بكل شيء.
مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

.1فهم تناقض المشركين في عبادتهم لغير الله: أن تدرك كيف يطلب الإنسان النصر ممن لا يستطيع نصر نفسه، فضلا ً عن غيره.
.2تحليل سيكولوجية التعلق بالأصنام والآلهة الباطلة: أن تفهم لماذا يلجأ الإنسان إلى تأليه المخلوقات الضعيفة، رغم وضوح عجزها.
.3إدراك كمال علم الله وشموله: أن تستشعر طمأنينة أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، وأنه سيتولى حسابهم.
.4التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتتبرأ من التعلق بغير الله، وتتوكل عليه وحده، وتجد في علم الله سلوتك وعزاءك من أقوال المبطلين.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿وَاتخَذوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلهُمْ يُنصَرُونَ﴾ الآية(74

هذه الآية تنتقل بنا من مشهد النعم التي تستوجب الشكر، إلى مشهد الجحود والكفران .إن القوم الذين كان يجب عليهم أن يشكروا الله ويعبدوه وحده، إذا بهم يتخذون من دونه آلهة يعبدونها من أصنام وأوثان.

**لماذا يتخذ الإنسان آلهة من دون الله؟

الآية تجيب: ﴿لَعَلهُمْ يُنصَرُونَ﴾ .أي رجاء أن تنصرهم هذه الآلهة، وتدفع عنهم الضر، وتجلب لهم النفع . هذا هو الدافع النفسي وراء الشرك:

.1الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير: الإنسان يشعر في داخله بالضعف، فيبحث عمن ينصره ويعينه .والمؤمن يجد هذا النصير في الله وحده .أما المشرك، فيخطئ الهدف، ويطلب النصرة من المخلوقات العاجزة.
.2الاغترار بالمحسوس: الآلهة التي يعبدونها محسوسة، يرونها بأعينهم، فيظنون أنها أقرب إليهم من الله الغيب .وهذا من قصور العقل.

لمسات بيانية وبلاغية

· الفعل "اتخذوا": يدل على أن هذا الاعتقاد ليس فطرياً، بل هو أمر تكلفوه واختاروه بأنفسهم.
· التعبير بـ "من دون الله": أي متجاوزين الله، تاركين عبادته، إلى عبادة غيره.
· التعبير بـ "لعلهم": للترجي والطمع .فهم يطمعون في نصر هذه الآلهة، وهذا يدل على ضعف عقولهم ، فهم يرجون ما لا يقع.
· صيغة "ينصرون": المبنية للمجهول، تدل على أنهم يريدون أن ينصروا من أي جهة، حتى ولو من هذه الأصنام.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في تحليل الدافع للشرك: تعلمنا الآية أن الشرك ينبع من الخوف و الشعور بالضعف، والبحث عن النصير .والمؤمن الحق يجد النصير الحقيقي في الله، فلا يحتاج إلى آلهة مزيفة.
· رسالة في خطر التعلق بغير الله: تحذرنا الآية من التعلق بالمخلوقين، وجعلهم آلهة من دون الله، سواء كانوا أصناماً، أو أشخاصاً، أو أفكاراً.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتساؤل: كيف يطلب الإنسان النصر من مخلوق ضعيف مثله أو أضعف منه؟ أين ذهبت العقول؟

مثال تقريبي على اتخاذ آلهة من دون الله:

تخيل رجلا ً يغرق في بحر هائج .يمد يده ليتعلق بقشة طافية على وجه الماء، ظناً منه أنها ستنقذه من الغرق .القشة لا تستطيع أن تنقذه، بل هو من سيغرق معها .هذا هو حال المشرك .يطلب النجاة والنصر من آلهة عاجزة، هي نفسها بحاجة إلى من ينصرها، بينما يترك الله القادر على كل شيء.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُحْضَرُونَ﴾ الآية(75

بعد أن بين الدافع لاتخاذهم الآلهة، يكشف القرآن الحقيقة المرة: هذه الآلهة عاجزة تماماً عن نصرهم.

**تحليل عجز الآلهة عن النصرة

· لا يستطيعون نصرهم: الضمير في "يستطيعون" يعود على الآلهة .فهي عاجزة عن نصر عابديها، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً.
· وهم لهم جند محضرون: الضمير في "هم" يعود على المشركين .أي أن هؤلاء المشركين هم جند محضرون للدفاع عن آلهتهم .والمعنى مقلوب تهكماً: فبدلا ً من أن تنصرهم آلهتهم، هم الذين ينصرونها ويحمونها! وهذا غاية في التهكم والإبطال لعبادتهم .قال ابن كثير: "المشركون يغضبون لآ لهتهم، وهم لها جند محضرون، يدافعون عنها ويحامون، وهي لا تستطيع أن تنصرهم".

**المفارقة العجيبة: الجند المحضرون

هذه المفارقة تظهر انقلاب الفطرة و انتكاس العقول .فالجند عادة هم من ينصرون القائد ويحمونه . ولكن هنا، الأمر معكوس: الآلهة هي "القائد" العاجز، والمشركون هم "الجند" الذين يحمونها .فمن ينصر من؟ إنهم ينصرون أصناماً لا تضر ولا تنفع! قال قتادة: "وهم لها جند محضرون، أي يغضبون لها".

لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب النفي "لا يستطيعون": نفي قاطع لقدرة الآلهة على النصرة.
· الالتفات في الضمائر: "هم" الأولى للآلهة، "وهم" الثانية للمشركين .وهذا الالتفات يزيد المعنى وضوحاً وتوكيداً.
· الوصف "جند محضرون": فيه تهكم وسخرية من حالهم .فالجند المحضرون هم المستعدون للدفاع، ولكنهم هنا يدافعون عن أحجار لا تحس!

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في كشف زيف الآلهة الباطلة: تفضح هذه الآية حقيقة كل ما يعبد من دون الله .إنهم عاجزون عن النصرة، بل عابدوهم هم من ينصرونهم.
· رسالة في التحرر من الوهم: تدعونا الآية إلى أن نحرر عقولنا من الأوهام، وألا ننخدع بالمظاهر . فكم من شيء نعظمه ونحسبه ينفعنا، وهو في الحقيقة لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية للتفكر في أن من يحتاج إلى من يحميه ويدافع عنه، لا يمكن أن يكون إلهاً .فالإله الحق هو الغني القوي الذي لا يحتاج إلى أحد.

مثال تقريبي على الجند المحضرين:

تخيل مجموعة من الناس يعبدون شجرة عظيمة، ويقدمون لها القرابين .وعندما يأتي حطاب ليقطع الشجرة، يهب هؤلاء الناس بسيوفهم ورماحهم ليدافعوا عن الشجرة، ويطردوا الحطاب .الشجرة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها، وهم جندها الذين يدافعون عنها! هذا هو حال عباد الأصنام .هم جند محضرون للدفاع عن آلهتهم العاجزة.
ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ الآية(76

بعد أن كشف حقيقة آلهتهم وعجزهم، يأتي النداء الإلهي العظيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو نداء لكل داعية وكل مؤمن: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾.

**لماذا نهى الله نبيه عن الحزن؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحزن أشد الحزن على تكذيب قومه له، وعلى إعراضهم عن دعوته، وعلى شركهم بالله .فجاء هذا النهي الإلهي ليطمئنه ويسليه .النهي عن الحزن هنا ليس معناه أن لا يشعر بالأسى، فالأنبياء أرق الناس قلوباً، ولكن معناه: لا تحمل همّهم، ولا تجعل حزنك عليهم يمنعك من الاستمرار في دعوتك.

**لماذا علل النهي عن الحزن بعلم الله بما يسرون وما يعلنون؟

هذا التعليل في غاية الدقة والبلاغة: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .أي أن الله عليم بكل ما يقولونه في العلن) من تكذيب واستهزاء(، وبكل ما يخفونه في السر) من كيد ومكر وحقد .(وهذا العلم الإلهي المحيط يحقق عدة معان:

1.الجزاء العادل: الله سيجازيهم على ما يسرون وما يعلنون .فلا يضيع عنده شيء.
2.الحماية الإلهية: الله يعلم كيدهم الخفي، وسيحفظ نبيه من شرورهم.
3.التسلية والتثبيت: علم الله بأقوالهم فيه كفاية .فالنبي ليس بحاجة إلى أن يحزن أو يغضب، لأن الله يعلم ويكفي.

لمسات بيانية وبلاغية

· الفاء في "فلا": للتفريع على ما سبق .فبعد أن تبين عجز آلهتهم وتناقضهم، لا داعي للحزن عليهم.
· النهي "لا يحزنك": نهي رقيق، فيه تطييب لخاطر النبي صلى الله عليه وسلم.
· التوكيد بـ "إنا": لتأكيد علم الله وإحاطته بكل شيء.
· المقابلة بين "يسرون" و"يعلنون": لبيان شمول العلم الإلهي للظاهر والباطن، والسر والعلن.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تسلية للداعية: تريح هذه الآية قلب كل داعية ومصلح .فإذا قال الناس ما قالوا، وفعلوا ما فعلوا، فعلم الله كافٍ .فلا تحزن، ولا تيأس، فوكل أمرهم إلى الله العليم.
· رسالة في الرقابة الإلهية: تذكرنا الآية بأن الله يعلم ما نسر وما نعلن .فهي تزرع في القلب الحياء من الله، و الخوف من علمه المحيط.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى أن نطمئن إلى أن العدالة الإلهية ستتحقق .فالله عليم بكل شيء، ولن يفلت الظالم من عقابه.

مثال تقريبي على التسلية بعلم الله:

تخيل أن موظفاً مخلصاً في عمله، تعرض لحملة ظلم وافتراء من زملائه، ووصلت هذه الافتراءات إلى المدير .الموظف يحزن ويتألم .ثم يأتيه المدير ويقول له: "لا تحزن، أنا أعلم أنهم كاذبون .لقد راجعت الكاميرات والتقارير، وأنا أعلم حقيقة ما يفعلونه ويقولونه .اطمئن، سأنصفك" .هذا الكلام يريح الموظف ويزيل همه .فكيف إذا كان القائل هو الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية؟!
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نتبرأ من الشرك والتعلق بغير الله: يريد منا أن نعبد الله وحده، وألا نتخذ من دونه آلهة نرجو نصرها.
2.أن نوقن بأن النصر من الله وحده: يريد منا أن نثق بأن الله هو الناصر والمعين، وأن كل ما سواه عاجز.
3.أن لا نحزن على أقوال المبطلين وأفعالهم: يريد منا أن نطمئن إلى علم الله، وأن نوكل أمر من آذانا إليه.
4.أن نستشعر علم الله المحيط بنا: يريد منا أن نراقب أقوالنا وأفعالنا الظاهرة والباطنة، خوفاً من الله الذي يعلم السر وأخفى.
الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات:

· سؤال التعلق بغير الله: هل هناك "آلهة" أخرى في حياتي أتعلق بها وأرجو نصرها غير الله؟ هل أتعلق بالمال، أو الجاه، أو الأشخاص، ظناً منهم أنهم ينصرونني ويغنونني؟
· سؤال الدفاع عن الباطل: هل أنا "جندي محضر" للدفاع عن باطل أو عادة أو فكرة خاطئة، بينما هي لا تنفعني ولا تضرني؟
· سؤال الحزن على أقوال الناس: هل أحزن كثيراً وأتألم لما يقوله الناس فيّ، وأنسى أن الله يعلم حقيقة أمري؟ هل أثق في أن الله سينصفني ويكفيني؟

· سؤال استشعار علم الله: هل أستشعر أن الله يعلم ما أسر وما أعلن؟ هل يرتدع لساني عن الغيبة، وقلبي عن الحقد، وعقلي عن التفكير في الشر، لعلمي بأن الله مطلع على كل شيء؟
الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التحرر من آلهة الوهم":
· في العقيدة: لا تعبد إلا الله .لا تذبح إلا لله، ولا تدعو إلا الله، ولا تستغث إلا بالله.
· في الحياة: لا تجعل المال أو المنصب أو شخصاً معيناً "إلهاً" تتعلق به قلبك .تعلق بالله وحده.
· تمرين عملي: إذا شعرت بتعلق قلبك بشيء أو شخص، فقل: "اللهم إني أسألك أن ترزقني حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك".
· مفهوم "التسلية بعلم الله" كعلاج للحزن:
· إذا اغتابك أحد أو ظلمك، فلا تحمل هماً .قل: "حسبي الله ونعم الوكيل .الله يعلم حقيقة أمري".
· قاعدة ذهبية: "من عرف أن الله يعلم سره وعلانيته، لم يحزن على قول الناس فيه".
· مفهوم "الرقابة الذاتية النابعة من علم الله":
· راقب خواطرك ونواياك .فالله يعلم ما توسوس به نفسك.
· تطبيق: قبل أن تتكلم، اسأل نفسك: "هل يرضى الله عن هذا القول؟ هل يسعدني أن يطلع الله عليه؟".
الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات إلى واقع في حياتنا:

.1في العقيدة والتوكل:
· ردد دائماً: "يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".
· إذا حزبك أمر، فصل ركعتين وادع الله، ولا تذهب أولا ً إلى المخلوقين.
.2في التعامل مع الناس:
· إذا سمعت كلاماً سيئاً عنك، فلا ترد عليه بمثله .قل: "اللهم اغفر لمن ظلمني، واهد قلبه، واكفني شره".
· لا تكن "جندياً" في معارك لا فائدة منها على وسائل التواصل .استثمر وقتك فيما ينفع.
.3في تربية النفس على الإخلاص:
· اعمل أعمالا ً صالحة في السر، لا يعلم بها إلا الله .فهذا يقوي فيك استشعار علم الله.
· داوم على قول: "اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة".
الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة التوحيد الخالص ونبذ الشرك.
· قيمة اليقين بأن النصر من الله وحده.
· قيمة التحرر من التعلق بالأوهام والآلهة الباطلة.
· قيمة استشعار علم الله المحيط بالسر والعلن.
· قيمة عدم الحزن على أقوال المبطلين والثقة في عدالة الله.
· قيمة التسليم لله والتفويض إليه.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الآيات تضع أسساً حضارية مهمة:

· حضارة قائمة على التوحيد المطلق: الحضارة الإسلامية تنهى عن تأليه أي مخلوق أو فكرة أو نظام . الله وحده هو الحاكم والمشرع .وهذا يحرر الإنسان من عبودية البشر والأهواء.
· حضارة قوية بالتوكل على الله: مجتمع يؤمن بأن النصر من عند الله وحده، لا يخاف من قوى الباطل، ولا يخضع إلا لله .وهذا يمنحه عزة ومنعة.
· حضارة تسودها الطمأنينة النفسية: عندما يعلم أفراد المجتمع أن الله يعلم سرهم وعلنهم، وأنه سينصف المظلوم، فإن ذلك ينشر الطمأنينة والعدالة في المجتمع.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هذه الآيات، لقد أراك الله فيها حقيقة الألوهية، وكشف

لك زيف كل ما يعبد من دونه .لقد أسمعك صوت المشركين وهم يرجون النصر من أحجار لا تسمع و لا تبصر .وطمأن نبيه وكل داعية بأن أقوالهم لا ينبغي أن تحزنه، لأن الله يعلم السر والعلن.

فلا تتعلق بغير الله .لا تجعل من المال أو الجاه أو الأشخاص آلهة ترجو نصرتها .تعلق بالله الحي الذي لا يموت، القوي الذي لا يضعف، الناصر الذي لا يغلب.

وإذا قال الناس فيك ما قالوا، فلا تحزن .ارفع رأسك إلى السماء، وقل: "إلهي، أنت تعلم سري وعلني، فاكفني شرهم، واهدني سواء السبيل" .وثق بأن الله معك، وهو حسبك ونعم الوكيل.

رابعا

أيها القارئ الكريم، ها نحن نستكمل رحلتنا الإيمانية في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن وقفنا على مشاهد المشركين وهم يتخذون آلهة من دون الله يرجون نصرها، ويكشف القرآن عجزهم وعجز آلهتهم، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى مشهد آخر، مشهد الغفلة عن الأصل و الغرور بـ القوة و الجدل بالباطل .إنه مشهد الإنسان الذي ينسى خلقه الأول، فيستبعد قدرة الله على إعادته بعد الموت.

يقول الله تعالى وهو يصور لنا هذا النموذج من البشر:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ يس:(77)
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ يس:(78)
إن هاتين الآيتين الكريمتين ليستا مجرد قصة عن إنسان جاهل، بل هما "مرآة صادقة" تعكس حال كل من يغتر بقوته وينسى ضعف أصله، وكل من يجحد قدرة الله على البعث وهو يرى بدء خلقه . إنهما تدعواننا إلى التفكر في الأصل، و التواضع لله، و اليقين بقدرته المطلقة .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستلهم منهما كيف نتعامل مع أنفسنا ومع خالقنا بصدق وإيمان.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

1.إدراك ضعف الأصل البشري: أن تتذكر أن أصلك من نطفة مهينة، فلا تغتر بقوتك ولا تتكبر على خالقك.
2.فهم خطورة نسيان الخلق الأول: أن تتعلم كيف أن نسيان الإنسان لأصله الضعيف يجعله يجحد قدرة الله على البعث.
3.الرد على شبهة إنكار البعث بالحجة العقلية: أن تدرك أن الإقرار بالخلق الأول يوجب الإقرار بالبعث، فمن خلق من نطفة قادر على إحياء العظام وهي رميم.
4.التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتتواضع لله، وتوقن بقدرته على البعث، وتستعد لهذا اليوم العظيم.

تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ الآية(77

هذه الآية تقرع قلب الإنسان الغافل، وتذكره بأصله المهين، وتستنكر حاله بعد أن صار "خصيماً مبيناً" يجادل في الحق ويخاصم فيه.

دلالة خلق الإنسان من نطفة

"النطفة" هي الماء المهين، القليل، الذي لا قيمة له .والله تعالى يذكر الإنسان بهذا الأصل ليبين له حقيقة ضعفه، و مدى فضل الله عليه .فمن هذا الأصل الحقير، خلقه الله فسواه، وجعله إنساناً سميعاً بصيراً، ذا عقل وقوة .قال تعالى في موضع آخر: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ المرسلات:.(20
فالاستفهام ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ استفهام تقريري وتوبيخي: كيف ينسى الإنسان هذا الأصل، ثم يتطاول على خالقه بالجدال والخصام؟!

تحول الإنسان من نطفة إلى "خصيم مبين"

"خصيم" أي شديد الخصومة والجدال، كثير المخاصمة ."مبين" أي واضح الخصومة، أو مبين للحجة في زعمه .وهنا المفارقة العجيبة: هذا الإنسان الذي كان نطفة لا قيمة لها، صار بقدرة الله إنساناً كامل العقل والقوة، ولكنه بدلا ً من أن يشكر خالقه، يستخدم هذه القوة والعقل في جدال الله وإنكار

قدرته على البعث!
إنه مشهد يدل على الغرور و الكفران بالنعمة .فالذي أعطاه القدرة على الجدال هو الله، فكيف يستخدم هذه النعمة في محاربة المنعم؟!

لمسات بيانية وبلاغية

· الاستفهام "أولم ير": استفهام إنكاري توبيخي، أي: كيف لم ير ويعتبر؟ والرؤية هنا رؤية القلب و العقل، وليست رؤية البصر فقط.
· التعبير بـ "فإذا هو": "إذا" الفجائية تدل على سرعة التحول والانتقال من حال الضعف) النطفة (إلى حال القوة والخصومة) الخصيم المبين .(فكأنه في لحظة من الزمن تحول من هذا إلى هذا.
· الوصف "خصيم مبين": وصف ذم، يبين تناقض حاله، فمن كان أصله نطفة ميتة، كيف يصير خصيماً قوياً؟! إنها قدرة الله التي جعلته كذلك، ولكنه نسيها.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في التواضع: تذكر هذه الآية الإنسان بأصله، ليكسر كبرياءه وغروره .فمن كان أصله نطفة، فعلام التكبر؟! قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الكبر بطر الحق وغمط الناس".
· رسالة في تذكير النعمة: تعلمنا الآية أن نتفكر في أصل خلقنا، لنزداد شكراً لله الذي أخرجنا من العدم إلى الوجود، ومن الضعف إلى القوة.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى استخدام العقل في التفكر في الخلق الأول، للوصول إلى الإيمان بـ الخلق الثاني) البعث .(فالاستدلال بالبدء على الإعادة هو من أقوى الأدلة العقلية.

مثال تقريبي على نسيان الأصل والغرور:

تخيل رجلاً فقيراً معدماً، كان يعيش على الصدقات .ثم رزقه الله مالاً وجاهاً، وأصبح من كبار الأغنياء .وبعد أن تمكن، بدأ يتطاول على من كانوا يساعدونه، ويجادلهم وينكر فضلهم عليه .هذا هو حال الإنسان مع ربه .كان عدماً، فخلقه الله .كان نطفة مهينة، فسواه رجلاً .ثم إذا به يتطاول على خالقه بالجدال والخصام، وينكر قدرته على البعث! أليس هذا منتهى الجحود والغرور؟
ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ الآية(78)

بعد أن بين أصل الإنسان، يذكر قصة هذا الإنسان الجاحد، الذي ضرب مثلاً لله، ونسي خلقه.

**قصة ضرب المثل ونسيان الخلق

سبب نزول هذه الآية ما روي عن أبي بن خلف أو العاص بن وائل، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم) بال متفتت(، ففته بيده ونفخه في الهواء، وقال مستهزئاً: "يا محمد، أتزعم أن الله يحيي هذا بعد ما رم؟!" .فرد الله عليه بهذه الآية.

· وضرب لنا مثلاً: أي جعل لله مثلاً، وشبهه بخلقه، واستبعد قدرته على إحياء الموتى .وهذا فيه إساءة أدب مع الله.
· ونسي خلقه: أي نسي أن الله خلقه من نطفة، وجعله بشراً سوياً .ولو تذكر خلقه الأول، لعلم أن الذي خلقه من العدم قادر على إعادته بعد الموت ."ونسي خلقه" هي العلة الرئيسية لمشكلته .النسيان هنا ليس نسياناً حقيقياً، بل هو تجاهل وإعراض.

**دلالة الآية على إثبات البعث بالخلق الأول

الآية تقدم دليلاً عقلياً باهراً على البعث: الخلق الأول دليل على الخلق الثاني .فالإنسان يعترف بأن الله خلقه أول مرة من نطفة .فإذا كان قادراً على الخلق من هذا الأصل الضعيف، فلماذا يستبعد إعادته بعد الموت؟ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم: .(27 الإعادة أهون وأيسر على الله من البدء، وكلاهما هين عليه.

لمسات بيانية وبلاغية

· العطف بـ "الواو" في "ونسي خلقه": الواو للحال، أي ضرب المثل وهو في حال نسيان خلقه .وهذا يصور لنا حالته النفسية لحظة الجحود.

· الاستفهام "من يحيي": استفهام إنكاري استبعادي، يدل على شدة جحوده واستبعاده للبعث.
· وصف العظام بـ "رميم": "رميم" صفة للعظام البالية المتفتتة .وهو وصف دقيق، يزيد من استبعادهم للإحياء .ولكن الله قادر على إحيائها، بل وإعادتها كما كانت، بل وإعادة بصمات الأصابع كما كانت! قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ القيامة:.(4

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في خطورة الاستهزاء بآيات الله: تحذرنا الآية من الاستهزاء بالبعث وبقدرة الله .فهذا دليل على موت القلب وفساد العقل.
· رسالة في قوة الحجة العقلية: تعلمنا الآية كيف نرد على منكري البعث بالحجة العقلية البسيطة: الخلق الأول دليل على الخلق الثاني.
· رسالة في التذكير بالنعم: تذكرنا الآية بأصل خلقنا، لندرك عظمة الله وقدرته، فلا نقع في الجحود و النسيان.

مثال تقريبي على الخلق الأول دليل الخلق الثاني:

تخيل مهندساً عبقرياً، صنع جهازاً معقداً جداً من مواد أولية بسيطة .ثم بعد سنوات، تعطل الجهاز وتحطم .فجاءه شخص وقال: "هل تستطيع أن تعيد صنع هذا الجهاز مرة أخرى؟" .فرد عليه المهندس بثقة: "بالتأكيد! أنا الذي صنعته أول مرة من العدم، فكيف لا أستطيع إعادته؟!" .هذا هو منطق العقل . فكيف بالله الخالق العظيم، الذي خلق الإنسان من نطفة، أيقال: إنه لا يقدر على إعادته بعد الموت؟!
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نتذكر أصلنا الضعيف: يريد منا أن نتفكر في خلقنا من نطفة، لنتواضع له ونترك الكبر.
2.أن نوقن بقدرته على البعث: يريد منا أن نستدل بالخلق الأول على الخلق الثاني، ونؤمن باليوم الآخر.
3.أن نحذر من الجدال بالباطل والاستهزاء بآيات الله: يريد منا أن نكون مؤمنين مصدقين، لا جاحدين مستهزئين.
4.أن نشكر الله على نعمة الخلق والتسوية: يريد منا أن نستخدم عقولنا وقوتنا في طاعته، لا في معصيته وجحوده.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال التواضع: هل أتذكر أن أصلي من نطفة مهينة، ونهايتي إلى تراب؟ هل هذا التذكر يجعلني متواضعاً لله ولخلقه؟ أم أني ممن يغترون بقوتهم وصحتهم وعلمهم وينسون أصلهم؟
· سؤال الإيمان بالبعث: هل أنا مؤمن حقاً بأن الله سيبعثني بعد الموت ويحاسبني؟ هل هذا الإيمان يظهر في أفعالي واستعدادي لذلك اليوم؟
· سؤال الجدال بالباطل: هل سبق لي أن جادلت في حق من حقوق الله، أو استهزأت بشيء من دينه ، ناسياً فضله عليّ؟
· سؤال شكر النعمة: هل أشكر الله على نعمة خلقي في أحسن تقويم؟ هل أستخدم نعمة العقل و المنطق في طاعته، أم في محاربته وجحوده؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "التفكر في الخلق الأول" لتعزيز الإيمان:
· تمرين تأملي: تأمل في مراحل خلق الإنسان: من نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام، إلى إنسان كامل .هذا التأمل يزيدك إيماناً بقدرة الله.
· تطبيق: إذا رأيت جنيناً في بطن أمه عبر السونار، فسبح الله الذي خلقه في أحسن تقويم.
· مفهوم "التواضع لله وللناس":

· تذكر: كلما شعرت بالكبر والعجب، تذكر أصلك) من نطفة (ونهايتك) إلى تراب .(قل لنفسك: "ما لي وللكبر؟! أصلي نطفة، ونهايتي جيفة، وبينهما أحمل العذرة".
· قاعدة ذهبية: "من عرف نفسه، عرف ربه، وتواضع لخلقه".
· مفهوم "الاستدلال العقلي على الإيمان":
· استخدم عقلك في التفكر في آيات الله .لا تكن مؤمناً بالتقليد فقط، بل بالإقناع العقلي .فالقرآن مليء بالأدلة العقلية.
· تطبيق: إذا سألك أحدهم: "كيف يحيي الله العظام وهي رميم؟"، فقل له: "الذي خلقها أول مرة من نطفة، قادر على إعادتها".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:

.1في تربية النفس على التواضع:
· قف أمام المرآة، وانظر إلى نفسك، وقل: "سبحان الذي خلقني من نطفة، وجعلني بشراً سوياً . الحمد لله الذي فضلني على كثير من خلقه".
· إذا رأيت أحداً أقل منك في شيء، فلا تتعالى عليه .تذكر أنكما من أصل واحد.
.2في تقوية الإيمان بالبعث:
· اقرأ آيات البعث في القرآن بتدبر .تأمل في قدرة الله على إحياء الأرض بعد موتها، وقس على ذلك إحياءك بعد موتك.
· زر المقابر، وتأمل في حال أهلها، واسأل نفسك: "هل سيحيي الله هذه العظام؟ نعم، إنه على كل شيء قدير".
.3في الرد على الشبهات:
· إذا سمعت أحداً يشكك في البعث، فلا تنفعل .اشرح له بهدوء: "إذا كنت تعترف بأن الله خلقك من نطفة، فلماذا تستبعد أن يعيد خلقك بعد الموت؟".

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين

· قيمة التواضع ومعرفة الأصل والنهاية.
· قيمة التفكر في الخلق الأول للاستدلال به على البعث.
· قيمة التحذير من الكبر والغرور.
· قيمة استخدام العقل في الوصول إلى الحقائق الإيمانية.
· قيمة خطورة الاستهزاء بآيات الله.
· قيمة شكر الله على نعمة الخلق والتسوية.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيتين

هذه الآيات تضع أسساً حضارية مهمة:

· حضارة قائمة على العلم والمعرفة: الحضارة الإسلامية تشجع على التفكر في أصل الإنسان وخلقه، مما يفتح أبواب العلوم الطبية والبيولوجية.
· حضارة متواضعة غير متكبرة: مجتمع يعلم أفراده أنهم من أصل مهين، لا يمكن أن تسوده روح الكبر والاستعلاء على الآخرين .وهذا يبني مجتمعاً متماسكاً متحاباً.
· حضارة قوية باليقين: الإيمان الراسخ بالبعث واليوم الآخر يمنح الحضارة الإسلامية بعداً أخلاقياً وقوة دافعة للعمل والإنتاج، فكل عمل سيجزى عليه في الآخرة.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتَ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد أراك الله أصلك المهين، وكيف تحولت بقدرته إلى إنسان قوي عاقل .وأسمعك صوت الجاحد المستهزئ الذي نسي هذا الأصل، فجحد قدرة الله على البعث.

فأين أنت من هذا؟

لا تكن من الغافلين الذين ينسون خلقهم، فيجحدون قدرة ربهم .كن من الذاكرين الشاكرين .تذكر أنك من نطفة، وأنك إلى تراب، وبينهما أنت عبد لله .فتواضع لربك، واشكره على نعمه، واستخدم قوتك

وعقلك في طاعته.

وآمن بالبعث حق الإيمان .أيقن أن الذي خلقك من نطفة، قادر على أن يحيي العظام وهي رميم . واستعد لذلك اليوم بالعمل الصالح .ولا تكن ممن يضربون لله الأمثال، وينسون خلقه، فيكونوا من الخاسرين

خامسا.

أيها القارئ الكريم، ها نحن نقترب خطوة أخيرة من ختام هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .بعد أن استمعنا إلى استبعاد الكافرين للبعث، وسؤالهم المستهزئ: ﴿مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، يأتي الرد الإلهي الحاسم، الرد الذي يقطع كل شك، ويدحض كل باطل، ويقيم الحجة على كل جاحد .إنه رد يجمع بين الحجة العقلية الدامغة، والدليل الحسي الملموس، والإعلان عن كمال العلم والقدرة الإلهية.

يقول الله تعالى آمراً نبيه أن يجيبهم بهذا الجواب القاطع:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنشَأَهَا أَوّلَ مَرّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس:(79)
﴿الذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يس:(80)

إن هاتين الآيتين الكريمتين هما "صفعة الحق" على وجه الباطل، و"درس الإيمان" الذي يجب أن يستقر في كل قلب .إنهما تعيدان الإنسان إلى بداية خلقه، وتلفتان نظره إلى ما بين يديه من آيات القدرة في الكون، ليعلم أن الله على كل شيء قدير .دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستلهم منهما اليقين الجازم بقدرة الله، والثقة المطلقة في وعده.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

1.اليقين الجازم بقدرة الله على البعث: أن تستقر في قلبك حقيقة أن الله قادر على إحياء الموتى، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
2.إدراك قوة الحجة العقلية والحسية: أن تتعلم كيف ترد على منكري البعث بالحجة العقلية) الخلق ا لأول (والحسية) إخراج النار من الشجر الأخضر.(
3.استشعار سعة علم الله المحيط بكل شيء: أن توقن بأن الله عليم بكل خلق، وبكل تفاصيل المخلوقات، فلا يخفى عليه شيء.
4.التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فيزداد إيمانك باليوم الآخر، وتستعد له بالعمل الصالح، وتكون داعياً إلى الله بهذه الحجج الباهرة.
تفسير الآيتين وتحليل دلالاتهما

أولا ً: قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنشَأَهَا أَوّلَ مَرّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ الآية(79

هذا هو الرد الإلهي المباشر على سؤال المستهزئ: ﴿مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ .إنه رد يحمل في طياته حجة عقلية بليغة لا يستطيع العقل السليم إلا أن يخضع لها.

**تحليل الحجة العقلية: "يحييها الذي أنشأها أول مرة"

هذه الجملة هي عصارة الحجة العقلية على البعث .إنها تقوم على مبدأ بسيط ومنطقي: الإعادة أهون من البدء.

· الذي أنشأها أول مرة: أي الذي خلق هذه العظام وغيرها من مادة العدم، وأوجدها من لا شيء .هذه هي قمة القدرة .فالخلق من العدم أعظم وأدل على القدرة من الإعادة بعد الفناء.
· يحييها: أي يعيدها كما كانت، بل ويعيد الإنسان كاملا ً .فإذا كان الله قادراً على الإنشاء الأول، فهو حتماً قادر على الإعادة .وهذا ما أكده القرآن في مواضع كثيرة: ﴿وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم: .(27 "أهون" أي أيسر وأسهل في قياس البشر، وإلا فكل شيء على الله هين.

**لماذا أضاف: "وهو بكل خلق عليم"؟

هذه الإضافة تزيد الحجة قوة وإحكاماً .فالله ليس فقط قادراً على الإعادة، بل هو عليم بكل

تفاصيل الخلق .فهو يعلم:

· أجزاء العظام المتناثرة: أين ذهبت؟ وكيف تفرقت؟ فهو عليم بكل ذرة منها.
· كيفية جمعها وإعادتها: فهو العليم بأسرار الخلق وتركيبه.
فعلمه المحيط يضمن أن الإعادة ستكون دقيقة كاملة، لا نقص فيها ولا خلل .قال ابن كثير: "أي وهو عليم بالخلق، يعلم كيف يبدؤه وكيف يعيده، لا يخفى عليه شيء".

لمسات بيانية وبلاغية

· الأمر "قل": أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بهذا الجواب القاطع .وفيه إيذان بأن هذا هو الحق الذي لا مرية فيه.
· الفعل المضارع "يحييها": يدل على التجدد والاستمرار في قدرة الله .فالإحياء والإماتة فعلان مستمران لله.
· الربط بين "أنشأها" و"يحييها": الربط بين الفعلين الماضي والمضارع يوضح العلاقة السببية المنطقية: لأنه أنشأها أول مرة، فهو يحييها.
· التذييل بـ "وهو بكل خلق عليم": جملة اسمية مؤكدة، تفيد الثبات والدوام .فـالله متصف دائماً بهذا العلم المحيط.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة يقين وطمأنينة: تملأ هذه الآية قلب المؤمن يقيناً جازماً بقدرة الله على البعث، فلا شك ولا ريب.
· رسالة في استخدام العقل: تعلمنا الآية أن نستخدم عقولنا في الاستدلال على الحقائق الإيمانية .فـ التفكر في الخلق الأول يوصلنا إلى الإيمان بالخلق الثاني.
· رسالة في الرد على الشبهات: تقدم لنا الآية نموذجاً للرد العلمي المنطقي على شبهات الملحدين ومنكري البعث.

مثال تقريبي على الإعادة من البدء:

تخيل أن لديك مصنعاً ضخماً، وأنت صاحبه ومهندسه .قمت ببناء هذا المصنع من الصفر، وجلبت المواد الخام، وركبت الآلات المعقدة .ثم بعد سنوات، حدث انفجار هائل دمر المصنع بالكامل، وتناثرت أجزاؤه .ثم سألك سائل: "هل تستطيع إعادة بناء هذا المصنع؟" .ستقول له بكل ثقة: "بالطبع! أنا الذي بنيته أول مرة، وأنا أعلم كل تفاصيله ومكوناته، فكيف لا أستطيع إعادته؟!" .هذا هو معنى قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾) الآية(80

بعد أن قدم الحجة العقلية، ينتقل القرآن إلى الحجة الحسية التي يراها الناس بأعينهم، ويلمسونها بأيديهم كل يوم .إنها آية إخراج النار من الشجر الأخضر.

**تحليل الآية الحسية: إخراج النار من الشجر الأخضر

هذه الآية تشير إلى حقيقة مادية ملموسة عند العرب، وهي أنهم كانوا يأخذون عودين من شجر المرخ والعفار) وهما شجران أخضران(، ويحكون أحدهما بالآخر، فتخرج منهما النار) بطريقة القدح .(فهذا مشهد عجيب: شجر أخضر مليء بالماء والرطوبة، يخرج منه النار التي هي ضد الماء!.

· من الشجر الأخضر: أي الذي هو في غاية الخضرة والرطوبة، والماء فيه كثير .والماء والنار ضدان لا يجتمعان.
· ناراً: تخرج من بين هذين العودين الأخضرين.
· فإذا أنتم منه توقدون: فإذا بكم تشعلون النار وتوقدونها للطبخ والاستدفاء.

**ما وجه الدلالة من هذه الآية على البعث؟

وجه الدلالة بليغ جداً: إذا كان الله قادراً على إخراج الضد من الضد) النار من الماء الرطب(، فهو قادر على إخراج الحي من الميت) الإنسان الحي من العظام الرميم .(فالقادر على الجمع بين المتناقضين في الشيء الواحد، قادر على كل شيء .قال ابن كثير: "أي الذي جعل لكم من الشجر الأخضر الرطب

ناراً توقدونها، هو الذي يحيي العظام وهي رميم".

لمسات بيانية وبلاغية

· الموصول "الذي": عطف بيان على "الذي أنشأها"، أو خبر لمبتدأ محذوف: "هو الذي" .لزيادة تقرير صفة القدرة لله.
· التعبير بـ "جعل لكم": فيه إشارة إلى أن هذه النار نعمة من الله مسخرة للإنسان، وتستوجب الشكر.
· التعبير بـ "الشجر الأخضر": وصف الشجر بالخضرة التي هي رمز الماء والحياة، لتأكيد عظمة إخراج النار منه.
· "فإذا" الفجائية: تدل على سهولة وسرعة إخراج النار من الشجر .فبمجرد القدح البسيط، تخرج النار.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة في تقريب الدليل إلى الأذهان: استخدم الله دليلا ً ماديا ً ملموسا ً يراه الناس كل يوم، ليكون أقرب إلى فهمهم وأبلغ في إقناعهم.
· رسالة في عظمة قدرة الله: إخراج النار من الشجر الأخضر دليل على أن قدرة الله لا يحدها شيء، ولا يحكمها قانون المادة الذي نعرفه .فهو فعال لما يريد.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى التأمل في هذه الظاهرة الطبيعية، وكيف أنها دليل على البعث .وهذا يحفز على البحث العلمي والتفكر في آيات الله.

**مثال تقريبي على إخراج النار من الشجر الأخضر:

تخيل أنك ترى برميلا ً مملوءا ً بالماء، وفجأة، يشتعل هذا البرميل نارا! هذا يخالف كل قوانين الطبيعة التي تعرفها .فالماء يطفئ النار، ولا يشعلها .ومع ذلك، حدث هذا أمام عينيك .هذا يجعلك تؤمن بأن هناك قوة خارقة تفعل ما تشاء .وكذلك إخراج النار من الشجر الأخضر المليء بالماء، هو دليل على قدرة الله الخارقة التي لا تخضع لقوانيننا .فإذا كان يفعل هذا كل يوم، فكيف تستبعدون أن يحيي الموتى؟!
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

يريد الله منا من خلال هاتين الآيتين أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نؤمن إيمانا ً جازما ً بقدرته على البعث: يريد منا أن نوقن بأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
2.أن نستخدم عقولنا في الاستدلال على الحقائق الإيمانية: يريد منا أن نتفكر في الخلق الأول، وفي الظواهر الكونية، لنصل إلى الإيمان.
3.أن نرد على شبهات المنكرين بالحجة والبرهان: يريد منا أن نكون على بصيرة من أمرنا، وقادرين على الدفاع عن عقيدتنا.
4.أن نستعد ليوم البعث بالعمل الصالح: يريد منا أن نترجم إيماننا بالبعث إلى عمل دؤوب للآخرة.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هاتين الآيتين:

· سؤال اليقين بالبعث: عندما أقرأ هذه الآيات، هل يزداد يقيني بقدرة الله على بعثي بعد الموت؟ هل أعيش حياتي وكأني موقن بأني سأقف بين يدي الله؟
· سؤال التفكر في الآيات: هل أتأمل في ظاهرة إخراج النار من الشجر الأخضر، وأستدل بها على قدرة الله؟ أم أني أمر على هذه الآيات مرورا ً سريعا ً دون تدبر؟
· سؤال الاستعداد للبعث: هل إيماني بالبعث يدفعني إلى العمل الصالح وترك المعاصي؟ أم أني أؤمن بـ البعث نظريا ً فقط، وأفعالي تناقض ذلك؟
· سؤال الرد على الشبهات: إذا سمعت أحدا ً يشكك في البعث، هل أستطيع أن أرد عليه بهذه الحجج العقلية والحسية التي علمني إياها القرآن؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيتين

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "الاستدلال بالأنفس والآفاق" كمنهج إيماني:
· في الأنفس: التفكر في خلق الإنسان من نطفة.
· في الآفاق: التفكر في ظاهرة إخراج النار من الشجر الأخضر.
· تمرين عملي: كلما رأيت ناراً توقد، تذكر هذه الآية، وقل: "سبحان الذي جعل لنا من الشجر الأخضر ناراً، وهو القادر على إحياء الموتى".
· مفهوم "العلم الإلهي المحيط" كطمأنينة للقلب:
· ثق بأن الله عليم بكل شيء، حتى بذرات عظامك المتناثرة .هذا العلم هو ضمان العدالة والدقة في البعث والحساب.
· قاعدة ذهبية: "ما من شيء إلا عند الله خزائنه، وهو بكل شيء عليم".
· مفهوم "الحوار بالحجة والبرهان" في الدعوة:
· عندما تدعو إلى الله، استخدم الحجج العقلية والحسية التي تناسب عقول المخاطبين .لا تكتفِ بـ الوعظ العاطفي فقط.
· تطبيق: إذا تحدثت مع شخص ينكر البعث، فقل له: "ألست تعترف بأن الله خلقك من نطفة؟ فكيف تنكر قدرته على إعادتك؟ ألا ترى كيف يخرج النار من الشجر الأخضر المليء بالماء؟".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيتين إلى واقع في حياتنا:

.1في تعزيز الإيمان:
· اقرأ بتدبر الآيات التي تتحدث عن البعث وأدلته.
· قم بزيارة إلى الطبيعة، وتأمل في الشجر الأخضر، وتذكر كيف يخرج الله منه النار.
.2في تربية الأبناء:
· اسأل ابنك: "هل تعلم أن الله يخرج النار من الشجر الأخضر؟ كيف؟" .ثم اشرح له هذه الآية بطريقة مبسطة، واربطها بقدرة الله على البعث.
· قم بتجربة بسيطة: أحضر قطعة خشب خضراء، وحاول إشعالها) بمساعدة شخص كبير(، ليرى الطفل كيف أن النار تخرج من الشيء الرطب.
.3في الدعوة والرد على الشبهات:
· احفظ هاتين الآيتين وتدبر معناهما، لتكون جاهزاً للرد على أي شبهة حول البعث.
· شارك هذه المعاني مع أصدقائك وزملائك، لتثبيت الإيمان في قلوبهم.

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيتين

· قيمة اليقين بقدرة الله المطلقة.
· قيمة الاستدلال العقلي والحسي على الإيمان.
· قيمة التفكر في آيات الله في الأنفس والآفاق.
· قيمة العلم الإلهي المحيط.
· قيمة الاستعداد للبعث بالعمل الصالح.
· قيمة الحوار بالحجة والبرهان.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيتين

هذه الآيات تضع أسساً حضارية مهمة:

· حضارة قائمة على العلم واليقين: الحضارة الإسلامية لا تقوم على الخرافة، بل على العلم واليقين وا لأدلة العقلية والحسية.
· حضارة مشجعة على البحث والتأمل: الدعوة إلى التفكر في خلق الإنسان وفي ظاهرة إخراج النار من الشجر، هي دعوة مفتوحة للبحث العلمي في مجالات الطب) علم الأجنة (والفيزياء والكيمياء)طاقة النار.(
· حضارة قادرة على مواجهة التحديات الفكرية: المجتمع الذي يربي أبناءه على الحجة والبرهان، هو مجتمع قادر على مواجهة التيارات الإلحادية والفكرية المنحرفة.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من أنصتّ وتدبرت معنا هاتين الآيتين، لقد أسمعك الله فيهما الرد القاطع على كل من استبعد البعث .لقد أعادك إلى أصلك) النطفة(، وأراك آية من آياته في الكون) النار من الشجر الأخضر(، ليزيل من قلبك كل شك، ويملأه يقيناً بقدرته.

فلا تشك أبداً في أن الله قادر على أن يحيي العظام وهي رميم .فالذي أنشأك أول مرة، والذي يخرج النار من الماء، لا يعجزه شيء.

فآمن بالبعث حق الإيمان .واجعل هذا الإيمان دافعاً لك للعمل الصالح .واستعد لذلك اليوم الذي ستقف فيه بين يدي الذي هو بكل خلق عليم .وكن على يقين بأن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور
سادسا.
أيها القارئ الكريم، ها نحن نصل إلى ختام هذه الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .لقد طوف بنا هذا القلب النابض في مشاهد الكون والنفس والتاريخ، وأرانا مصارع المكذبين ونعيم المؤمنين، وأسمعنا حجج المنكرين وردود الحق عليها، وها نحن الآن نقف على الخاتمة المهيبة، الخاتمة التي تجمع كل خيوط السورة، وتعيدنا إلى مطلعها، وتختم بأعظم ما يليق بجلال الله وكمال قدرته.

يقول الله تعالى في هذه الخواتم الباهرة:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يس: (81
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ يس:(82
﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس:(83

إن هذه الآيات الثلاث ليست مجرد ختام للسورة، بل هي "ذروة البيان" و "قمة البرهان" و "خلاصة العقيدة" .إنها تنتقل بالإنسان من ضيق الشك إلى سعة اليقين، ومن الجدل في الجزئيات إلى التسليم لله رب العالمين .إنها ترد على كل شبهة، وتجيب على كل سؤال، وتقرر حقيقة الألوهية والربوبية و الوحدانية .دعنا نعيش هذه الخواتم بخشوع، ونختم بها رحلتنا مع قلب القرآن.

مقاصد وأهداف هذا التفسير

في هذا المقطع، أريدك أن تصل معي إلى:

1.ترسيخ اليقين بقدرة الله المطلقة: أن توقن بأن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على كل شيء، ومنه إعادة خلق الإنسان.
2.فهم حقيقة الأمر الإلهي "كن فيكون": أن تستشعر عظمة كلمة الله، وأن تعلم أن قدرته لا تحتاج إلى أسباب أو زمن.
3.تسبيح الله وتنزيهه عن كل نقص: أن تختم تلاوتك وتدبرك بتسبيح الله الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه المرجع والمآب.
4.التطبيق العملي: أن تنزل هذه المعاني على واقعك، فتعيش حياتك وأنت تسبح الله، وتتوكل عليه، وتستعد للرجوع إليه.
تفسير الآيات وتحليل دلالاتها

أولا ً: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ الآية(81

بعد أن قدم الله الحجة على البعث بخلق الإنسان من نطفة، وبإخراج النار من الشجر الأخضر، ينتقل إلى الحجة الكبرى، الحجة التي لا يدانيها حجة: خلق السماوات والأرض.

**دلالة خلق السماوات والأرض على قدرة الله على البعث

هذا هو البرهان الأعظم: إذا كان الله قد خلق هذا الكون الهائل، السماوات العظيمة والأرض الواسعة، وما فيهما من عجائب الصنع وبديع الخلق، فكيف يعجز عن إعادة خلق الإنسان الضعيف الصغير؟!

· خلق السماوات والأرض: هذا أعظم وأكبر وأعقد من خلق الإنسان وإعادته .فمن قدر على الأعظم، فهو على ما دونه أقدر.
· بلى: كلمة جواب بليغة، تفيد الإثبات القاطع .أي: نعم، إنه لقادر .وهي ترد على استفهامهم الإنكاري بأسلوب قوي حاسم.

**لماذا ختم الآية بـ "وهو الخلاق العليم"؟

هذان الاسمان الجليلان لهما دلالة عميقة في هذا المقام:

· الخلاق: صيغة مبالغة من "خالق"، تدل على كثرة خلقه وتنوعه وإبداعه .فهو يخلق خلقاً بعد خلق، لا يعجزه شيء.
· العليم: المحيط بكل شيء علماً .فهو يعلم كيف يخلق، ويعلم تفاصيل كل مخلوق، ويعلم كيف يعيده كما كان.

لمسات بيانية وبلاغية

· الاستفهام التقريري "أوليس ... بقادر": الاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ .فالمشركون يعترفون بأن الله هو خالق السماوات والأرض، ومع ذلك يستبعدون قدرته على البعث! فجاء هذا الاستفهام ليبكتهم على هذا التناقض.
· دخول الباء على خبر "ليس": "بقادر" دخلت الباء لتأكيد النفي، ثم جاء الإثبات بـ "بلى" لتأكيد الإ ثبات .وهذا من قوة الأسلوب.
· الإتيان بـ "بلى" بعد الاستفهام: هي حرف جواب مختص بإبطال النفي .وهي هنا تقطع كل شك وتثبت القدرة.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة يقين مطلق: تملأ هذه الآية قلب المؤمن يقيناً لا يتزعزع بقدرة الله .فمن أيقن أن الله خالق السماوات والأرض، أيقن بكل ما سواها من قدرته.
· رسالة في قياس الأمور بمعايير القدرة الإلهية: تعلمنا الآية ألا نقيس قدرة الله بقدراتنا البشرية المحدودة .فما هو عظيم في أعيننا) كالسماوات والأرض (هو هين على الله.
· رسالة عقلية: تدعونا الآية إلى استخدام العقل في القياس المنطقي: إذا كان "أ" قادراً على "س")العظيم(، فهو قادر على "ص") الصغير (من باب أولى.

مثال تقريبي على الاستدلال بخلق السماوات والأرض على البعث:

تخيل أنك رأيت مهندساً بنى ناطحة سحاب شاهقة، بكل تفاصيلها المعقدة .ثم سألك سائل: "هل يستطيع هذا المهندس أن يبني كوخاً صغيراً؟" .ستقول له بدهشة: "بالتأكيد! هذا أمر بسيط جداً بـ النسبة لمن بنى هذه الناطحة!" .هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ .فخلق الإنسان وإعادته أهون وأيسر بكثير من خلق هذا الكون الفسيح.
ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ الآية(82

بعد أن أثبت قدرة الله على البعث بخلق السماوات والأرض، ينتقل إلى بيان كيفية هذه القدرة وطبيعتها .إنها قدرة لا تحتاج إلى أدوات ولا إلى زمن، بل هي كلمة "كن".

**تحليل معنى "كن فيكون" وأثرها في النفوس

هذه الآية من أعظم آيات القرآن في بيان كمال القدرة الإلهية.

· إنما: أداة حصر، تفيد أن أمر الله محصور في هذه الكيفية: لا يحتاج إلى علاج ولا معاناة.
· أمره: أي شأنه وفعله.
· إذا أراد شيئاً: أي تعلقت إرادته بإيجاد شيء.
· أن يقول له كن: أي يقول لهذه المادة أو لهذا المعدوم: "كن" .وهذا تمثيل للتقريب، وإلا فـالله لا يحتاج إلى قول حقيقي، بل أمره بين الكاف والنون.
· فيكون: فإذا به كائن موجود في الحال، دون تأخير أو مهلة.

*الفرق بين الخلق البشري والخلق الإلهي

الخلق البشري يحتاج إلى: مادة أولية، وقت، جهد، تخطيط، أدوات، عمال .أما الخلق الإلهي فلا يحتاج إلى شيء من ذلك .مجرد إرادة، فإذا بالشيء موجود .قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾)القمر: .(50 وهذا الفرق الشاسع يدل على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

لمسات بيانية وبلاغية

· أسلوب الحصر ب- "إنما": لحصر كيفية الأمر الإلهي في هذه الصورة البديعة السريعة.
· التعبير ب- "كن": فعل أمر، يدل على سرعة الامتثال .فالمأمور) الشيء المراد خلقه (لا يتأخر طرفة عين عن الامتثال.
· الفاء في "فيكون": للتعقيب الفوري .فبمجرد تعلق الإرادة، يتحقق الوجود.
· استخدام الفعل المضارع "يكون": للدلالة على الاستمرار والتجدد .فكل شيء يخلقه الله بهذه الكيفية.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تعظيم لله: تملأ هذه الآية القلب تعظيماً لله الذي لا يعجزه شيء، والذي أمره كلمح بالبصر.
· رسالة في التوكل على الله: إذا كان أمر الله بهذه السهولة واليسر، فلماذا نتوكل على غيره؟ لماذا نقلق على أرزاقنا ومستقبلنا؟ قل للشيء الذي تريده: "يا رب، قل له كن فيكون".
· رسالة في التحرر من سطوة الأسباب: تعلمنا الآية أن الأسباب ليست خالقة، بل هي مجرد وسائل .و الله قادر على أن يحقق لك ما تريد بدون أسباب، بكلمة "كن".

مثال تقريبي على "كن فيكون":

تخيل أنك تريد تحريك دمية في لعبة فيديو .بمجرد ضغطة زر، تتحرك الدمية .لا تحتاج أن تذهب إليها وتحركها بيدك .ضغطة زر واحدة تكفي .هذا مثال بشري ضعيف .أما قدرة الله، فهي أعظم من أن تمثل .فهو يريد الشيء، فإذا به كائن .لا ضغطة زر، ولا وقت، ولا جهد ."كن فيكون".
ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية(83)

هذه هي الخاتمة المهيبة للسورة، وهي التسبيحة العظمى التي تليق بمن هذه صفاته .إنها دعوة للتسبيح والتنزيه، وإعلان عن ملكه المطلق، وتذكير بالمصير المحتوم.

**دلالة ختم السورة ب- "سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء"

هذه الجملة هي الخلاصة النهائية لكل ما ورد في السورة:

· سبحان: كلمة تنزيه وتقديس لله عن كل نقص، وعن كل شريك، وعن كل ما لا يليق بجلاله .وهي إعلان بأنه الكامل المطلق.
· الذي بيده ملكوت كل شيء: "الملكوت" هو الملك العظيم الواسع .فبيده وحده مقاليد السماوات والأرض، وكل ما فيهما .هو المتصرف الوحيد في الكون.
· وإليه ترجعون: هذا هو المصير المحتوم .بعد كل هذه الأدلة، وبعد بيان القدرة على البعث، يأتي التذكير بالرجوع إلى الله للحساب .وهو تهديد للكافرين، وتبشير للمؤمنين.
دلالة الختم بالرجوع إلى الله وارتباطه بافتتاحية السورة
لاحظ أيها القارئ الكريم التناسق البديع بين خاتمة السورة وافتتاحيتها:

· افتتحت السورة ب- ﴿يسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.
· واختتمت ب- ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.
فالذي أنزل القرآن الحكيم هو الذي بيده ملكوت كل شيء .والذي أرسل الرسول على صراط مستقيم هو الذي إليه ترجعون .فمن آمن بالقرآن واتبع الرسول، فاز بالرجوع إلى الله .ومن كذب وأعرض، خسر الرجوع إلى الله .هذا التناسق يثبت أن السورة كلها كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً.

لمسات بيانية وبلاغية

· الفاء في "فسبحان": للتفريع والنتيجة .فبعد أن ثبتت قدرة الله المطلقة، وجب تسبيحه وتنزيهه.
· التعبير بـ "ملكوت": صيغة مبالغة من "ملك"، تدل على سعة الملك وعظمته وتمامه.
· التعبير بـ "ترجعون": بصيغة المضارع، للدلالة على أن هذا الرجوع آتٍ لا محالة، وهو قريب.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية

· رسالة تسبيح وتمجيد: تدفعنا هذه الآية إلى أن نختم تلاوتنا وتدبرنا بتسبيح الله وتنزيهه .فقل بقلبك ولسانك: "سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون".
· رسالة تذكير بالمرجع والمآب: تذكرنا الآية بأننا راجعون إلى الله، فتجعلنا نستعد لهذا الرجوع بالعمل الصالح.
· رسالة في التوازن بين الخوف والرجاء: "سبحان" فيها تنزيه ورجاء، "وإليه ترجعون" فيها تذكير بـ الحساب وخوف .وهذا هو التوازن الذي يبني الشخصية المسلمة.
اهم المواضيع من الايه
الموضوع الأول: ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

يريد الله منا من خلال هذه الآيات الخواتم أن نتعلم ونعمل بالآتي:

1.أن نوقن بقدرته المطلقة: يريد منا أن نؤمن بأنه لا يعجزه شيء، وأنه قادر على البعث والإحياء وا لإماتة.
2.أن ننزهه ونسبحه: يريد منا أن نلهج ألسنتنا وقلوبنا بتسبيحه وتنزيهه عن كل نقص.
3.أن نتوكل عليه وحده: يريد منا أن نثق في قدرته، ونتوكل عليه في كل أمورنا، صغيرها وكبيرها.
4.أن نستعد للرجوع إليه: يريد منا أن نعيش حياتنا الدنيا على أنها طريق إلى الله، ونتزود بالعمل الصالح للقائه.

الموضوع الثاني: وقفة مع النفس) أسئلة للمحاسبة الصادقة(

والآن، دعنا نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، ونسألها هذه الأسئلة التي تنبع من صميم هذه الآيات الخواتم:

· سؤال الإيمان بقدرة الله: عندما أشعر باليأس أو العجز، هل أتذكر أن الله الذي خلق السماوات والأ رض قادر على أن يفرج كربي، وأن يقول للشيء "كن فيكون"؟
· سؤال التسبيح والتنزيه: هل لساني رطب بذكر الله وتسبيحه؟ هل أقول "سبحان الله" بقلب حاضر متدبر لمعناها؟
· سؤال الاستعداد للرجوع إلى الله: إذا كنت سأرجع إلى الله اليوم، فما هو العمل الذي أود أن ألقاه به؟ هل أنا راضٍ عن عملي الذي سأرجع به؟
· سؤال شمولية النظرة: هل أرى الكون كله ملكاً لله، فأتعامل معه على أني مستخلف فيه، لا مالك أصيل؟

الموضوع الثالث: مفاهيم عملية وتربوية من الآيات

لنحول هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى مفاهيم عملية نعيش بها:

· مفهوم "اليقين بقدرة الله" كمحرك للهمة:
· إذا كنت ترجو أمراً) شفاء مريض، رزقاً، توفيقاً في دراسة(، فاستحضر قدرة الله .قل: "يا رب، أنت القادر على كل شيء، قل للشفاء كن فيكون، قل للرزق كن فيكون".
· تمرين عملي: اكتب أمنية من أعز أمانيك، وادع الله بها في سجودك، وقل: "اللهم إنك على كل شيء قدير، فقل لهذه الأمنية: كوني".
· مفهوم "التسبيح" كحالة قلبية دائمة:
· اجعل "سبحان الله" وردك الدائم .قلتها عند رؤية كل عظيم في الكون .عند رؤية السماء، عند رؤية البحر، عند رؤية الجبال.
· قاعدة ذهبية: "من أكثر من قول سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة".
· مفهوم "التوكل على الله" بعد الأخذ بالأسباب:
· اعمل بالأسباب المتاحة لك، ثم توكل على الله الذي بيده ملكوت كل شيء .لا تتعلق بالأسباب، بل تعلق بمسبب الأسباب.

· تطبيق: إذا قدمت على وظيفة، فأحسن سيرتك الذاتية واستعد للمقابلة) الأسباب(، ثم قل: "اللّهم إن الأمر كله بيدك، فارزقني هذه الوظيفة إن كانت خيراً لي".

الموضوع الرابع: كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

هذه هي الخطوات العملية لتحويل الآيات الخواتم إلى واقع في حياتنا:

.1في تقوية الإيمان:
· تأمل في عظمة خلق السماوات والأرض .انظر إلى السماء في ليلة صافية، وتأمل النجوم و الكواكب، وقل: "سبحان الذي خلق هذا كله، وهو على بعثي لقادر".
· اقرأ في كتب الإعجاز العلمي التي تربط بين آيات القرآن وحقائق الكون.
.2في الدعاء والمناجاة:
· أكثر من الدعاء باسم الله "الخلاق العليم".
· في سجودك، ناج ربك وقل: "يا من إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، حقق لي رجائي، ويسر لي أمري".
.3في الاستعداد للآخرة:
· عش كل يوم وكأنه آخر يوم في حياتك .لأنك لا تدري متى "ترجعون" إلى الله.
· خصص وقتاً يومياً لمراجعة أعمالك، واسأل نفسك: "ماذا أعددت للرجوع إلى الله اليوم؟".

الموضوع الخامس: أهم القيم المستفادة من الآيات

· قيمة اليقين الجازم بقدرة الله المطلقة.
· قيمة التسبيح والتنزيه لله.
· قيمة التوكل على الله وتفويض الأمر إليه.
· قيمة الاستعداد للرجوع إلى الله.
· قيمة الإيمان بأن الأمر كله بيد الله.
· قيمة شمولية النظرة للكون كله على أنه ملك الله.

الموضوع السادس: أسس ومقومات بناء الحضارة الإسلامية في الآيات

هذه الخواتم تضع الأسس النهائية للحضارة الإسلامية:

· حضارة قائمة على اليقين بقدرة الله: هذا اليقين يحرر الإنسان من الخوف من المخلوقين، ويدفعه للعمل والابتكار دون حدود، لأن الله هو القادر على كل شيء.
· حضارة قائمة على التسبيح والتزكية: المجتمع المسلم هو مجتمع يسبح الله ويقدسه، مما يطهر النفوس من الأدران، ويبني مجتمعاً أخلاقياً راقياً.
· حضارة قائمة على التوكل والعمل: التوكل على الله لا يعني التواكل .بل هو الأخذ بالأسباب مع الا عتماد على مسبب الأسباب .وهذا هو أساس النجاح والتقدم في كل المجالات.
· حضارة قائمة على الاستعداد للمستقبل الأبدي: الإيمان بالرجوع إلى الله يجعل الإنسان يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً .وهذا التوازن هو سر ازدهار الحضارة الإسلامية.
رسالة ختامية إلى قلبك وعقلك

أيها القارئ الحبيب، يا من رافقتنا في هذه الرحلة الطويلة المباركة في رحاب سورة» يس«، قلب القرآن النابض .لقد ختمنا هذه الرحلة كما بدأناها، بالتسبيح لله، والتنزيه له، والإقرار بعظمته وقدرته.

لقد بدأنا بـ ﴿يسٓ * وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ﴾، وها نحن نختم بـ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .فما بين البداية والنهاية، رحلة إيمانية عظيمة، زودتك بزاد اليقين، وأسلحتك بسلاح الحجة والبرهان.

فاخرج من هذه الرحلة وقد استقر في قلبك أن الله هو الخلاق العليم، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .اختر منها وقد امتلأ قلبك تسبيحاً لله الذي بيده ملكوت كل شيء .واخرج منها وأنت تستعد للرجوع إليه بلقاء يرضاه.